AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

عَلى دَربِ تَحريرِ فِلَسطين

الهدف - فلسطين - العدد 63 (1537) - أيلول / سبتمبر 2024

الهدف
AL-HADAF

لن ننسى ولن نغفر

١٦ / ٩ / ١٩٨٢

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
P.F.L.P.

الذكرى الثانية والأربعون على مجزرة صبرا وشاتيلا

الافتتاحية

عام على «طوفان الأقصى» المقاومة جدوى مستمرة..

بعد مرور عام على عملية السابع من أكتوبر «طوفان الأقصى» بمعانيها ودلالاتها حاضراً ومستقبلاً، تبقى المقاومة خياراً استراتيجياً للشعب الفلسطيني وأهدافه بتحرير الأرض واستعادة فلسطين كلها، وطريقاً وأملا لعودة ملايين اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم ومدنهم وقراهم التي طردوا منها إثر «النكبة» جريمة التطهير العرقي الكبرى عام 1948.

عام على العدوان الصهيوني وجرائم الإبادة والتدمير الممنهج لقطاع غزة وكل مقومات الحياة فيه، إلا أن استمرار المقاومة وصمودها وثبات الشعب الفلسطيني فوّت على العدو إمكانية تحقيق أهدافه في التهجير واجتثاث المقاومة، وإخضاع قطاع غزة للسيطرة الأمنية والعسكرية الصهيونية.

فها هو شعبنا في غزة ورغم الدمار لأكثر من 80% من القطاع، ورغم التضحيات الجسام التي تجاوز المائتي ألف شهيد وجريح، ورغم كل الجراح والآلام وهول المأساة، فهو عازم على مواصلة طريق الكفاح والمقاومة طريق العزة والكرامة طريق النصر والتحرير.

يتمادى العدو الصهيوني في عدوانه وجرائمه، ويذهب إلى أقصى خياراته التصفوية في معركة الحسم وإنهاء الصراع، ويتغول في عدوانه واقتحاماته للضفة الغربية ، وهجمات قطعان مستوطنيه على القدس ، متوهماً بإمكانية القضاء على المقاومة وحاضناتها الشعبية في كل بقعة من بقاع فلسطين، ليصاب بالخيبة والعجز أمام إرادة الصمود والتحدي للشعب الفلسطيني ومقاتليه الأبطال، هذه الإرادة التي تعززت وتفولزت بالوعي والإيمان ومعرفة عميقة لحقيقة هذا العدو العنصرية والفاشية، ووظيفته الإستعمارية خدمة لمصالح الغرب الإمبريالي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

نعم تعززت المقاومة عندما باتت صواريخها وعملياتها الفدائية تدك مستعمراته وقواعده على مساحة فلسطين المحتلة.

أدرك الصهيوني خطورة دور ومكانة دول وأطراف محور المقاومة ومشاركتها الحقيقية في القتال دعماً وإسناداً لجبهات وحركات المقاومة في فلسطين، تجسد ذلك بدور خاص للمقاومة اللبنانية واليمنية، وثم المقاومة العراقية لما يشكل ذلك من تأثير نوعي على مستقبل الصراع وبما يحمله من تهديد جدي وحقيقي لوجود هذا المشروع الصهيوـإمبريالي، ومضاعفة أخطار ضعف المناعة «القومية» وتراجع وتهشم قوة الردع لديه بعد أن أصبح ميدان القتال والاشتباك الرئيسي داخل فلسطين، أي في كل أماكن التجمعات البشرية والاقتصادية والعسكرية والأمنية الصهيونية، وهذا لم يحصل منذ 75 عام، مما يعني أن أسطورة التفوق للكيان الصهيوني واستمرار خوض حروبه خارج الحدود قد تحطمت.

وتعويضاً عن عجزه في تحقيق أهدافه وعن أزمته الداخلية والبنيوية المتفاقمة ذهب لتحقيق إنجازات أمنية نوعية من اغتيال الأخ إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، وإلى اغتيال قادة وكوادر حزب الله فؤاد شكر، وتفجير أجهزة البيجر والاتصالات للتخلص من آلاف القيادات والكوادر والناشطين العسكريين والأمنيين والعاملين في المؤسسات الاجتماعية والمدنية التابعة أو المحيطة بحزب الله، وكذلك اغتيال عدد من قيادات قوة الرضوان وآخرها اغتيال ما تبقى من قيادة حزب الله وبمن فيهم القائد المجاهد السيد حسن نصر الله في ضاحية بيروت الجنوبية.

إن نجاح العدو الصهيوني بتحقيق عمليات اغتيال بهذا الحجم جعلته يشعر بنشوة الإنجاز والانتصار التي تساعده مؤقتاً على التغطية على عجزه وفشله في تحقيق أهدافه الاستراتيجية ، وإن بات أكثر شراسة في عدوانه وأكثر تصلباً في شروطه ،مستفيداً من الدعم المفتوح أو الشراكة الامريكية له في عدوانه وجرائمه، ودعم الغرب الإمبريالي، ومعظم دول وقوات حلف الناتو، في ظل صمت أو تواطؤ النظام العربي الرسمي، وخفوت التضامن الشعبي العربي قياساً بحركات التضامن العالمية التي هشمت صورة الكيان الصهيوني وروايته المزيفة والمزورة، والتي تحولت من صورة الضحية إلي صورة النموذج العنصري الفاشي الذي يمارس أبشع صور التطهير العرقي والإبادة الجماعية، الملاحق والمطارد في المحاكم الدولية. وبات الدفاع عن فلسطين وشعبها وعدالة قضيتها معياراً لقيم الحرية والإنسانية والكرامة، وبات شعار فلسطين من النهر إلى البحر يتردد في أصقاع العالم وفي قلب عواصم الغرب الإمبريالي.

الحقيقة الكبرى وبعد مرور عام، ورغم كل الآلام هي اتساع رقعة القتال والاشتباكات في أرض فلسطين التاريخية، وبات الجميع يسمع أسماء كل المدن والقرى الفلسطينية كمساحات وميادين اشتباك، ولم يعد الفلسطينيون وحدهم في الميدان والاشتباك مع هذا العدو المجرم، لم ولن يستطيع العدو إنهاء الصراع بطريقته الاستئصالية والتصفوية. تتعاظم قوة المقاومة وتتسع ساحاتها ومساحاتها وتزداد حاضناتها الشعبية ثباتاً وتماسكاً وانتشاراً، فالمستقبل لفلسطين والنصر لشعبها العظيم، ولكل قوى المقاومة ومن معهم من قوى الحرية والتقدم في العالم.

كل الحقيقة للجماهير

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية
العدد رقم (63) - (1537) - أيلول (سبتمبر) 2024

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

الافتتاحية		
• عام على «طوفان الأقصى».. المقاومة جدوى مستمرة		1
حوار الهدف		
• مع المؤرخ والخبير في شؤون الصراع العربي الإسرائيلي نواف الزرو	حوار: محمد أبو شريفة	3
شؤون فلسطينية		
• كل الجهات جنوب	أحمد علي هلال	10
• منظمة التحرير الفلسطينية بين زمنين	أبو علي حسن	11
• طوفان الاقصى واستعادة الجغرافيا المسروقة	د. وائل الزريعي	14
• عام على الطوفان.. جردة حساب	رضي الموسوي	16
• صبرا وشاتيلا المجزرة المتكررة	د. انتصار الدّنّان	18
• في الذكرى الـ(31) لاتفاقيات أوسلو: طوفان الأقصى يضع حداً لمشروع التصفية	عليان عليان	20
شؤون عربية		
• حزب الله من جبهة الإسناد لقطاع غزة إلى معركة الحساب المفتوح	عليان أبو فادي	23
• قراءة في وقائع وانعكاسات تفجيرات ضاحية بيروت	أنيس محسن	26
• نتنياهو ورؤية السلام العربي الحالم	أحمد عويدات	28
• «الحساب المفتوح».. هل نحن أمام حرب شاملة أم مواجهة محدودة	عزيز موسى	30
• «إعلان بيروت» للقاء اليساري العربي العاشر	سمير دياب	31
• اقتصاد المعرفة: مكوناته، وأهميته، ودوره في الاقتصادات العربية	د. أدهم شقير	33
شؤون دولية		
• حرب ضد الإنسان والإنسانية	د. صياح عزام	35
• جرائم الحرب في غزة، وهيروشيما، وماي لاي: المجرم واحد	علي زيدان	36
• طوفان الطلبة: من إشعاعات طوفان الأقصى عالمياً	كاظم الموسوي	38
• لماذا تأخر الرد الإيراني؟ ومتى ساعة الصفر؟	حمزة البشتاوي	40
• أوهام الاستقرار.. في ظل الهيمنة الأمريكية	مسعود أحمد	41
• الصعود الصيني السلمي.. من الوطني إلى الأممي!	محمد صوان	43
• 1211	حسن شتيوي	45
شؤون العدو		
• فضيحة جديدة لنتنياهو يحاول إسكاتها... فما هي القصة؟	نبال عمر	46
• في معنى المظاهرات الصاخبة داخل دولة الاحتلال	علي بدوان	47
• أكتوبر تعيد ضرورة السؤال من هي إسرائيل الصهيونية؟	حاتم الإستنبولي	49
• هل هذه حرب؟ من الصعب تحديد الصراع بين إسرائيل وحزب الله أو التنبؤ به	ت: نور نوارة	51
• تقرير بالتفاصيل والأرقام.. الدعم العسكري الأميركي للكيان الصهيوني	سحر محرز	52
• إسرائيل ومأزق الداخل	أكرم عطا الله	54
• الكذب، ذلك الخيط الناظم للفكر والخطاب الصهيوني	وسام رفيدي	55
• في العمق: خطة (نتنياهو-مارشال): من هي أول الدول العربية التي تخطط إسرائيل لاحتلالها	الهدف ـ خاص	57
شؤون ثقافية		
• حوار الهدف الثقافي مع الأديبة الروائية رجاء بكريّة	محمد حسين	58
• التوظيف القصدي النصّي	علاء حمد	64
• حلمٌ يبحث عن رصيف	ملاك الريماوي	66
• للأماكن أرواح تزهق نزيف الوطن وقتل تراثه	د. نجلاء الخضراء	67
• الملف الثقافي: رواية باسم خندقجي «قناع بلون السماء»		69
• رواية « قناع بلون السماء»: قراءة في دلالات الانزياحات البنيوية	د. ثائر يوسف عودة	70
• نص: في محطة القطار...	فراس عبدو النادر	72
• «قناع بلون السماء» من النص إلى القارئ وإستراتيجية النصوص الموازية	أحمد علي هلال	73
• الخطاب الوطني في رواية «قناع بلون السماء»	علي مرزوق عودة	75
• نص: على تلّةٍ عارية	حميد بوحبيب	76

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

**يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر**

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

حوار الهدف

مع المؤرخ والخبير في شؤون الصراع العربي الإسرائيلي

نواف الزرو

أجرى الحوار: محمد أبو شريفة ـ مدير تحرير مجلة الهدف

نواف جودة الزرو: مؤرخ وكاتب وباحث وصحفي ومحلل سياسي فلسطيني. وخبير في شؤون الصراع العربي الإسرائيلي. ولد في 5 حزيران/يونيو 1950م، في القدس، ودرس الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارسها، التحق بجامعة بيرزيت، ودرس العلوم السياسية والاقتصاد فيها. أسره الجيش الإسرائيلي وأمضى أحد عشر عاماً في معتقلاته، حكم بالسجن المؤبد عام 1968، وتحرر في إطار صفقة تبادل الأسرى عام 1979.

1. محرر الشؤون الفلسطينية والاسرائيلية في صحيفة الدستور الأردنية منذ عام 1990.
2. سكرتير تحرير الملف السياسي في الدستور.
3. رئيس القسم العبري والابحاث الفلسطينية الإسرائيلية.
4. عضو رابطة الكتاب الاردنيين.
5. عضو نقابة الصحفيين الاردنيين.

- **من مؤلفاته:**

1. إسرائيل- لبنان: حروب الحساب المفتوح
2. العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني خلال الانتفاضة جرائم حرب
3. الفكر السياسي الاسرائيلي: قبل الانتفاضة، بعد الانتفاضة
4. القدس: صراع هوية وسيادة ومستقبل
5. اللاجئون الفلسطينيون: قضية وطن وشعب
6. الموسوعة الفلسطينية الشاملة: مسيرة الكفاح الشعبي العربي الفلسطيني

■ حدثنا عن النشأة، وعن البدايات في العمل السياسي والنضالي، وما الدوافع التي أدت إلى اهتمامك بالبحث والتأليف؟ وهل من مؤلفات جديدة لكم سترى النور قريباً؟

سيرة ومسيرة طويلة تحتاج ربما إلى مجلد كبير، ولكن في هذه العجالة وبعبارات مكثفة أوضح بأن بداياتي السياسية والنضالية كانت في المدينة المقدسة حيث كان الاحتكاك المباشر مع جنود الاحتلال في القدس العتيقة، فبعد الاحتلال بأيام قليلة، وبينما كانت جرافاتهم تهدم حي باب المغاربة، كنت قد توجهت إلى هناك لمشاهدة ما يجري، فتقدم نحوي عدد من الجنود وانهالوا علي ضرباً مبرحاً لمجرد أنني كنت واقفاً أشاهد ما يجري، فكان هذا الموقف نقطة الانطلاق بالنسبة لي في الوعي والانتماء والعمل المسلح، فشاركت مع عدد من الأصدقاء الشباب المقدسيين بعدها بأسابيع في سلسلة من العمليات المسلحة في القدس وتل أبيب، وقد تم اعتقالنا بعد شهور من العمل، وتم الحكم على معظمنا بالسجن المؤبد مدى الحياة، إلى أن تحررت من الاعتقال في عملية النورس لتبادل الأسرى عام 1979.

أما عن الدوافع التي وقفت وراء اهتمامي بالبحث والتأليف، فهي ببساطة أنني ارتأيت وأنا في قلب الاعتقال أن الجبهة الثقافية-الإعلامية التوثيقية في غاية الأهمية في مواجهة مشروع الاحتلال، وأن العمل على الوعي العام وبناء الأجيال مهمة وطنية كبرى، لا تقل عن الجبهات الأخرى، وهكذا وأنا منخرط في هذا المجال الإعلامي-الثقافي-التوثيقي-التعبوي منذ أن تحررت وحتى لحظة كتابة هذه السطور. وعن مؤلفاتي فقد صدر لي حتى اليوم 27 مؤلفاً أهمها وأبرزها:

1. الانتفاضة الفلسطينية الكبرى/ 1988 صدر عن المؤسسة العربية للنشر والتوزيع/ بيروت.
2. محمود درويش... وداعاً/ أيلول/2008/ عن مركز الشيخ إبراهيم آل خليفة / البحرين.
3. الموسوعة الكاملة- الهولوكوست الفلسطيني المفتوح: اختلاق إسرائيل وسياسات التطهير العرقي-2011- صدر عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
4. موسوعة «قراءات إستراتيجية في مستقبل الصراع العربي الصهيوني»، 2014 صدرت عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
5. الموسوعة الفلسطينية الشاملة (من مجلدين): مسيرة الكفاح الشعبي العربي الفلسطيني في مواجهة المشروع الصهيوني- حزيران 2016.
6. موسوعة: القدس والمقدسات- من هرتزل حتى ترامب /2018.
7. موسوعة سجل النكبة: الهولوكوست الفلسطيني المفتوح- طبعة ثانية محدثة 2022.
8. موسوعة الهولوكوست الفلسطيني المفتوح- مترجمة للغة الإنجليزية 2023.
9. وأعكف حالياً على توثيق وإعداد موسوعة: هولوكوست القرن في غزة وخريطة الإبادة الصهيونية في فلسطين.

■ ما هي قراءتك للمسار الاستعماري الصهيوني لـ «أرض إسرائيل» وخريطة الإبادة الجارية ضد الشعب الفلسطيني؟

في هذا الجوهر، ربما تكون شهادات وتصريحات كبار الحاخامات اليهود بشأن «أرض إسرائيل الكبرى» و«الكاملة» و«اختطاف فلسطين» واقتلاع الشعب الفلسطيني وتهجيره» هي الأهم والأخطر دائماً وخاصة في ظل هذه الحرب الإبادية الإجرامية على أهلنا في قطاع غزة والضفة الغربية.. وهي التي تشكل أساس وبوصلة السياسة الرسمية للدولة الصهيونية، ويربط أولئك الحاخامات بين الرؤية الاستعمارية الاستيطانية اليهودية و«أرض إسرائيل الكبرى» من منظورهم وخريطة الإبادة الجارية ضد شعبنا الفلسطيني..!

وفي هذا السياق وفي أحدث فتاواهم المرتبطة بالعدوان الإبادي على غزة، قال الحاخام الإسرائيلي اليميني المتشدد عوزي شرباف: «إنه يجب عودة الاستيطان إلى غزة كما أن كلاً من شبه جزيرة سيناء ونهر النيل أراض إسرائيلية»، مضيفاً خلال مؤتمر «الاستيطان في قطاع غزة»، الذي عقد بتل أبيب وبحضور أعضاء الكنيست، وفق صحيفة «هآرتس الأربعاء 12-10-2023» أنه أمام إسرائيل فرصة تاريخية عظيمة لاستعادة أراضيها التوراتية مرة أخرى». وتابع: «غزة هي القضية وفي هذه المرحلة العظيمة لدينا فرصة تاريخية مع اقتراب مجيء المسيح، فنحن في أيام فتح لنا فيها فتح عظيم للاستمرار في تحرير أرض إسرائيل في جنوب البلاد في غزة وما حولها»، وقالت الصحيفة التي تنتمي للتيار اليساري المعارض للحكومة الإسرائيلية: إن مجموعة كبيرة من الحاخامات يرون أن كارثة 7 أكتوبر فرصة لإعادة الاستيطان في قطاع غزة إلى مجده السابق، ويحاولون ترويع الجمهور المستهدف». فيما قال مايكل بيكار، أحد زعماء المستوطنين: «إذا لم يكن هناك شخص مجنون، فلن يحدث شيء. أرى أن هناك الكثير من المجانين هنا ويجب استعادة أراضينا».

كما انتشر في مواقع التواصل مقطع فيديو للكاتب الإسرائيلي آفي ليبكين، حيث توقع «أن تمتد حدودهم من لبنان للصحراء الكبرى أي السعودية، ومن البحر المتوسط إلى الفرات»، وفي مقطع الفيديو، قال ليبكين في تصريحات إعلامية: "أعتقد أن حدودنا ستمتد في نهاية المطاف من لبنان إلى الصحراء الكبرى أي المملكة العربية السعودية، وذلك بعد ضم مكة المكرمة والمدينة المنورة وجبل سيناء، ثم من البحر المتوسط إلى الفرات"، وأردف: "الموجودون على الجانب الآخر من الفرات هم أصدقاؤنا الأكراد.. إذاً لدينا البحر المتوسط خلفنا والأكراد أمامنا.. ولبنان الذي يحتاج حقاً إلى مظلة حماية إسرائيل وبعد ذلك أعتقد أننا سنأخذ مكة والمدينة وجبل سيناء- لندن ـ "راي اليوم": Jan 11, 2024»

ليتبين لنا في ضوء كل هذه التصريحات

التوراتية الموثقة أننا أمام أدبيات توراتية حاخامية صهيونية تتحدث عن «أرض إسرائيل الكاملة» من النيل إلى الفرات، ولتتحول هذه الأحلام التوراتية في زمن الصهيونية السياسية إلى أهداف وخطط ومخططات ومؤامرات صهيونية صريحة مدعومة من الغرب الاستعماري وفي صميمها اختطاف فلسطين كاملة من نهرها إلى بحرها، وإلغاء وجود الشعب الفلسطيني وشطب حقوقه كاملة في الوطن والتاريخ والسيادة...!

في الحقيقة وميدانياً هم يجمعون ويعملون من أجل تحقيق هذه الأحلام التوراتية، بينما يحتاج الرد عليها وإحباطها إلى أوسع جبهة وطنية فلسطينية عربية عروبية حقيقية وفاعلة...؟!

■ **يبدو أن حرب الإبادة الجماعية على غزة باتت محكومة بنظرية «حسم الصراع» بما يقتضيه من تطهير عرقي وتدمير للمكان توطئة للتهجير وذلك وفقاً لرؤية اليمين الديني الصهيوني المتطرف والتي انتقلت من عقيدة فريق إسرائيلي صغير إلى نظرية للكيان بكل مستوياته ومؤسساته، هل سنشهد تطبيق هذه النظرية في الضفة، والسير على خطى غزة في التدمير والتهجير والإبادة؟**

كثيرون سمعوا أو قرؤوا وكثيرون يتساءلون عن مضامين وجوهر ما اطلق عليها «خطة الحسم» التي أطلقها سموترتس وزير المالية الإسرائيلي وأحد الأقطاب الفاشيين الثلاثة (وكلهم فاشيون) إلى جانب نتنياهو وبن غفير، فيما يلي بعبارات مكثفة جوهر الخطة كما نقلها المحلل الإسرائيلي ناحوم برنياع- في»يديعوت 08-08-2023» قائلاً: «كتب ماو الكتاب الأحمر، وكتب موسوليني البيان الفاشي، وكتب ماركس رأس المال، وكتب لينين «ما العمل»، أما سموتريتش فوضع «خطة الحسم»، وتقول الخطة: سنضاعف السكان اليهود في «يهودا» و»السامرة». هذا يحصل منذ الآن: إن وزير المالية يعطي المال، والوزير في وزارة الدفاع يعطي الأدوات، ونقيم بؤراً على كل تلة وننكل بالسكان، وبعد ذلك نفكك السلطة الفلسطينية: فلتكن فوضى، الفوضى جيدة لليهود، وعندها نفتح أمام السكان ثلاث إمكانيات-خيارات: من يختار القتال يعتقل أو يقتل، من يختار الخروج يطرد، ومن يختار أن يكون تحت حكم الدولة اليهودية يكون مجرداً من الحقوق.

واضح تماماً أن هذه المضامين تمثل جوهر الصهيونية القائم على المجازر الجماعية أو التهجير الجماعي أو الاحتواء والإخضاع والتدجين بقوة الأمن والإرهاب على طريقة الجدار الفولاذي الجابوتنسكي.

> تتطور المقاومة ميدانياً طالما حالة الاحتلال والمواجهة قائمة ومتصاعدة، وظهور التشكيلات الفلسطينية المقاومة مسألة طبيعية متطورة وهي تاريخية

ويمكن أن نعتبر أن المحرقة -الإبادة- الصهيونية الإجرامية التي تقترف بالبث الحي والمباشر ضد أهلنا في غزة تأتي في سياق هذه الخطة التي باتت تجمع عليها المؤسسة الصهيونية...!، في الوقت الذي تجمع على تطبيق مضامين هذه الخطة أيضاً في الضفة الغربية وهي الهدف الكبير بالنسبة لهم.

■ **برزت تشكيلات جديدة للمقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية، بدأت بكتيبة جنين، وتوالت بعدها عدد من المجموعات المقاتلة «عرين الأسود»، «كتيبة طولكرم» ، ثم «كتيبة بلاطة» و كتيبة «مخيم عقبة جبر». كيف تقرأ هذا النمط من المقاومة للاحتلال الإسرائيلي....؟**

أعتقد أنه من الطبيعي أن تنطلق وتتطور المقاومة ميدانياً طالما حالة الاحتلال والمواجهة قائمة ومتصاعدة، وظهور التشكيلات الفلسطينية المقاومة مسألة طبيعية متطورة وهي تاريخية، بمعنى أن مسيرة النضال والكفاح الفلسطيني في مواجهة المشروع الصهيوني شهدت في مراحل سابقة أيضاً ظهور كتائب مقاتلة مثل كتائب «الفهد الأسود» والألوية الحمراء خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وبعدها تابعنا أجهزة الأمن الفلسطينية التي تصدت لجيش الاحتلال وخاضت معه معارك كبيرة خلال انتفاضة الأقصى... وهكذا..!.

وإذا كنا نحن اليوم في ذروة «عهد الكتائب» المقاتلة فهذا يعتبر تطوراً كبيراً في نهج المقاومة الفلسطينية في مواجهة جيش ومستعمري الاحتلال، ونحن نتابع على مدار الساعة إبداعات الشباب الفلسطيني المقاوم.

وخلاصة القول عن الشباب والفتيات الفلسطينيين والفلسطينيات في كتائب اليوم: «أن الفكرة الأهم في هذه المقاومة المنتفضة، أنها كسرت فكرة أن هنالك جيلاً فلسطينياً يهزم، لأن الإسرائيلي منذ العام 1948 راهن على كسر إرادة الأجيال الفلسطينية، وفي كل مرة كان هنالك جيل يفاجئه ويطلق ثورة من نوع خاص، ترسّخ بقاء المقاومة في البيئة الفلسطينية وتحبط الإسرائيليين... فالإسرائيليون راهنوا على أن الجيل الفلسطيني الجديد هو جيل "أوسلو" لأنه في الضفة الغربية عاش في ظل وجود "دايتون" ، لكن العدو الإسرائيلي فوجئ بأن هذا الجيل يقاوم بكل ما أتيح له من قوة، ولا ينتظر أن يمتلك أدوات مميزة ليقاوم».

إذن، الحديث هنا عن جيل جديد من الشباب الذين يرتقون بعملياتهم إلى مرتبة الاستشهاديين، الأمر الذي دق جرس الإنذار لدى المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، ودفع كتابهم وباحثيهم ومحلليهم وكبار جنرالاتهم إلى التطرق إلى هذه الظاهرة.

■ **الحرب على الضفة هي الأعنف والأكبر منذ عشرين عاماً ومن الملاحظ أنها تستهدف مدن ومخيمات الشمال، لماذا التركيز الإسرائيلي على شمال الضفة...؟**

التصريحات المتكررة التي أدلى بها يسرائيل كاتس وزير خارجية الاحتلال حول «تدمير مخيم جنين على طريقة ما يحصل في قطاع غزة» إنما تأتي في سياق النوايا والمخططات المبيتة المعدة تجاه الضفة الغربية بكاملها، حيث إن المعركة الجارية المحتدمة على مدار الساعة على امتداد مساحة الضفة هي معركة حياة أو موت على الأرض والتاريخ والوجود، كما أن ما يجري على أرض الضفة الغربية هو بالتأكيد سطو صهيوني مسلح على الأرض والتاريخ والتراث، وهو انتهاك صارخ متواصل لكافة المواثيق والقرارات الدولية، واستخفاف بالأمة والدول والأنظمة العربية واحتقار سافر لها وللقوانين الدولية.. وما يجري تغطيه دولة الاحتلال بالقوة الغاشمة..!، ويمكن أن نقول إن تلك الدولة ترتقي إلى مستوى أكبر مافيا لسرقة الأوطان والأراضي والممتلكات على وجه الكرة الأرضية، فما يفعله الصهاينة في هذه الأيام على امتداد مساحة الضفة الغربية، أنهم يشنون حروبًا مفتوحة على الوطن والشعب العربي الفلسطيني، ويشنون حربًا من نوع خاص بهم على الأرض الفلسطينية، تستهدف الاستيلاء الكامل عليها من بحرها إلى نهرها على أنقاض شعبها وحقوقه التاريخية فيها.. وليس ذلك فحسب، فهم يغطون عمليًا السلب والنهب والسطو المسلح والجرائم بالأيديولوجيا والأساطير الدينية؛ فالحاخام ياكوف سافير يعبر عن ذلك قائلًا: "إن الانتقادات الدولية للاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية سخيفة، لأن الله هو الذي وعد اليهود بهذه الأرض وعلى العرب أن يرحلوا إلى مكان آخر". ويضيف: "إن هذه الأرض هي أرض يهودية- إنها ديارنا».

وحسب الكاتب الإسرائيلي زئيف شترنهل في صحيفة "هآرتس فـ "إن توجه الحكومة الإسرائيلية في الضفة ينبع أساساً من نظرية الملكية الحصرية لـ "أرض إسرائيل"، وبحسب هذه النظرية فإن الدولة ليست قائمة من أجل ضمان الديمقراطية والمساواة وحقوق الإنسان والحياة العادلة للجميع، وإنما قائمة من أجل ضمان السيطرة اليهودية على "أرض إسرائيل" وضمان عدم قيام أي كيان سياسي مستقل آخر ويخلص إلى أنه لهذا السبب فكل شيء مسموح، ولا "يوجد ثمن أكبر من اللازم، و»في الضفة الغربية تحدث «معجزة»، كما قالت الوزيرة أوريت ستروك: تلة أخرى وبؤرة استيطانية أخرى وطرد آخر للتجمعات. الجيش يعمل جيداً، وهكذا مليشيات المستوطنين. من دون ضغط، دونم هنا ودونم هناك، القليل من العقوبات والقليل من الإدانة، وكل شيء على ما يرام. الفلسطينيون يتم علاجهم عسكرياً واستخبارياً. كل مسلح دمه مهدور، حتى لو كان في غرفة

> "الجبهة الثقافية-الإعلامية التوثيقية في غاية الأهمية في مواجهة مشروع الاحتلال، وإن العمل على الوعي العام وبناء الأجيال مهمة وطنية كبرى"

النوم، وفي قلب مخيم للاجئين. القيادة الفلسطينية بكل فصائلها لا يتم الشعور بها؛ هي مشغولة، وذهبت حتى الصين كي تجد صيغة للوحدة، التي لا أحد يعرف كيفية تطبيقها وتوزيع ما تبقى من الكعكة. مشهد بائس ومهين- جاكي خوري- هآرتس 2024/7/31».

وحسب المعطيات الماثلة فإن عملية الاستيطان الجارية هي الأشد والأشرس والأقسى تاريخياً، فـ "إسرائيل" تقيم في الضفة نظاماً كولونيالياً استعمارياً عسكرياً إسبارطياً، يحول المستوطنين إلى دويلة او إلى "إسرائيل2»، يجعل من المستوطنين أسياد الأرض الحقيقيين، وتقول ورقة عمل لمركز الدراسات والسياسات "إن موجة التمدد الاستيطاني جزء من إستراتيجية شاملة لسلخ أكثر من 60% من أراضي الضفة عن الفلسطينيين"، ويرى الفريق الذي أعد الورقة "أن موجة التمدد -التي هي جزء من إستراتيجية إسرائيلية شاملة تجاه الضفة- هدفها حشر الفلسطينيين في حدود مدنهم وقراهم في منطقتيْ "أ" و"ب" وفق اتفاقيّة أوسلو، وسلخ أكثر من 60% من أراضي الضفة عنهم (وهي المشمولة في المنطقة "ج") وأن إسرائيل -وبمحاكمها- تتصرف كأنها تقوم بعملية ضمّ للمناطق "ج" دون سكانه.

إلى كل ذلك، بل وأبعد من ذلك، تتعامل دولة الاحتلال الكولونيالي في الضفة الغربية وكأن هذه الأرض-أي الضفة كاملة- جزء لا يتجزأ من "أرض إسرائيل"، وعلى أنها تخضع للسيادة الإسرائيلية، لذلك ترخي العنان لمستعمريها وبلدوزراتها ليعيثوا فساداً وتخريباً وهدماً وتدميراً واستيطاناً في كل بقعة على امتداد مساحة الضفة، فهناك حرب حقيقية تستعر على الأرض في الضفة كان وصفها أوري أفنيري رئيس تحرير مجلة "هعولام هزيه" سابقاً رئيس كتلة "السلام الآن" في معاريف قائلاً:" إن الحرب الحقيقية تدور رحاها على الأرض في أنحاء الضفة الغربية والقدس، وأسلحتها تتكون من: الخرائط والقرارات، والأوامر العسكرية، وهي حرب مصيرية يتعلق بها مصير ومستقبل ملايين الفلسطينيين، فإما الحياة أو الموت"، وفي مقالة أخرى له نشرتها صحيفة معاريف يوم أكد أفنيري مرة أخرى: "أن مفاوضات التسوية الدائمة-التي جرت سابقاً- ستار من الدخان يتواصل خلفه النزاع الإسرائيلي_ الفلسطيني بكل عنفوانه، وتشن إسرائيل معركة حثيثة لترسيخ السيطرة الإسرائيلية في كل أرجاء الضفة الغربية، فما يجري على الأرض يفوق بكثير كل ما ينعكس في وسائل الإعلام، إذ تتواصل في كل أرجاء المناطق المحتلة، معركة ترمي إلى تحويل كل قرية أو مدينة فلسطينية إلى جيب منقطع محوط بمناطق سيطرة إسرائيلية، هذه ليست من عمل متعصبين مجانين، بل معركة مخططة جيداً تتواصل في عهد الليكود والمعراخ على حد سواء، والهدف منع كل إمكانية لإقامة دولة فلسطينية حقيقية مستقلة...

ويجمعون في الكيان الإسرائيلي على استعمار الضفة الغربية من أقصى اليسار

إلى أقصى اليمين، وجنرالاتهم يقولون: "إن الاستيطان جزء لا يتجزأ من الأمن الكلي لإسرائيل، فمساهمة المستوطنات في أمن إسرائيل لا تقل أهمية عن القواعد العسكرية"، وهنا يتكامل الاستيطان مع الأمن في الرؤية الإسرائيلية .

لكل ذلك تحتاج فلسطين وتحتاج عملية التحرير والخلاص من براثن الاحتلال والتهويد إلى وقفة فلسطينية وعربية حقيقية -من قبل القوى الحية النابضة بالعروبة والعداء للمشروع الصهيوني- تعيد صياغة الخطاب السياسي والإعلامي وتعيد ترتيب الأوراق والأجندات السياسية الوطنية.

■ كيف يمكن فهم المجتمع الإسرائيلي الجديد؟ وما هي مآلات التحول في تركيبة المجتمع السياسي الصهيوني؟

الأسئلة الكبيرة التي تخالج ربما الجميع: هل سيسقط نتنياهو وحكومته ويذهب إلى مزبلة التاريخ...؟!

وهل من الممكن أن تحترق «إسرائيل» وتنهار داخليًّا...؟!

وهل تذهبُ الأمورُ تجاهَ «حربٍ أهليّة» كما يحذّر ويتوقّع الكثيرون...؟!

وقد يذهبُ البعض في قراءة هذا المشهد الإسرائيليّ الساخن ويقرأ المظاهرات المتصاعدة ضدّ نتنياهو، على أنّها ربّما تكونُ بدايةً لحربٍ أهليّةٍ تقودُ لتفكّك المجتمع والمشروع الصهيونيّ، وهذا حلمٌ يداعبُ الكثيرين، فالكثيرون راهنوا سابقًا وما يزال البعض يراهنون على تفكّك وانهيار المجتمع الصهيوني من الداخل، أو تفكك الجيش الصهيوني، أو أنّه قد يؤدّي في النهاية إلى قرارٍ إسرائيليّ بالانسحاب من الأراضي المحتلّة، لغاية توجيه المليارات المتوفّرة لإنقاذ تلك الدولة من الأزمات والضائقات الاقتصاديّة المتفاقمة، غيرَ أنّ الخريطة الإدراكيّة الصهيونيّة، وخريطة الرأي العام الإسرائيليّ تشيرُ إلى غير ذلك، فالخريطةُ الإدراكيّةُ الصهيونيّة، تربطُ ربطًا جدليًّا ما بين ثلاثة هواجس وجوديّة تهيمن على المجتمع الصهيوني هي: «الهاجس الديموغرافي وهاجس نهاية وجود إسرائيل دولةً يهوديّة، وهاجس حقّ العودة وتقرير المصير لملايين اللاجئين الفلسطينيين»، ويلاحظُ أنّ كلّ البرامج السياسيّة الأمنيّة والاستيطانيّة الإسرائيليّة من وحي هذه الهواجس الوجوديّة.

لذلك، عملت القياداتُ والأحزابُ الصهيونيّةُ على تثقيف وتكوين وبلورة اصطفافاتٍ شعبيّةٍ وراء برامجها الاستعمارية، وسياساتها الحربيّة والاستيطانيّة، وتشيرُ استطلاعات الرأي العام الإسرائيليّ التي تنشرُ شهريًّا تباعًا، إلى شبه إجماعٍ على بقاء وتخليد الاحتلال للقدس والضفة الغربية، وإلى شبه إجماعٍ

> "إسرائيل" تقيم في الضفة نظاماً كولونيالياً استعمارياً عسكرياً إسبارطياً، يحول المستوطنين إلى دويلة أو إلى "إسرائيل2»

على عدم السماح بعودة اللاجئين، وعدم السماح بإقامة دولةٍ فلسطينيّةٍ مستقلّة... وغير ذلك... ولنا هنا في الاحتجاجات التي جرت عام 2011 عبرة... ففي الإجماع الصهيوني حول الاحتلال والاستيطان، تأتي شهادةُ عضو الكنيست المتنافسة على رئاسة حزب «العمل» آنذاك شيلي يحيموفيتش في مقابلةٍ مع صحيفة هآرتس 2011/08/18، حيث قالت: إنّها بالتأكيد لا ترى في مشروع الاستيطان خطيئةً أو جريمة، وإنّما عمليّةٌ هي محطُّ إجماع، وأن حزب العمل هو الذي «نهض بمشروع الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وهذه حقيقةٌ تاريخيّة»، مضيفة «إنّها ترحّب بمشاركة المستوطنين في عمليات الاحتجاج»، معتبرةً مشاركتهم «إحدى نقاط القوة الأهم في عملية الاحتجاج من باب أنه لا ترفع هناك الشعارات السياسية التقليديّة، وإنما يوجد لغة جديدة، لغة توحد وتكتل الجميع».

وتحت عنوان الاحتلال... الكلمةُ المحظورةُ في حديث الخيام، كان ألون عيدان كتب في هآرتس 2011/8/14، كاشفًا حقيقة الاحتجاجات التي ترفضُ ذكر الاحتلال فيقول: «لماذا يمنع الاحتجاج استعمال كلمة احتلال؟ لأنّه إذا قيلت هذه الكلمة، فسيقلُّ عددُ الناس المحتجين على نحوٍ حادّ، ولأنّه سينشأ عدمُ إجماعٍ عميقٍ وانشقاقٌ مدمّرٌ على أثره، سيجعل الانشقاق الاحتجاج سياسيًّا بالمعنى الحزبي وتتلاشى قوّته الشعبيّة»، مضيفًا «لهذا يجب أن نسأل ما هو عمل الاحتلال الآخر زيادة على كونه ضرورةً أمنيّةً أو تحقيقًا عقائديًّا، يبدو أنّه يمكن بحسب الاستنتاج نعم: فإذا كان لا يجوز أن نقول احتلال كي لا نقسم الجمهور ونضرّ بالاحتجاج بذلك، فينتج أن عمل الاحتلال أن يُقسم الجمهور وأن يضر بذلك بإمكانية الاحتجاج».

وفي هذا الإجماع الصهيوني على الاحتلال والاستيطان، استخلص عالم الاجتماع الإسرائيليّ البروفيسور يهودا شنهاف من قراءته لمسار الاحتجاجات الإسرائيليّة «أنّها حراكٌ داخل الإجماع الصهيوني: عن عرب48 «2011/08/05»، وإنّها «احتجاجاتٌ وطنيّةٌ إسرائيليّةٌ وصهيونيّة، ومع كلّ يومٍ يمرّ هناك أعلامٌ إسرائيليّةٌ أكثر وأكثر على الخيام، فالاحتجاجات المعادية للصهيونية لا تنجح في إسرائيل».

ويبدو أن هذه هي الحقيقة الكبرى في المشهد الاحتجاجي الإسرائيلي اليوم أيضًا، فالاحتجاجاتُ الجذريّةُ لا تنجح، فلو أُجريَ استطلاعٌ للرأي العام الإسرائيليّ حولَ الانسحاب من القدس والضفّة الغربيّة، أو حول إقامة الدولة الفلسطينيّة المستقلّة، أو حولَ حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم وممتلكاتهم المهوّدة، فماذا ستكون النتائج يا ترى...؟!

بالتأكيد سيكونُ هناك الاصطفافُ والتجييش الصهيونيّ الكبير من أقصى اليسار الصهيوني إلى أقصى اليمين الصهيوني، وراء لاءات نتنياهو الاستعماريّة -الاستيطانية-الارهابية-الاجرامية-والعنصريّة – الأبرتهايديّة.!

■ بين حرب الإبادة على غزة والاقتحامات في الضفة كيف يبدو حال القدس من حيث صراع الهوية والسيادة والمستقبل؟

في المشهد المقدسي:

-الاحتلال يقترف مجزرة حضارية مفتوحة في المدينة المقدسة ويحولها إلى مملكة توراتية في ظل فرجة وتطبيع عربي متواطىء.....

-والمعارك على أرض القدس: من حي لحي ومن بيت لبيت داخل البلدة القديمة وخارج أسوارها.

-وهناك عشرة أحزمة استيطانية وأكثر من 12 مخططاً استيطانياً جديداً تحاصر القدس وتلتف حولها.

- والاحتلال يشن أضخم حملة تزوير للتاريخ والتراث ويتحرك لإحكام قبضته الإستراتيجية على المدينة وإخراجها من كل الحسابات الفلسطينية والعربية والدولية...!

مرة أخرى نعود لنؤكد أننا أمام احتلال وحشي مجرم لديه مخططات اختطافية للقدس وفلسطين يستخدم أقسى الوسائل القمعية والدموية من أجل تحقيقها، ولذلك في المشهد المقدسي يمضي الاحتلال بتنفيذ مخططاته ومشاريعه التهويدية غير آبه بكل الأصوات والاحتجاجات المنددة، أو بالقرارات والمواثيق الأممية، وغير آبه على وجه التحديد بردود الفعل الفلسطينية والعربية، بل إنه يقوم بتمزيق ما يمكن أن يطلق عليه «دفتر القدس العتيق»، وبدأ بتمزيق أوراقه ورقة ورقة، وهو: «دفتر مجيد وعريق يروي حكايات المدينة، عروس المدائن، عبق التاريخ، وروح الأمة وقبلتها الأولى وبين دفتيه، قصص الأنبياء والرسل والقديسين، والشوارع والأزقة العتيقة التي تحمل آثار أقدامهم، وغبار سنابك خيل الفرسان العرب الذين حرروها من يد قوات الفرنجة، ويضم المقدسات الإسلامية والمسيحية التي يتوجها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وعندما تقلب صفحاته تسمع أذان المساجد وترانيم الكنائس وأجراسها، وعلى حواشيها ترتسم الأسوار كالصدر الذي يحمي القلب، والموشاة بأشجار الزيتون التي تحولت أغصانها إلى رمز للسلام، كما كانت مدينتها»، لقد فتح الاحتلال كل هذه الصفحات المضمخة بعبق التاريخ والإيمان وبدأ يمزقها، ويستبدلها بصفحات مزورة تحكي تاريخاً يهودياً أسطورياً، لا وجود له على وجه الأرض، ولا في أعماقها».

ونقول، إنها بلدوزرات الهدم والتجريف والمحو التي تقوم -بلا توقف- بتهديم المشهد المقدسي العربي- بمضامينه الإسلامية والمسيحية- لصالح مشهد صهيوني يزيف التاريخ والتراث، في ظل فرجة عربية عجيبة...

بالتأكيد، لن تتوقف دولة الاحتلال عن مخططاتها واختطافها لفلسطين والمدينة المقدسة في مقدمتها، إذا لم يستيقظ الجميع من عرب ومسلمين... وإذا لم يرتقوا إلى مستوى المسؤولية التاريخية والدينية والوطنية الحقيقية...؟!

■ لا يزال «اليوم التالي» لطوفان الأقصى غامضاً .. بتقديراتك هل سيذهب الطوفان إلى حرب إقليمية واسعة؟

لقد أصبح واضحاً تماماً اليوم بعد نحو عام كامل من الحرب الإبادية الصهيونية على الشعب الفلسطيني أن كافة الأطراف الإقليمية والدولية لا ترغب ولا تريد في هذه المرحلة إشعال حرب إقليمية- عالمية واسعة النطاق، والتي ربما ترتقي إلى مستوى «الإبادية» للطرفين، وذلك على الرغم من النوايا الصهيونية المبيتة ضد حزب الله، فالإجماع العسكري- الإستراتيجي على ضرورة «التخلص من تهديدات حزب الله وتوفير الأمن للجبهة الشمالية الإسرائيلية»، كما أن المخطط الحربي الإبادي الصهيوني في هذه المرحلة هو الاستفراد بالشعب الفلسطيني وبالجبهة الفلسطينية دون الذهاب إلى حرب إقليمية.

■ وهل عملية طوفان الأقصى تتوافق ومصالح الشعب الفلسطيني الأعزل، ولا سيما أن ضرره على سكان غزة أكثر من نفعه حالياً...؟

في الحقيقة هذا سؤال كبير ودقيق وحساس ويحتاج إلى وقفة مراجعة إستراتيجية يعكف عليها نخبة من كبار المفكرين والباحثين، فمن الطبيعي جداً أن تكون هناك وقفة تقييم ومراجعة إستراتيجية للقرارات وتطور الأحداث والنتائج والعواقب والمسؤوليات، من أجل استخلاص الدروس والعبر التي تخدم مسيرة النضال والكفاح الفلسطيني.

■ كيف تقيّم أداء حركات المقاومة الإقليمية في المنطقة من إيران إلى لبنان إلى سورية إلى العراق إلى اليمن المساندة لغزة؟

أعتقد أن توسع نطاق المقاومة المساندة إلى المحيط العربي أصبحت قضية إستراتيجية تقلق المؤسسة العسكرية- الأمنية الصهيونية التي تعتبر أنها باتت تشكل خطراً وتهديداً وجودياً حقيقياً عليها أن تتعامل معه، وهي تجمع- أي المؤسسة الصهيونية- على أن «إسرائيل» لا يمكنها أن تتعايش مع وجود هذا التهديد الوجودي المتنامي، وخاصة من جهة الجبهة اللبنانية المشتعلة.

وهنا لا نستطيع إلا أن ننحني إجلالاً واحتراماً لجبهات المقاومة المساندة لغزة، ورغم ذلك أود أن أعرب عن اعتقادي أن فلسطين تحتاج إلى أكثر من جبهة مساندة متاخمة، فلو تحركت مثلاً كل جبهات المساندة في مواجهة شاملة منذ البداية لما نجح العدو بالاستفراد بغزة واقتراف الإبادة الشاملة ضد أهلنا هناك.

■ برزت مؤخراً إلى العلن دعوات للتطبيع مع إسرائيل وظهرت أيضاً علاقات إسرائيلية - بعض عربية. كيف تقرأ انعكاساتها على النظام الإقليمي العربي؟

التطبيع العربي الرسمي الخطير جداً... جداً على القضية ومستقبل الأمة....!؟

«أَنَا يُوسُفُ يَا أَبِي. يَا أَبِي، إِخْوَتِي لَا يُحِبُّونَنِي، لاَ يُرِيدُونَنِي بَيْنَهُم أَبِي. يَعتدُونَ عَلَيَّ وَيرْمُونَنِي بِالحَصَى وَالكَلَامِ يُرِيدُونَنِي أَنْ أَمُوتَ لِكَيْ يَمْدَحُونِي. وَهُمْ أَوْصَدُوا بَابَ بَيْتِك دُونِي. وَهُمْ طرَدُونِي مِنَ الحَقْلِ».

لا نبالغ إن قلنا وثبتنا أن التطبيع العربي الرسمي مع «إسرائيل» ليس فقط يعني

الهزيمة العربية الشاملة والاستسلام العربي الكامل أمام المشروع الصهيوني، بل يعني منح العدو غطاء كاملاً للإبادة التي يقترفها ضد شعبنا في غزة بالبث الحي والمباشر، كما يعني التخلي عن فلسطين وعن الشعب الفلسطيني وعن قضية الأمة، بل يعني أن العرب المطبعين غرسوا خنجراً مسموماً في ظهر الشعب الفلسطيني...!

والواضح أن هذه المحطة التطبيعية هي الأهم بالنسبة للكيان وتحقق له إنجازاً إستراتيجياً وتاريخياً لم يكن الآباء المؤسسون للصهيونية يحلمون به في يوم من الأيام، ولكنها المحطة الأخطر والأشد نكبوية بالنسبة لفلسطين الشعب والقضية....!

وهنا نعود مرة أخرى لجريمة التطبيع العربي الرسمي مع العدو المجرم لنقول: على الرغم من الإجماع الشعبي العربي المناهض للتطبيع مع الكيان الصهيوني الذي تجلى على نحو عظيم في المونديال الكروي في قطر، إلا أن مسلسل الزيارات الرسمية الصهيونية لبعض العواصم العربية وانتشار فيروس التطبيع لم يتوقف، لذلك نعود لدراما التهافت التطبيعي العربي مرة ثانية وثالثة ورابعة، لأننا أمام انهيار للمناعة وللجدران العربية الرسمية وأمام تهافت تطبيعي عربي رسمي لم يخطر ببال آبائنا وأجدادنا أبداً...!.

ولعلنا نتساءل ربما للمرة الألف أو أكثر: هل نجحت الصهيونية ومن ورائها الإدارة الأمريكية بزرع فيروساتها التطبيعية في الجسم الرسمي العربي...؟!.

أم أن هذه الفيروسات مزروعة منذ زمن طويل وحان وقت إعلانها-قطافها-....!؟

وخلاصة القول في المشهد: في ضوء هذا التهافت التطبيعي العربي مع العدو، يمكننا القول بمنتهى الوضوح، إن فيروسات التطبيع العربي هي فيروسات صهيونية زرعت في صلب هؤلاء الأعراب، إنه تطبيع عربي انهزامي غير طبيعي مع «إسرائيل» في زمن المجرزة الصهيونية المفتوحة ضد الشعب الفلسطيني، وفي زمن الحروب الاستعمارية الصهيونية-الأمريكية المفتوحة على فلسطين والأمة بكاملها.....!

ونعتقد أن على كل القوى الحية القومية العروبية أن تستيقظ وتستنفر وتوحد جهودها في معركة واحدة رئيسة وهي التصدي لهذا الانفلات التطبيعي العربي الخطير جداً... جداً....!؟

■ هل ستستمر الهيمنة الأميركية على المنطقة؟ أم نحن مقبلون على عالم متعدد الأقطاب؟

تشير معطيات المشهد الإقليمي والدولي إلى أن الهيمنة الأمريكية على المنطقة نعم ستستمر في الأفق المنظور، على الرغم

> هناك عشرة أحزمة استيطانية وأكثر من 12 مخططاً استيطانياً جديداً تحاصر القدس وتلتف حولها

من صعود أقطاب عالمية أخرى مثل الصين وروسيا وكوريا الشمالية والهند وغيرها، فالاستفراد الأمريكي بمنطقتنا يبدو أنه مستمر بفضل حالة السبات العربي، فحتى تتراجع الهيمنة الأمريكية ويتفكك النفوذ الأمريكي في المنطقة لا بد من ظهور وصعود مشروع آخر بديل وهو المشروع القومي العربي النهضوي التحرري الذي نتفاءل ونأمل أنه آت لا محالة...!

■ برأيكم ما هو الدور المطلوب اليوم من جيل الشباب؟

في ضوء هذا التصعيد الإجرامي الصهيوني إلى مستوى الإبادة الشاملة ضد أهلنا في قطاع غزة، التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وفي ضوء هذه المجازر الجماعية والفردية التي تقترفها وحدات ونخب الاحتلال العسكرية الخاصة على مدار الساعة في مدن الضفة الغربية، وبالمقابل في ضوء هذه المعارك والملاحم الكبيرة التي يسطرها شباب فلسطين على امتداد مساحة الوطن، نعود لنوثق بمنتهى الوضوح والثقة والإيمان: إن الجيل الفلسطيني الجديد المشتبك مع الاحتلال في كل مكان هو جيل المستحيل الذي أخذ يقلب كل الحسابات ويخلخل الأمن الصهيوني ويربك المؤسسة الأمنية والعسكرية الصهيونية بكاملها، والذي يقود القضية الفلسطينية نحو أفق حقيقي للتحرير والخلاص من براثن الاحتلال المجرم، وعلينا الإيمان بالجيل الفلسطيني الجديد... الجيل المنتفض الثوري الشجاع والجريء الذي لا يهاب المواجهة حتى الشهادة، وهذا ما نشاهده ونتابعه في السنوات الاخيرة على امتداد مساحة الوطن المحتل، من غزة إلى جنين إلى نابلس إلى القدس وإلى كل الأماكن الفلسطينية خلال الشهور الماضية، حيث يتقاطر الشبان كالطوفان للتصدي لقوات ومستعمري الاحتلال المجرمين، وما العمليات البطولية الفذة التي ينفذها أيقونات هذا الجيل- مؤخرا سوى أمثلة ساطعة وقوية على ذلك.

وعن دور هذا الجيل الفلسطيني الجديد- الشاب- في هذا الكفاح، بل وفي المقاومة والانتفاضات، هناك زخم هائل من التقارير والمعطيات التي تتحدث عنهم وعن بطولاتهم وروحيتهم الاستشهادية، فالذي يحمل سكينه ويتوجه للجنود أو المستوطنين المسلحين ليهاجمهم وليطعنهم، فإنه يعرف مسبقاً أنه متوجه للاستشهاد حتماً، فيحمل روحه على راحته بمنتهى الجرأة والإقدام، والذي يتوجه إلى حاجز شعفاط وإلى بوابة مستعمرة "معاليه أدوميم" يعرف أنه ذاهب أيضاً للشهادة، وفي ذلك جاء في تقرير وصفي لهم: "أنهم ولدوا من رحم انتفاضة الأقصى، وقد تسموا بأسماء شهداء الانتفاضة تيمناً ببطولاتهم وتضحياتهم، ترعرعوا على أنموذجين في الساحة الفلسطينية؛ أنموذج قهر المحتل وإجرامه منقطع النظير، وأنموذج البطولة والتضحية الذي يرفع الهمم ويؤجج نار الثأر والثورة في صدورهم". وجاء في وصفهم أيضا: "أن هذا الجيل لم يرَ الذل، ولم يعرف المحنة ولم تقهره السجون الصهيونية، فقلبه

قوي وجنانه شديد لم ينكسر، واثق معتد بنفسه، ثابت راسخ القلب، جيل فتح عينيه بعد الحلم على حروب الاحتلال العدوانية على الشعب الفلسطيني وعلى المعارك اليومية، وهذا الجيل هو من يصنع الثورة والانتفاضة، وهو جيل النخبة، وهو جيل الطعن في القدس والضفة، جيل لا يعرف الحسابات، ولا يتردد».

إلى ذلك، ووفق الوثائق والصحف والشهادات المختلفة، فإن الجيل الفلسطيني الرابع هو الذي يقف اليوم منتفضاً في مواجهة الاحتلال الصهيوني، مواصلاً الأجيال العربية الفلسطينية الأربعة التي سبقته في الميدان منذ نحو ستة وسبعين عاماً، ولكنه يكون الجيل الفلسطيني، ربما التاسع أو العاشر إذا ما أخذنا في الحساب أن التصدي العربي الفلسطيني، بدأ مع بدايات الاستيطان الصهيوني منذ عام 1878، مع إقامة أول مستعمرة صهيونية وهي "بيتح تكفا" على أراضي قرية الملبس الفلسطينية، ولذلك نوثق ونقول: ما أعظم وما أروع فلسطين في مسيرتها الكفاحية المفتوحة المليئة بالهبات والانتفاضات والثورات والتضحيات، هذه المسيرة التي تصدت وتتصدى للمشروع الصهيوني نيابة عن الأمة العربية: ثمانية – تسعة أجيال متتابعة تخوض الكفاح بلا تعب أو كلل أو يأس أو استسلام، يذهب جيل ليأتي الجيل التالي بعده، والجيل الثالث، فالرابع وهكذا، ليحمل الراية والرسالة والأهداف الوطنية التحررية، وها هو الجيل الخامس منذ النكبة والعاشر منذ نحو قرن وأربعين عاما كاملة، هو الذي يحمل الراية ويقود التصدي في الميدان في مواجهة جيش ومستعمري الاحتلال، ليضيف ملحمة كفاحية أخرى إلى جملة الملاحم التي سطرها الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة الصهاينة الغزاة.

في الهدف

كل الجهات جنوب

أحمد علي هلال ـ كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

هي الأرض التي لا تقبل القسمة، وهي الذاكرة الممتدة أبداً من عمق التراب إلى قوس من الأحلام المشرعة على وطن يُستباح نسغ ترابه وعروق هويته، كان الجنوب ولم يزل نشيد الذاهبين إلى هناك، ونشيد العائدين إلى مفترق الجرح الكبير، وأولئك الجنوبيون هم السطر الكثيف الممتد في الوعي والذاكرة وحكايات العبور والبقاء، تماماً كزهر البيلسان وشقائق النعمان، هكذا تقول سيدات الجنوب وشيوخه ومقاوميه، والعيون على غزة في جرحها المفتوح، وهكذا تُروى حكايات الجنوب من جنوب القلب إلى جنوب المعنى، لمن عبروا برزخه المرصود شطر تفاحة القلب، ليؤدي فروض المقاومة طلقة وعي وقيامةً للأرواح، فكيف لهم إذن أن يهجروا دروب القلب إلا ليظلوا فيها، أشجاراً سامقة بجذور دافئة، وفلسطين على مرمى قلوبهم لنعود بالحكايات الأثيرة، التي تدهش متخيل التاريخ وتثري قواميس الفداء والتجذر، في برهات الاشتباك المفتوحة لتصير الأجساد فكرة، ويصير الوطن كل أولئك الذين تماهو مع الأرض كلها... يا وطناً يعود من الموت ليحيا ويقاوم بضراوة الأمل وعبقريته وبالمعنى، فهل نثرنا حكاياتهم على سطور التاريخ كي لا ننسى، وتظل الذاكرة حيةً كضمائرهم التي مازالت تكتب في البدء كان الجنوب وطناً، تصب جداوله هناك في النهر الكبير فلسطين.

وكلمة سره ضاحية الفداء والبقاء، فالوطن ليس حجارة بل هو أرواح من سكنوه وظلوا فيه كخفق القلب حينما تلتئم جراح الغزيين بجراح لبنان العربي، نصحو إذن على ما يرسمه دمنا من خرائط جديدة توشك بولادات وقيامات، الإنسان فكرة والوطن أبقى. ■

منظمة التحرير الفلسطينية بين زمنين

أبو علي حسن ـ عضو اللجنة المركزية في الجبهة الشعبية

ستون عاماً هو عمر (م.ت.ف) أي أن عمرها امتد إلى ثلاثة أجيال من الشعب الفلسطيني والعربي، وهذا يعني أن (م.ت.ف) مرت بأكثر من ثلاث مراحل، سياسية وكفاحية، فقد تأسست بعد ستة عشر عاماً من تأسيس الكيان على أرض فلسطين، ستة عشر عاماً كانت فراغاً عربياً لا وجود للوطنية الفلسطينية خلالها، وكلنا يدرك المخاض السياسي الذي رافق تأسيس المنظمة، وهو مخاض عربي – فلسطيني، وولادة قيصرية بالكاد عاش الجنين ثلاث سنوات في الأنظمة العربية المتصارعة، حتى تحررت بعد هزيمة حزيران 1967 لتشب عن الطوق،

وتبدأ مرحلة جديدة متحررة من قيود وخلافات الأنظمة العربية، ويصبح العمل الفدائي هو عنوان مرحلة جديدة من النهوض الوطني والقومي العربي، وهي مرحلة لم تستمر أكثر من أربع سنوات بالأردن وإحدى عشرة سنة في لبنان، تعرضت خلالها منظمة التحرير إلى أكثر من حرب ومواجهة من قبل الأنظمة العربية والكيان الصهيوني، كان من نتائجها خروج الثورة الفلسطينية من الأردن، ومن ثم من لبنان، وهذه يمكن تسميتها مرحلة (العنفوان الثوري) بما لها وما عليها، لتبدأ مرحلة ثالثة، وهي مرحلة شتات الثورة وهجوم مشاريع التسويات (مدريد وغيرها) وهي مرحلة التطويع والتكيف مع مشاريع التسوية، تحت الضغوط العربية والاستعمارية، وفقدان العنفوان الثوري، لنصل إلى نهاية هذه المرحلة، بالاعتراف بالكيان الصهيوني وقبول اتفاق أوسلو، بما يجعلنا نسمي هذه المرحلة (مرحلة السقوط السياسي لـ «م.ت.ف» في الجوهر) وتحولها إلى أداة استخدامية في تسويق موجبات المرحلة الجديدة التي شعارها (الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع) ويمكن القول إن هذه المرحلة امتدت إلى ثلاثين عاماً من عام 1993 – 2024 أي أن هذه المرحلة من الوهم السياسي والاستئناس بالاحتلال الصهيوني، قد استغرقت نصف عمر (م.ت.ف) دون أن تحقق أياً من أهدافها في إقامة دولة فلسطينية بالرغم من اعتراف (147) دولة من أصل (193) دولة عضواً في الأمم المتحدة بدولة فلسطين كدولة كاملة العضوية...

ومن نافل القول إن هذا الاعتراف الدولي بالدولة الفلسطينية وهو اعتراف على الورق وليس على الجغرافيا، لم يكن ليتحقق إلا بفعل تزاوج العمل السياسي والعمل الكفاحي عبر أكثر من انتفاضة وعبر أكثر من معركة ميدانية مع الكيان، ولعل اعتراف ثلاث دول أوروبية أخيراً يشكل قفزة نوعية في نتائج طوفان الأقصى كمقاومة، حيث أصبح هناك (13) دولة أوروبية من أصل (27) دولة بالاتحاد الأوروبي تعترف بالدولة الفلسطينية...

إننا اليوم أمام معطيات سياسية وجيوسياسية، ليست هي معطيات التأسيس أو العنفوان الثوري، إننا أمام تشابك مظاهر المقاومة مع مظاهر الهبوط السياسي...

في ضوء ذلك أي قفز عن طبيعة المرحلة التي نعيش وإسقاط رغباتنا هو تحليل غير واقعي، وتدثر بمرحلة انطوت بكل ما عليها وما لها، في حين المطلوب هو الوقوف عن كثب أمام المعطيات الراهنة وعبئها على النضال الوطني الفلسطيني، واستخلاص المواقف والرؤى والآليات التي من شأنها أن تحفظ الوجود الفلسطيني، وتشدد المقاومة في وجه الكيان الصهيوني، وهذا يفترض ضمناً وجود إطار وطني جامع، يتبنى الحق الفلسطيني كاملاً، ويتبنى إستراتيجية المقاومة بكل أشكالها من العنف الثوري إلى المقاومة الشعبية والسياسية، وهنا يتبدى السؤال التالي:

1- هل (م.ت.ف) تمثل هذا الإطار الجامع والمتبني لإستراتيجية المقاومة...؟

لم تعد (م.ت.ف) هي ذاتها قبل نصف قرن التي تقود العمل الفدائي، فقد تم اختطافها من موظفين يعتاشون من

تاريخها دون الالتزام من موظفيها بالثورية التحررية، حيث أمكن تحويلها إلى إطار باهت دون محتوى ودون فاعلية، وتحت أمرة السلطة الفلسطينية المستأنسة بالاحتلال، أي أنها فقدت دورها التاريخي، ولكن اسمها لم يزل يدوي في الأوساط الوطنية والعربية والدولية، وبالتالي فإنها اليوم لا تجسد الطموح الوطني ولا تعبر عن تطلعاته الوطنية في التحرير والعودة، ولا تعكس بمكوناتها الفصائلية أو الوطنية التمثيل الحقيقي للقوى الفاعلة في المجتمع الفلسطيني، ولا تعكس الوزن الكفاحي والسياسي للقوى المشاركة فيها أو التي خارجها، الأمر الذي أحالها إلى إطار / أداة استخدامية لنهج التسوية ليس إلا...

2- ولكن يبقى السؤال الدارج... هل يمكن الاستغناء عن (م.ت.ف) كإطار ومحتوى وأداء...هل يمكن إيجاد بديل ثوري جديد يعبر عن طموحات الشعب الفلسطيني...؟

الموضوعية تقتضي الاعتراف بأن (م.ت.ف) في سفرها التاريخي الممتد ثلاثين عاماً، قد حققت إنجازات سياسية ووطنية لا يمكن تجاهلها، فقد خلقت انبعاث الشخصية والهوية الوطنية التي أُريد لها أن تمحى من الذاكرة الفلسطينية والعربية، وهذا يسجل لـ (م.ت.ف) حيث أصبحت المنظمة إطاراً سياسياً «كياناً سياسياً» معترفاً به عالمياً، ومن يتجاهل اليوم (م.ت.ف) هي ذاتها دول الغرب الإمبريالي وأمريكا، واستطراداً أنظمة التطبيع اليوم، واستطراداً أيضاً البعض الفلسطيني الذي يتمسك بتلابيب المنظمة دون وظيفتها التاريخية، فالانتقال من مرحلة التذويب إلى مرحلة الانبعاث هو انتصار إستراتيجي بادئ ذي بدء... أي وضع القضية الفلسطينية على خارطة العالم الجغرافية السياسية، هو المقدمة الأولى لعملية التحرير والعودة، فهل يمكن إلغاء هذا الإنجاز..؟ بمعزل بعد ذلك عن سقوط بعض القيادات في وهم التسويات ووهم دولة المفاوضات، فكل الثورات تتساقط في مسار عنفوانها قيادات وتنهار أدوات، إلا أن الحقيقة تبقى فاعلة، (حضور ومكانة الثورة) في وعي الجماهير والشعوب، وهذا ما حصل مع (م.ت.ف)...

إن البحث عن بديل لـ (م.ت.ف) هو انتحار سياسي آخر، لأنه يحتاج إلى العمل من الصفر، كما لو أن الشعب الفلسطيني قد بدأ كفاحه المرير اليوم فقط، في حين أن الثورات تراكم نضالات شعبها، وترتقي بكفاحها ونضالها، في سياق زمني ممتد عبر العملية الصراعية التي لم تتوقف، وعليه فإن الحل / البديل يبدأ بالتفكير في كيفية انتزاع (م.ت.ف) من خاطفيها، أو من القراصنة المتنفذين، وتحويلها إلى إطار ثوري يستعيد منطلقاته ووظيفته التحررية...والبناء على ما تم من إنجازات وطنية وسياسية...

حين نتحدث اليوم عن (م.ت.ف) وبهتان دورها ووظيفتها التحررية، وأزماتها، يقودنا الحديث عن مفهوم الأزمة، ومفهوم المأزق، فالأزمة تعني انقطاع مسار التطور والتقدم مؤقتاً، لا سيما المسار الكفاحي المقاوم، وهذا يعني أنه بالإمكان وصل المسار مجدداً، أي معالجة الانقطاع المؤقت في سياق العمل الوطني وسيرورته، أما المأزق فهو ذو بعد إستراتيجي، أي انقطاع مسار التطور والتقدم نهائياً، ولا حلول للمأزق إلا بوجود ظاهرة جديدة نقيض الظاهرة القائمة، أي نقيض (م.ت.ف) فهل نحن أمام مأزق أم أزمة...

لا يمكن الوصول في تحليلنا إلى أننا أمام مأزق تاريخي، وانسداد الأفق تماماً في نضالنا المتجدد بسبب غياب وفقدان (م.ت.ف) لدورها ووظيفتها التاريخية، وإلا ما معنى التحولات العالمية لصالح القضية الفلسطينية اليوم، وما معنى طوفان الأقصى، وهو غزو أسطوري دون فاعلية (م.ت.ف)...

وعليه فالمنظمة تعيش أزمة وليس مأزقاً، بل تعيش عدة أزمات سياسية وبرنامجية وآوانية وعملانية، ولكل واحدة منها توجد خيارات للخروج من شرنقتها بفعل ديناميات العمل الوطني والمقاومة المستمرة...

3- ويبقى السؤال كيف...؟

مع الإدراك لصعوبة أي آليات عملية تعيد (م.ت.ف) إلى أصولها ومنطلقاتها، لكن سفر الشعب الفلسطيني لا يعدم الوسيلة، فقد استطاع اليوم عبر طوفان الأقصى أن يقلب الأمور رأساً على عقب، ويسجل حيوية المقاومة والشعب الفلسطيني، وعليه فإن بناء جبهة مقاومة ضد الاحتلال من مختلف الفصائل، ينحصر دورها في مقاومة الاحتلال، وبناء القوة المقاومة إستراتيجياً، بما فيها بناء التحالفات مع الداعمين للمقاومة، سيعني بالضرورة شد الانتباه إلى فعل المقاومة الذي يتجاوز السلطة الفلسطينية، ويتجاوز إطار (م.ت.ف) ويرفع من أسهم المقاومة على حساب السلطة و(م.ت.ف) المختطفة إلى حين، وحين يتفولذ حضورها الكفاحي وسط الشعب الفلسطيني، بالضرورة سوف تلتحق بها مكونات أخرى من داخل وخارج (م.ت.ف) والسلطة وتذوب السلطة شيئاً فشيئاً أمام الظاهرة الجديدة من المقاومة التي لا تواجه السلطة إنما تواجه الاحتلال حصرياً، وحينها أيضاً سيتغير ميزان القوى فلسطينياً، ويؤدي إلى تغيير في بنية (م.ت.ف) بقوى جديدة مثل جبهة المقاومة ضد الاحتلال، والمحصلة أن وجود حماس والجهاد الإسلامي والفصائل المقاومة في (م.ت.ف) هو عملية إعادة تكوين ميزان قوى جديد يتجاوز الفصائل القائمة حالياً في (م.ت.ف) بما يشكل انقلاباً تدريجياً في بناء (م.ت.ف) المكافحة...

الشهيد القائد سيد المقاومة

حسن نصر الله

الأمين العام لحركة المقاومة الإسلامية «حزب الله» والذي استشهد هو وثلة من القادة في قصف صهيوني غادر للضاحية الجنوبية في بيروت يوم الجمعة الموافق 2024/09/27

طوفان الاقصى واستعادة الجغرافيا المسروقة
هل كان لنا أن ندخل الأرض من دون سلاح؟

د. وائل الزريعي ـ مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

في البدء كانت فلسطين تاريخاً وجغرافيا' فمنذ حوالي 1.5 مليون سنة بوادي النطوف قرب القدس سكن الإنسان هذه الأرض، وعلى أرض أريحا زرع الإنسان وحصد منذ 10000 سنة قبل الميلاد ليشكل أقدم المستوطنات الزراعية التي عرفتها البشرية. لقد تشكلت الأبعاد الجغرافية والتاريخية لهذه الأرض، بوجودها على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتوسطها بين قارتي آسيا وإفريقيا، كما شكلت التضاريس والمناخ هذا الفردوس بسهوله الخصبة وتلاله وأغواره، إلى صحرائه جنوباً. هذه البوتقة صهرت الإنسان الفلسطيني وربطته بهذه الأرض فسكن كل جنباتها وأطلق الأسماء على كل ركن فيها، ففيها القدس، ويافا، وحيفا، ونابلس والخليل، وغزة و بئر السبع. لقد عرف الفلسطيني الأرض وعرفته وأعطاها وأعطته من ثمارها وخيراتها، شكلها وشكلت عاداته وتقاليده وتراثه.

لقد كانت أرض فلسطين نعمة على سكانها بخصوبتها، وبفضل موقعها على طرق التجارة القديمة التي تربط بين مصر وبلاد الشام وبين البحر المتوسط والجزيرة العربية. أصبحت فلسطين مركزًا تجاريًا نشطًا، كما لعبت مدنها الساحلية مثل يافا وحيفا دوراً هاماً كموانئ للتجارة البحرية. لقد تداخلت الأبعاد الجغرافية بالإضافة للأهمية الدينية لتشكل الهوية الجغرافية والتاريخية لهذه الأرض، وترسيخ مكانتها في مسار الحضارة الإنسانية. أما موقعها الإستراتيجي كملتقى للقارات فقد جعل منها مطمعاً لكل من أراد أن يحكم العالم. لذلك مرت فلسطين بتاريخ سياسي معقد نتيجة للصراعات والحروب المتعددة على أرضها عبر العصور، منذ الحضارات الأولى الفرعونية والآشورية، إلى الحملات الصليبية، ثم تحت الحكم العثماني، فالانتداب البريطاني. لكن في تاريخ هذه الأرض تبقى النكبة عام 1948 حدثاً فارقاً، بل زلزالاً ضرب أبعاد الجغرافيا الفلسطينية الطبيعية، والديموغرافية والسياسية، لقد تسببت النكبة في تحولات في البنية الجغرافية للإقليم الفلسطيني، فقيام دولة الاحتلال على أرض فلسطين التاريخية، أدى إلى سلسلة من الكوارث والمآسي:

1. التهجير السكاني مع نزوح حوالي 750000 فلسطيني من منازلهم خلال حرب 1948، وانتقال العديد منهم إلى مناطق أخرى داخل فلسطين التاريخية، ولجوء بعضهم الآخر إلى الدول المجاورة مثل الأردن، لبنان، سورية، ومصر مما أدى إلى تغيير التركيبة السكانية للمنطقة بشكل جذري، كما أدى النزوح إلى تغيير التركيبة الديمغرافية للمدن والقرى الفلسطينية.

2. تدمير قرى ومدن فلسطينية بالكامل أو جزئيًا، مما أدى إلى محو وجودها من الخارطة. حيث قدر عدد القرى المدمرة بحوالي 500 قرية، والعديد من هذه القرى لم يعد بناؤها، وبقيت في حالة خراب أو تم تحويل أراضيها إلى استخدامات أخرى.

3. إعادة التسمية وإعادة توزيع الأراضي من قبل الكيان الصهيوني، حيث عمدت سلطات الاحتلال إلى تغيير أسماء العديد من القرى والمدن الفلسطينية إلى أسماء عبرية، مع أعادة توزيع الأراضي التي كانت مملوكة للفلسطينيين على المستوطنات الصهيونية الجديدة.

4. إنشاء مخيمات اللاجئين في المناطق المجاورة لفلسطين وفي الضفة الغربية وقطاع غزة لاستيعاب الفلسطينيين الذين هجروا من ديارهم. هذه المخيمات أصبحت مراكز تجمع رئيسة للفلسطينيين النازحين، كما تحولت مع الوقت إلى مجتمعات مستقرة، ولكنها تفتقر إلى الكثير من الخدمات الأساسية وتواجه تحديات اجتماعية واقتصادية كبيرة.

5. التغيرات في البنية التحتية مع تحول السيطرة على الأراضي من الفلسطينيين

إلى الصهاينة، حيث شهدت المناطق المحتلة تغييرات كبيرة في البنية التحتية، بما في ذلك بناء الطرق والجسور والمرافق العامة الجديدة بما يخدم مصالح الاحتلال، وعلى حساب السكان الأصليين.

6. التدمير الواسع للقرى والأراضي الزراعية أدى إلى تغيرات في البيئة الطبيعية، من إزالة للمساحات الطبيعية والغابات لبناء المستوطنات، إلى تحويل الأراضي الزراعية إلى أراض مبنية، وتغيرات في استخدام الموارد الطبيعية.

7. تدهور وتقويض الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأصليين بفعل ممارسات الاحتلال التي تستهدف التخلص من أكبر عدد ممكن، من خلال تضييق جميع سبل العيش ونشر الفقر والبطالة بين الفلسطينيين.

8. التأثير على الحدود السياسية، حيث أدت النكبة إلى تغييرات جوهرية في الحدود السياسية في المنطقة، فقامت دولة الاحتلال على الجزء الأكبر من الأراضي الفلسطينية، بينما أصبحت الضفة الغربية تحت الإدارة الأردنية وقطاع غزة تحت الإدارة المصرية حتى حرب 1967، وما تبعها من اتساع الرقعة التي يسيطر عليها الاحتلال وصولاً إلى اتفاق أوسلو الذي لم يمنع الاحتلال من توسيع سيطرته طبقاً لمخططاته وكلما سنحت الظروف الإقليمية والدولية.

لقد أدت النكبة إلى إعادة تشكيل الجغرافيا الفلسطينية بل جغرافيا المنطقة العربية بما تركته من تداعيات طويلة الأمد، وهي ما زالت تؤثر على الوضع الجيوسياسي والديمغرافي في المنطقة حتى يومنا هذا. شكل قيام دولة الاحتلال على أرض فلسطين التاريخية، سرقة العصر، التي هندستها القوى الإمبريالية لتمنح قطعة من أرض العرب لا تملكها لمن ليس له الحق في شبر منها. فعلى طبق من فضة سلمت القوى الإمبريالية أرض فلسطين للعصابات الصهيونية، ليكون الاحتلال الصهيوني الراعي الدائم لمصالح الغرب في المنطقة، وقاعدته العسكرية المتقدمة. منذ النكبة لم يوفر الشعب الفلسطيني دماءه وأبنائه في سبيل استعادة وجوده وأرضه المسروقة. ورغم التباينات الفلسطينية، إلا أن فلسطين كانت دوماً وأبداً المراد والفردوس المفقود. منذ قيام الكيان الصهيوني على هذه الأرض والعدو يدرك أن ترسيم وجوده لا يمكن أن يكون دون اعتراف الآخر به فكان التطبيع وأول شرخ في الجدار العربي كان كامب ديفيد.

تغير العالم مع انهيار الاتحاد السوفييتي واختلال موازين القوى العالمية، و بروز عالم أحادي القطبية، ففقد البعض الإيمان بحتمية التحرير، وانزلق وراء أوهام السلام العادل، ليكون أوسلو الفخ الذي نصب للفلسطيني وجره إلى استقلال مزيف، في الوقت الذي يستكمل فيه الاحتلال الصهيوني سرقته للجغرافيا الفلسطينية عبر السيطرة على مزيد من الأرض وبناء المستوطنات، إلى مزيد من فرض وجوده، ودوره كفاعل طبيعي في المنطقة العربية، وتصدع جدار الرفض العربي للكيان عبر اختراقات سياسية هنا وهناك، لتكون صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية الأخيرة شهادة زور على حق الكيان في أرض فلسطين.

سيف القدس هادم الأسوار

لم يشبع أوسلو نهم الاحتلال لمزيد من السيطرة على الأرض، و لم ترضه كل التنازلات، وخلال سنوات الاحتلال التي تجاوزت76 عاماً، بسيكولوجية السارق عمل الاحتلال على حماية نفسه من سكان الأرض في كل شبر، وبشتى الطرق والوسائل فحاصر الفلسطينيين في «جيتوهات»، واعتلى قمم الجبال بمستوطناته، وبنى جداره العازل، وجعل الفلسطيني مراقباً في كل مكان، وإمعاناً في سرقة الأرض قرر الاحتلال في مايو 2021 تهجير عوائل فلسطينية من سكان حي الشيخ جراح بالقدس، لتمهله المقاومة فسحة من الزمن ليعود عن غيه، لكنها العزة بالإثم والدعم الأمريكي غير المشروط، فكان سيف القدس ابلغ الردود، ولأول مرة تصبح فلسطين كل فلسطين تحت مرمى السلاح الفلسطيني، لقد رد الاحتلال على ما أطلقته المقاومة من قطاع غزة بعملية «حارس الأسوار»، ربما لأنه أدرك مع انطلاق رشقة الصواريخ الأولى من قطاع غزة لتغطي الجغرافيا الفلسطينية أن الأسوار التي أمضى سنواته في بنائها قد أصبحت آيلة للسقوط بفعل الصواريخ التي تتهاطل على مدنه، والجماهير الهادرة من أنحاء الوطن السليب والتي التحمت لأول مرة لتحمي «العاصمة» بسيف القدس أصبحت جغرافيا الاحتلال تحت مرمى نيران صاحب الأرض، وانتقلت المعركة إلى عمق العدو الجغرافي.

هل كان لنا أن ندخل الأرض من دون سلاح؟

يوم السابع من أكتوبر عام 2023 كان لجغرافيا فلسطين موعد مع التحرير فقد انطلقت الرشقات الصاروخية من قطاع غزة، لتغطي اللد، وعسقلان، وأسدود والقدس، ليبدأ العبور مع هدم السياج الفاصل بين قطاع غزة والأراضي المحتلة. يوم السابع من أكتوبر اهتزت الأرض المحتلة وربت عندما لامستها أقدام أبنائها، ونقلت شاشات العالم بكاء شبان لم يعيشوا النكبة هاتفين: «رجعنا لبلادنا». وكما كانت النكبة هزة عنيفة للجغرافيا الفلسطينية بأبعادها الطبيعية والبشرية والسياسية، فلا بد للتحرر أن يكون حالة عنيفة كما يصفه المناضل فرانس فانون في كتابه معذبو الأرض: فالتحرر كالحمى التي تصيب الجسد عندما تقوى مناعته في مواجهة المرض. بعد سنة على عبور المستحيل يمعن الاحتلال في القتل والتدمير في محاولة لقتل هذه الروح التي ولدت في السابع من أكتوبر، لكن الوقت قد فات، فقد جرف الطوفان الأسوار مع أول اجتياز للسياج الفاصل بين قطاع غزة وأراضينا المحتلة، فبهذه الروح سيصمد الفلسطيني ويستمر مستذكراً وصية الشهيد باسل الأعرج لشعبه: «عش نيصاً وقاتل كالبرغوث». باستمرار المقاومة والصمود ستهدم أسوار الاحتلال، ويزول اسمه ووجوده من خارطة المكان، لتعود الأرض إلى عاشقها كما كانت تمسى دوماً فلسطين.

عام على الطوفان.. جردة حساب

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

بعد عام على حرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي والتدمير غير المسبوق، لم يتمكن خلالها الكيان الصهيوني من تحقيق أهدافه في قطاع غزة باجتثاث المقاومة وتهجير الفلسطينيين واستعادة أسراه. استخدم جيش الاحتلال كل ذخيرته من السلاح في جرائم حربه فسقط عشرات آلاف الشهداء جلهم من المدنيين ونسبة كبيرة منهم من الأطفال والنساء، فضلاً عن الجرحى الذين تقترب أعدادهم من المئة ألف شخص ونحو مليوني نازح وتدمير البنى التحتية بما فيها البيوت والمباني والمستشفيات والمدارس والطرقات وشبكات الكهرباء والمياه وشبكات الصرف الصحي.

وبدلاً من الانصياع لاتفاق تبادل الأسرى، هرب ليواري فشله في غزة نحو الشمال ليبدأ في ارتكاب الجرائم ذاتها في الجنوب اللبناني وينفذ مجازر «نوعية» بدأها بمجزرتي «البيجرز» و«اللاسلكي» التي راح ضحيتها نحو 5000 جريح إضافة للشهداء، واستهدف قيادات في المقاومة اللبنانية وتوّجها بإعلان حربه التي أطلق عليها اسم «سهام الشمال» وبدأها فجر الثالث والعشرين من سبتمبر / أيلول الماضي ونفذ عدواناً على مختلف المناطق اللبنانية ليصل عدد الشهداء في ذلك اليوم وحده 500 شهيد وأكثر من 1600 مصاب، مذكراً بما فعله في غزة من استهداف للمستشفيات وبيوت الآمنين، غير آبه بالقانون الدولي والمعاهدات، لاتكائه على حماية الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة التي تشاركه العدوان منذ اليوم الأول فقدمت عتاداً عسكرياً غير مسبوق ووضعت كل تقنياتها وتكنولوجيتها في خدمة الكيان بما فيها الأقمار الصناعية والمجال السيبراني والتجسس المتعدد المواقع والضغط على الحلفاء العرب وغيرهم ليمدوا الكيان بما يحتاجه عبر جسور جوية وبرية مخزية ومذلة، بعد أن قطع اليمن طريق البحر عليه.

كل ذلك يحصل في ظل حصار محكم يقوم به العدو وتشاركه دول عربية في منع المياه والطعام والدواء عن أهل غزة، وربما يتكرر مع أهل لبنان، حيث بدأت الحملات الإعلامية التي تُذكر ببداية طوفان الأقصى، فاستنفرت الأجهزة الأمنية والإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي بذبابها الإلكتروني وتم تشغيل «المثقفين» والكتبة ليمارسوا حرباً إعلامية على الأرض هدفها التثبيط وتحطيم المعنويات والتشكيك بقدرة المقاومة الفلسطينية واللبنانية على الصمود، وبذلك يتم تقديم خدمات لا محدودة للعدو وكشف حساب مقابل ما تسلّمته من الدوائر الصهيونية وحليفاتها.

في عام الطوفان ثمة جردة حساب لا بد من استحضار أهمها والوقوف على مآلاتها واستشراف مستقبلها لمعرفة حقيقة المواقف التي تتخذها الأطراف المختلفة.

الشراكة الأمريكية الغربية

لم تخف الولايات المتحدة الأمريكية يوماً دعمها المطلق للكيان الصهيوني والتزامها بتفوقه على الدول العربية مجتمعة. وعلى هذا الأساس سارع الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى مواساة رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو والوقوف معه وجدد تأكيده استمرار الدعم المطلق لكيانه، وهكذا فعل مسؤولو الإدارة الأمريكية والزعماء الغربيون الذين سارعوا للحج إلى تل أبيب. فمنذ السابع من أكتوبر 2023 سيّرت الإدارة الأمريكية جسوراً جوية وبحرية للكيان الصهيوني لتضمن تفوقه واستعداده الدائم للعدوان والقيام بالمهمات الوظيفية التي زرع من أجلها، فهي التي ترعاه منذ ما قبل التأسيس حيث بلغت المساعدات التي قدمتها الإدارات الأمريكية المتعاقبة أكثر من 300 مليار دولار بين 1948 و2023، منها نحو 80 ملياراً مساعدات اقتصادية و 220 مليار دولار مساعدات عسكرية. وفي 2016 وقعت واشنطن مع تل أبيب مذكرة تفاهم مدتها 10 سنوات تستمر من 2018 إلى 2028 تحصل بموجبها الدولة العبرية على مساعدات عسكرية مقدارها 38 مليار دولار، منها 33 مليار دولار منح لشراء معدات عسكرية و5 مليارات دولار لتطوير أنظمة الدفاع الصاروخي. ولضمان التفوق زودت أمريكا الكيان الصهيوني، بطائرات إف35- كأول دولة، حيث اشترى 75 طائرة تسلم منها 50 طائرة وسدد قيمتها دافع الضرائب الأمريكي. كما ساعدت واشنطن تل أبيب على تطوير منظومة القبة الحديدية ومقلاع داوود المضادة للصواريخ لمواجهة الصواريخ التي تبلغ مدياتها بين 100 كيلو و200 كيلو.

لم تكترث الإدارة الأمريكية بـ«حليفاتها» العربيات، فهذا أمر لا يعنيها ولا تضع له وزناً أصلاً، فهي تتعامل مع هذه الأنظمة كعناصر تابعة ليس إلا، رغم تشدق «الحلفاء» بصداقتهم وتحالفهم المتين بالبيت الأبيض. واشنطن تنطلق من مبدئية الدعم المطلق للكيان تطبيقاً لقانون سنة 2008 الأمريكي، الذي بموجبه يفرض على الإدارات الأمريكية «التأكد من أن أي أسلحة توفرها لدول أخرى في الشرق الأوسط لا تؤثر على التفوق العسكري النوعي الإسرائيلي. وفي العديد من الحالات، تطلب ذلك من الولايات المتحدة تزويد إسرائيل بأسلحة موازنة كجزء من مبيعات الأسلحة الإقليمية الأكبر. كما ضمن نظام التفوق العسكري النوعي

أن تكون إسرائيل هي الأولى في المنطقة التي تحصل على إمكانية الوصول إلى الأسلحة والمنصات العسكرية الأمريكية الأكثر تطوراً، مثل المقاتلة الشبح إف35-، التي تمتلك إسرائيل خمسين منها»، وقد نفذت عملية اغتيال قيادات في حزب الله بالضاحية الجنوبية سبتمبر / أيلول الماضي.

أما بريطانيا فإن آخر قراراتها، حتى كتابة هذه السطور، إرسال 700 جندي إلى قبرص لتكون على مقربة من الكيان لدعمه، فضلاً عن الدعم اللوجستي الذي تقدمه منذ السابع من أكتوبر 2023 وأهمها التجسس على مقاومة غزة والبحث عن أنفاس قادتها في الأنفاق. ولأن البريطانيين يكذبون أكثر مما يتنفسون، شأنهم في ذلك شأن المسؤولين الأمريكان، فإنهم يكررون قول زعيمتهم واشنطن بأنهم حريصون على إيقاف الحرب، بينما هم يشجعون النازيين الجدد على ارتكاب المزيد من المجازر في غزة ولبنان.

صلابة الموقف المقاوم

في ظل العجز عن تحقيق أهداف العدوان على غزة، صعدت قوات الاحتلال في لبنان وبدأتها بمجزرتي البيجرز واللاسلكي واغتيال قادة في المقاومة اللبنانية لتلحقها بإعلان الحرب التي شملت مختلف المناطق بما فيها الطريق الساحلي الرابط بين بيروت والجنوب فضلاً عن آلاف الاعتداءات. هذا التصعيد أراد شل قدرات المقاومة اللبنانية وفصل مسار غزة عن الجنوب اللبناني، بالتالي استفراد جيش الاحتلال بغزة والجنوب كل على حدة، إلا أن المقاومة اللبنانية أكدت تمسكها كجبهة إسناد لغزة والتخفيف عليها من خلال نقل جزء مهم من قدرات الجيش الصهيوني إلى جبهة الشمال للعدوان على جنوب لبنان، المستعدة مقاومته لهذا التصعيد وتمتلك خبرات قتالية كبيرة في مواجهة العدوان بما فيها استيعاب النازحين من مناطق الجنوب اللبناني في مختلف مناطق لبنان، وهو الأمر الذي زاد من غيظ الاحتلال عندما رأى الوحدة الداخلية تتجلى باحتضان النازحين رغم الصراعات السياسية المحتدمة على خلفية انتخاب رئيس للجمهورية المعطل منذ أكثر من سنتين وتشكيل حكومة جديدة بدلاً من حكومة تصريف الأعمال الحالية التي طالت مدتها كثيراً.

مقابل الموقف الأمريكي- الغربي والرسمي العربي المتخاذل، يبرز الموقف المقاوم في غزة ولبنان والبيئة الحاضنة التي تتحمل ضغوطاً كبيرة بسبب فاشية الاحتلال واستهدافاته لهذه البيئة المتمسكة بخيارها الداعم والصامد وتقديم التضحيات من شهداء وجرحى ونزوح وتدمير الممتلكات والمنازل والبنى التحتية. ويشكل هذا الصمود والصبر والتحمل الداعم الأكبر للمقاومين الذين يواجهون جحيم الاحتلال ويخوضون معارك ضارية بإمكانيات متواضعة وبموازين قوى مختلة ولكن بإرادات فولاذية لا تتزعزع من أجل تحرير الأرض وإعلاء الحق وطرد الاحتلال من الأراضي المحتلة، وذلك بدعم شعبي عربي يتعرض هو الآخر للإقصاء والتهميش وإشاعة الفقر والبطالة والتجويع بطرق شتى ومصادرة الحريات وتكميم الأفواه ومنع أشكال كثيرة من التضامن مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية. لا شك أن هذا يأتي بسبب الواقع العربي الداخلي الذي يعاني من أزمات كبرى على رأسها فشل النظام الرسمي العربي في عملية التنمية المستدامة وتورطها في الديون الخارجية التي جعلت المؤسسات المالية الدولية، التي تحركها الدول الكبرى، تتحكم في اقتصاديات الدول العربية ومخرجاتها.

سلاح المقاطعة ومقاومة التطبيع

منذ عام صعّدت جماعات المقاطعة ومقاومة التطبيع، وخصوصاً حركة مقاطعة داعمي إسرائيل، من نشاطها وتمكنت من تحقيق أهداف كبيرة تمثلت في إضعاف الشركات الداعمة للكيان وتراجع شركات أخرى عن الاستمرار في العمل داخل الكيان وانسحاب البعض الآخر من سوق المال ومن المستوطنات. تشير معلومات حركة المقاطعة العالمية (BDS) بأنها حققت نجاحات مهمة في مقاطعة الشركات التي تدعم الكيان، حيث أنهت تواطؤ شركات عالمية مثل شركة انتل التي أجبرت على إلغاء خطتها للاستثمار في الكيان بمبلغ 25 مليار دولار، كما هو الحال أيضاً مع شركات مثل سي. آر. إتش، وجي4إس.

لقد تحولت المقاطعة ومقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني إلى سلاح فعال في وجه الغطرسة الصهيونية وعربدتها في العواصم المطبعة والعالم، والشركات التي تبحث عن الربح ومضاعفته أصبحت تحسب ألف حساب قبل أن تقرر الاستثمار في المستوطنات وتعلن على الملأ تبرعاتها ودعمها لجيش الاحتلال وتقديم المواد الغذائية وغيرها لجنوده في غزة وشمال فلسطين. ومن المهم أن تستمر المقاطعة وتتطور باستخدام آليات حديثة للوصول إلى المطبعين وداعمي الكيان والعمل على محاصرتهم وتجفيف منابع المال التي هي من جيب المستهلك العادي الذي قد لا يكون مدركاً لحجم المعاناة التي يتعرض لها الفلسطيني واللبناني بسبب غفلته عن المقاطعة، ما يفرض زيادة التوعية وانخراط المزيد من الشباب في هذا الفعل المقاوم.

نخلص إلى أنه كما كانت معركة طوفان الأقصى معركة وجودية صمدت فيها المقاومة الفلسطينية وقدمت بطولات ودفعت أثماناً مهولة من الدماء الطاهرة والتدمير الممنهج لكل مقومات الحياة، فإن العدوان على لبنان بجنوبه ومدنه وضاحيته الجنوبية، هي معركة وجود أيضاً، فالعدو الذي أراد الفصل بين قطاع غزة والجنوب اللبناني فشل في تحقيق مآربه ونتائج عدوانه على غزة والمتمثلة في القضاء على المقاومة وتحرير الأسرى الصهاينة وضمان ألا تشكل غزّة تهديدًا مجدداً للكيان.. وأضاف إلى هذه الأهداف إعادة مستوطني الشمال الفلسطيني إلى المستوطنات. هي معركة وجودية حقيقية، ليس للمقاومة الفلسطينية واللبنانية، بل لكل محور المقاومة وللقضية المركزية للأمة.. وهنا تكمن أهمية مضاعفة الدعم والإسناد لفلسطين ولبنان على وجه الخصوص.

صبرا وشاتيلا.. المجزرة المتكررة

د. انتصار الدّنّان ـ كاتبة صحفية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

في السادس عشر من سبتمبر/ أيلول 1982، وقعت مجزرة صبرا وشاتيلا في العاصمة اللبنانية بيروت التي باتت أول عاصمة عربية يحتلها الصهاينة، بعد أن خرجت المقاومة الفلسطينية من بيروت إلى تونس.
- ارتكبت المجزرة مليشيات لبنانية يمينية بدعم من الغزاة الصهاينة، بعد أن عملوا على محاصرة المخيمين. الذكرى مازالت تعيش اليوم مع من اختبروها ومن تأثرت حياتهم بها لاحقًا، خاصّة من فقدوا معظم أهلهم في المجزرة، ورأوا بعيونهم ما جرى، ومازالت لجنة «كي لا ننسى صبرا وشاتيلا» تحيي هذه المناسبة.

- يروي كثيرون منهم كيف كان ذلك اليوم غير عادي. الدم في كلّ مكان، وأجساد الضحايا المدنيين في المخيمين الفلسطينيين تنتشر في كل الأزقة والبيوت، وأشلاء مقطعة، حتى الحيوانات لم تسلم من جرائمهم. الضحايا فلسطينيون ولبنانيون لقوا حتفهم بأبشع الطرق، حتى إنّ بعضهم قتل بالسلاح الأبيض.

- أبو علي شاهد على المجزرة، كان في العشرين يوم قُتل في المجزرة والده وأشقاؤه الخمسة. يقول: «بعد انسحاب المقاومة الفلسطينية من بيروت، وقعت المخيمات الفلسطينية تحت حماية القوات الدولية، حفاظاً على الأهالي، ولاحقًا تفاجأنا بانسحاب القوات الدولية من محيط المخيمات، وهي قوات أميركية وبريطانية وإيطالية وفرنسية. بعد انسحابها، تقدمت باتجاه السفارة الكويتية، والمدينة الرياضية قوات العدو الصهيوني. شعرنا بالخوف، فلم نكن نعرف ما الذي يريده هؤلاء، فذهبنا إلى الصهاينة لنسألهم عمّا يريدون منا بعد خروج كلّ فدائيي المقاومة من المنطقة. وكانت إجابتهم دائماً أنّهم لا يريدون أن يؤذوا المدنيين، فشعرنا بالاطمئنان أنهم لن يدخلوا المخيمين ولم يكن أحد يتوقع ارتكاب مجزرة فينا. قبل المجزرة بيوم واحد، ظهر أشخاص بزي مدني وآخرون بزي عسكري في المنطقة. كانوا يسألون عن هوية أصحاب البيوت. تسربت إلينا

الشكوك، لكن في اليوم نفسه خرجنا نحو مدخل صبرا الجنوبي، حيث ساحة أبو حسن سلامة. هناك كنا نملأ المياه في أوانينا من الماسورة المفتوحة، فلا مياه كانت تصل إلى المخيم. في تلك الأثناء كان الصهاينة يتجهون من السفارة الكويتية في اتجاه مستشفى عكا وجسر المطار، هناك أطلق أحدهم النار على الصهاينة فأصيب أحد الجنود. أخلى الصهاينة المكان بالكامل. أما داخل المخيم فقد فجرت مجموعة من الشبان مستودع أسلحة كان تابعًا للجبهة الشعبية. عندها ظن الأهالي أنّ الصهاينة يقصفون المخيم فخرج كثيرون منه. عائلتي وأنا بقينا مع آخرين كثر.

- في الصباح عند الساعة السادسة إلاّ ربعًا صعد أبو علي إلى الطابق العلوي من منزلهم. هناك رأى مسلحين يتجهون نحو الحيّ. أخبر أهله، فلم يصدقوه، وأرسلوا أخاه معه للتأكد. وبالفعل، شاهدا المسلحين يهاجمون أحدهم، ولم يكن أحد يعلم أنّ مجزرة تدور في صبرا وشاتيلا.

- يقول أبو علي: «خرج أخي وابن عمي من البيت، وبقيت أنا مع أهلي، وعندما اقتربوا من منزلنا طلبت من والدي أن نهرب، لكنه رفض قائلًا: أنا رجل كبير اهرب أنت. عندها خرجت، ورأوني أهرب. طلبوا مني التوقف فلم أفعل بالرغم من إطلاقهم الرصاص. لم أصب ووصلت إلى مستشفى عكا حيث تجمّع الفارون من المجزرة. وبعد ربع ساعة تقريبًا غطى رصاص القنص كلّ الزواريب. في اليوم الثاني للمجزرة خرجت لأشتري الطعام فلم أجد دكانة، نويت التوجه إلى شاتيلا، وفي طريقي إلى شاتيلا التقيت أحد أصدقائي، فأخبرني بأن أفراد عائلتي قتلوا، فركضت أبحث عنهم، وجدت أخي يبكي، دخلت الغرفة، فإذ بأمي على سرير وإلى جانبها أختي، سألتها عن أبي وأخوتي، لم تجب، وبعدما أنهت علاجها، أخبرتني أنّ والدي وأربعة من أشقائي قتلوا ومعهم شقيقتي وجارتنا ليلى.

- ويخبر شاهد آخر عن المجزرة، فيقول:» بدأت عملية الإجرام من محيط جمعية إنعاش المخيم، إلى حي السفارة الكويتية، حتى حدود مستشفى دار العجزة. كانت القوات المتعددة الجنسية عند حدود المخيم، وكان معظمهم من الإيطاليين. كان أولئك العناصر يشترون الأسلحة من المخيم، وهم ساهموا في تلك المجزرة». الإسرائيليون بدؤوا تقدمهم نحو المخيم من منطقة خلدة، وذلك بعد انسحاب الفدائيين من المخيمات، وخروجهم من لبنان، متوجهين نحو تونس، عبر البحر. وبعد مقتل بشير الجميل تملّكنا الرعب. الإسرائيليون وصلوا إلى المدينة الرياضية في بيروت، وعند تمركزهم في المكان بدؤوا قصف المخيم بطريقة عشوائية، ولهذا، اجتمع كبار المخيم وشكلوا وفدًا من ستة رجال، للذهاب إلى الإسرائيليين، ومفاوضتهم حتى يكفوا عن القصف، لكنّهم بعد ذهابهم لم يعودوا، ولم نعرف عنهم شيئاً حتى اليوم، لذلك لم تصلنا معلومات عن التفاوض، وكيف انتهى.

- اشتد القصف، فخاف الناس في منطقتنا، وعندما تأكدنا أننا لن نستطيع المقاومة طلبنا من الأهالي إخلاء بيوتهم، والهرب. وفي الوقت نفسه كانت تأتينا الأخبار من المناطق التي فيها المذابح، إذ بدأت المذبحة من الشارع العام، وصولًا إلى الأحياء.

- عند فجر يوم الجمعة خرجنا من المخيم إلى منطقة الجامعة العربية، وبينما كنا خارجين، شاهدنا عناصر للجيش اللبناني، وعناصر لقوات لحد، وعناصر من ميليشيا القوات اللبنانية، وصحافيين، كما شاهدنا جثة لرجل وزوجته الحامل التي بقرت بطنها. كانوا يقتلون كلّ شخص يشاهدونه من دون أن يعرفوا هويته، فتراكمت الجثث فوق بعضها البعض في زواريب المخيم. حتى الكلاب والخيول لم تسلم من أسلحتهم، فانتشرت الروائح بشكل رهيب. خلال المجزرة لم يستخدموا الرصاص فقط، بل أكثر العمليات الإجرامية كانت بالسكاكين والبلطات إذ كانوا يلتذون بقتلنا. أيضًا اغتصبوا فتيات قبل قتلهن.

- وتقول كفاح:» كنا نسكن في منطقة الحي الغربي لشاتيلا، حيث كانت تقيم أختي في بيت كان مركزًا لقوات الـ17 التابعة لحركة فتح، وبعدما تركه المقاتلون، وغادروا بيروت، مكثنا فيه إلى جانب أختي. وصلتنا أخبار تشير إلى مقتل بشير الجميل، وهذه الأخبار كانت كافية لتسبب ذعرًا بين الناس الذين راحوا يتوقعون حصول ردة فعل من المحتمل أن تطال المخيم».

- لم يطل الوقت، حتى كان الرد جاهزًا. بدأ إطلاق القنابل المضيئة التي حولت ليل المخيم إلى نهار. حينها أخذتنا أمي إلى ملجأ توجه إليه العديد من أهالي المخيم، لكن بعد مضي وقت قصير دخل علينا أخي، وهو يصرخ: من يستطيع الهرب، فليفعل. كان حينها قد خرج وفد من كبار السن للتفاوض مع الإسرائيليين، ومقاتلي الكتائب، فقتل أعضاء الوفد جميعًا. لا يمكن أن أنسى ما حييت مشاهد الذبح. أخذنا نركض، وكذلك فعل آخرون. كنت أحمل بيدي حصيرة صغيرة. شعرت أمي بأنّ الحصيرة تمنع حركتي، فصرخت بي بأن أرميها.

- كانت وجهة الناس المسجد. هناك جمعتنا أمي، ومكثنا فيه إلى جانب عدد كبير من أبناء المخيم، لكنّ المهاجمين لم يقيموا اعتباراً للمكان، فاقتحموا المسجد، وكنا قد هربنا منه، وعاودنا الركض مجددًا. كان الناس تحت وطأة الخوف، والرعب، وفي حالة اضطراب. قطعنا مسافة طويلة حتى وصلنا إلى الشارع العام، كنا نمر بين البيوت، إذ كانت الجدران قد فتحت فيها فتحات. في الشارع العام كان المشهد من أفظع ما يمكن تخيله. جثث ملقاة في الشارع، أنين وصراخ، ونحن لا نعرف كيف لنا النجاة من سكاكين القتلة. شاهدت أبًا يحمي أولاده بجسده من الرصاص، لكنّ الرصاص اخترق جسده وأجساد أولاده، فقُتلوا جميعًا. وشاهدت عددًا من أبناء المخيم تزيوا بزي الأطباء والممرضين للنجاة، لكنّهم مع ذلك قُتلوا. كنا قد احتمينا لبعض الوقت في مستشفى غزة داخل المخيم، وهناك كان الموعد مع المزيد من مشاهد الذبح والقتل، إذ لم يبقَ مكان آمن. في تلك المجزرة فقدت عددًا كبيرًا من أقاربي. قليلون من نجوا من الموت، لكنّها كانت المصادفة التي أبقتهم أحياء.

في الذكرى الـ (31) لاتفاقيات أوسلو:
طوفان الأقصى يضع حداً لمشروع التصفية الأوسلوي ومشتقاته

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

تحل الذكرى الـ (31) لاتفاقيات أوسلو في ظل تطورات ومتغيرات عديدة أعادت الاعتبار للقضية الفلسطينية وعلى رأسها معركة طوفان الأقصى، ابتداء من ملحمة السابع من تشرين الأول/ أكتوبر التاريخية مروراً بمراحل الحرب العدوانية الصهيو أميركية على قطاع غزة والضفة الغربية التي فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها أمام مقاومة شعبنا وحاضنته الاجتماعية، ومروراً بالترجمة الفعلية المتراكمة لمبدأ وحدة الساحات، التي تشارك فيها فصائل محور المقاومة وعلى رأسها حزب الله وحركة أنصار الله وفصائل المقاومة العراقية.

وأخيراً وليس آخراً وصولاً إلى تصدي حزب الله للحرب العدوانية الصهيو أميركية التي تستهدف وقف جبهته الإسنادية لقطاع غزة، ورده على هذا العدوان بجسارة سياسية عنوانها: أن جبهة الإسناد العسكري لقطاع غزة والضفة، لن تتوقف إلا بعد وقف العدوان على غزة، وجسارة عسكرية عبر عنها الحزب بقصفه عمق الكيان الصهيوني الذي طال ويطول قواعده العسكرية والاستخبارية والمستوطنات في الضفة الغربية.

لقد أصبحت أوسلو جراء مفاعيل طوفان الأقصى وراء ظهر الشعب الفلسطيني، الذي دفع ثمن أخطارها وويلاتها، بعد أن ضربت وحدة الشعب الفلسطيني ووضعت القضية الفلسطينية على سكة التصفية الفعلية، بعد أن أخذ العدو كل ما يريده منها من تهويد للقدس ومن توسيع رقعة الاستيطان ومن نفي لحق العودة للاجئين الفلسطينيين ومن تنسيق أمني، ومن ثم ألقى بها في سلة القاذورات.

أوسلو غطاء للتهويد والاستيطان ولشطب قضايا الصراع الأساسية

في هذه الذكرى لا بد أن نذكر بما يلي:

(أولاً) أن القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير وفرت عبر اتفاقات اوسلو ومشتقاتها الغطاء السياسي للعدو الصهيوني، في مصادرته للأرض والاستيطان، من خلال إشاعة الوهم، أمام المجتمع الدولي، بوجود إمكانية عبر المفاوضات، التي تمت وتتم، لحل القضية الفلسطينية بشكل عادل، وبما يضمن الانسحاب من الأراضي المحتلة، مما سهل مهمة العدو الصهيوني، في فرض الوقائع الجديدة على الأرض، من استيطان وجدار وتهويد للقدس، حيث بلغ عدد المستوطنات في الضفة والقدس 176مستوطنة وعدد البؤر الاستيطانية

(186) وعدد المستوطنين حوالي 800 ألف مستوطن، ناهيك عن تشريع كافة البؤر الاستيطانية في شمال الضفة التي سبق وأن تخلى عنها شارون عام 2004.... ونذكر (ثانياً) بالجريمة التي ارتكبها المفاوض الفلسطيني في اتفاق (أوسلو2) 1975 عندما قبل بتقسيم الضفة الغربية إلى مناطق (أ – ب- ج) والتي بموجبها قبل بمنح الكيان الصهيوني السيطرة الأمنية والإدارية على 60 في المئة من مساحة الضفة الغربية، وكذلك بالجريمة التي ارتكبها المفاوض الفلسطيني في اتفاق الخليل عام 1997 الذي قبل بتقسيم مدينة الخليل إلى قسمين، وتم فيه إخضاع البلدة القديمة التاريخية للسيطرة الإسرائيلية، والأخطر من ذلك كله أن اتفاق أوسلو رحل قضايا الصراع الأساسية (القدس، اللاجئين، المستوطنات، الحدود والمياه) إلى مرحلة لاحقة دون إسنادها بأي قرار من قرارات مجلس الأمن ذات الصلة، ما سهل مهمة العدو في تنفيذ إستراتيجيته حيال تلك القضايا الجوهرية.

أوسلو سهلت مهمة أطراف عربية في التحالف مع العدو

لا نبالغ أو نتجنى حين نقول إن اتفاقي (أوسلو 1) 1993 و(أوسلو 2) 1995، سهلا مهمة بعض أطراف النظام العربي في الاندلاق على العدو الصهيوني، وفي نقل العلاقة الإستراتيجية معه من دائرة السرية إلى دائرة التحالف العلني، تحت شعار «أننا لسنا ملكيين أكثر من الملك ولسنا بكاثوليك أكثر من البابا»، وهذه الأطراف شرعت عملياً الوجود الاحتلالي الصهيوني في أرض فلسطين التاريخية بما فيها القدس والضفة الغربية، عبر معاهدات التسوية واتفاقيات التطبيع الإبراهيمية، بعد أن ضربت عرض الحائط بمهزلة مبدأ الأرض مقابل السلام الزائف، الذي عمل النظام السعودي على فرضه وتسويقه في قمة بيروت عام 2002 م.

كما لا نجافي الحقيقة المادية في شيء، إذ نقول إن اتفاقيات أوسلو وخاصةً الشق الأمني منها «التنسيق الأمني»، سهلت وغطت مهمة هذه الأطراف في توفير كل أسباب الدعم السياسي والمادي للعدو في حربه الإبادية على قطاع غزة، حيث وصلت الأمور أن يلتقي رئيس أركان العدو هاليفي مع نظرائه من عدة جيوش عربية في البحرين، في حزيران/ يونيو الماضي لمناقشة التعاون الأمني، وللبحث في سبل إنهاء وجود المقاومة في قطاع غزة.

لقد أشبع الحديث عن اتفاقات أوسلو بحثاً وتمحيصاً عبر آلاف الدراسات والمقالات وعشرات الندوات والمؤتمرات حول أبعادها وأخطارها، منذ توقيعها في الثالث عشر من أيلول/ سبتمبر 1993، وبالتالي تبقى مهمة فصائل المقاومة مراكمة النضال في مجرى طوفان الأقصى لإفشال التوجهات التسووية والأمنية لقيادة السلطة، التي باتت تمني نفسها بالعودة إلى حكم قطاع غزة وبسط السيطرة عليه، والاستجابة للمتطلبات الأمنية الإسرائيلية، وقد تبدى ذلك في مطالبة رئيس السلطة حكومة العدو للسماح له بدخول قطاع غزة، بعد أن رفض مجرم الحرب نتنياهو السماح لها بالعودة رغم خدماتها التي لم تنقطع في مجال التنسيق الأمني.

قيادة السلطة والتنكر لقرارات الإجماع الوطني

في هذه الذكرى – وحتى لا ننسى- نذكر بما يلي:

1- أن قيادة المنظمة والسلطة مصرة على التمسك بنهجها البائس الذي ضرب القضية الفلسطينية ووضعها على طريق التصفية، وليس لديها أدنى استعداد لإجراء مراجعة نقدية لهذا النهج، واستخلاص الدروس رغم النداءات المتصلة من العديد من القيادات والفصائل الفلسطينية.

2 - أن قيادة المنظمة – قيادة السلطة – تنكرت لقرار المجلس المركزي عام 2015 الذي دعاها لإلغاء هذه الاتفاقيات وما نجم عنها من تنسيق أمني واتفاقيات لاحقة، وتنكرت لقرار المجلس الوطني عام 2018 الذي كرر توصيات المجلس المركزي.

3- وتنكرت لقرارات الأمناء العامين في «كونفرنس بيروت- رام الله» في 3 أيلول/ سبتمبر 2020 التي أكدت على إلغاء اتفاقيات أوسلو ومشتقاتها.

ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل وصلت الأمور برئيس المنظمة ورئيس السلطة قبل معركة طوفان الأقصى، أن يقدم شرطين للوحدة وإنهاء الانقسام في مؤتمر الأمناء العامين للفصائل في مدينة العلمين المصرية في 30 تموز/ يوليو 2023 وهما: (أولاً) أن تعترف كافة الفصائل بحق (إسرائيل) بالوجود والتقيد بكافة مواثيق وتعاقدات والتزامات منظمة التحرير و(ثانياً) أن تتخلى عن المقاومة المسلحة في مواجهة الاحتلال.

قيادة السلطة لن تغير جلدها ونهجها

وفي التقدير الموضوعي أن قيادة المنظمة والسلطة لن تغير من هذا النهج، ولن تغير جلدها لأن المسألة هنا ليست مثالية، بل مرتبطة بواقع السلطة وببنية قيادتها الطبقية ومصالحها التي ارتبطت مع الاحتلال ومع الدول المانحة، وما تخلل كل ذلك من امتيازات وفساد، ولا نبالغ إذ نقول إن بنية كومبرادورية تشكلت ونمت منذ عام 1993 وحتى اللحظة، وهذه البنية هي التي باتت تحكم قرارات قيادة المنظمة والسلطة السياسية، وإلا بماذا نفسر استمرار قيادة السلطة بنهج التنسيق الأمني المذل رغم صدور قرار من الكنيست الصهيوني، بإجماع الأحزاب الصهيونية في الحكم والمعارضة برفض قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، ورغم استمرار حكومة العدو في نهج الاستيطان والتهويد، الذي بات يغطي حوالي 42 في المئة من مساحة الضفة الغربية، ورغم أن مشروع ضم الضفة الغربية وتهجير الفلسطينيين بات مطروحاً للتطبيق العملي؟

قيادة السلطة منسجمة مع نفسها ومع نهجها، وهي التي لم تتوقف عن اتخاذ المواقف المناقضة والمعادية لمعركة طوفان الأقصى التاريخية ومخرجاتها، وفي الذاكرة محاولة تهريب عناصر أمنية إلى رفح، لخلق فوضى أمنية في القطاع تربك فصائل المقاومة في مواجهة الاحتلال، وفي الذاكرة الطازجة أيضاً تتطوع قيادة السلطة بإرسال رسالة بواقع (21) صفحة لحكومة العدو، تطلب فيها من حكومة العدو تسهيل مهمتها لحكم غزة لمنع أي تهديد أمني للكيان الصهيوني، وذلك بعد أن صرح رئيس وزراء العدو برفض منح أي دور «لحماستان وفتحستان» في قطاع غزة.

كفى رهاناً على عودة السلطة إلى مربع الإجماع الوطني

ما يجب الإشارة إليه، أن الفصائل الفلسطينية وخاصة الديمقراطية منها، لا تزال تراهن على إعادة بناء منظمة التحرير على أسس وطنية ديمقراطية، من بوابة الانتخابات للمجلسين الوطني والتشريعي والانتخابات الرئاسية، وتتصرف من موقع الحرص على الوحدة الوطنية، وفاتها أن تدرك أن المفتاح لا يزال بيد قيادة السلطة الفلسطينية. وفي الذاكرة كيف انقلب رئيس السلطة على تفاهمات القاهرة في 21 آذار/ مارس 2021، بشأن إجراء الانتخابات في أيار/ مايو 2021م بذريعة رفض الاحتلال إجراءها في القدس عندما أدرك أن الانتخابات لن تكون في مصلحته ومصلحة النهج الذي يمثله، إثر قيام القائد الأسير مروان البرغوثي بتشكيل قائمة «الحرية» مع ناصر القدوة، الذي جرى فصله من مركزية حركة فتح، وكذلك في ضوء قراءته للأوزان الانتخابية لقوى الفصائل وخاصةً حركة حماس.

وأخيراً: أعتقد أن موافقة قيادة السلطة (فتح) في لقاء بكين على حكومة وفاق وطني مؤقتة في الضفة وغزة، لا تعدو كونها عملية علاقات عامة غير مطروحة للتنفيذ العملي، ما يستدعي من فصائل المقاومة المسلحة، أن تبني على مخرجات معركة طوفان الأقصى في السياقين المقاوم والتنظيمي، باتجاه تشكيل جبهة مقاومة تتولى إدارة الأمور في قطاع غزة في اليوم التالي لوقف الحرب، وتتولى قيادة المقاومة في الضفة الغربية، إلى أن تتوفر الظروف الموضوعية لإعادة بناء المنظمة على أسس ديمقراطية وعلى قاعدة برنامج متقدم للمقاومة .

الجبهــة الشّعبية لتحرير فلسطين

تنعي رفاقها القادة الأبطال

محمد عبد العال
«نضال»
عضــو المكتــب السياسي للجبهــة
ومسؤول دائرتها العسكرية الأمنيــة

عبد الرحمن عبد العال
أحــد نسور كتائــب الشهيد أبو علي مصطفــى
الجنــاح العســكري للجبهة الشعبيــة في لبنان

عمـــاد عـــودة
«أبو زياد»
عضــو اللجنة المركزيــة العامة للجبهــة الشعبيــة
وعضو دائرتها العسكرية وقائدها العسكري في لبنان

الذين ترجلوا فجر الإثنين الموافق ٢٠٢٤/٠٩/٣٠ إثر قصف صهيوني غادر استهدفهم في العاصمة اللبنانية بيروت بعد أن أدوا واجبهم النضالي والكفاحي تجاه قضيتنا وأمتنا

في مواجهة العدوان الصهيوني:

حزب الله من جبهة الإسناد لقطاع غزة إلى معركة الحساب المفتوح

عليان أبو فادي ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

العدوان الصهيوني على لبنان مرشح للاستمرار في ضوء إصرار العدو على تنفيذ الهدف الرئيسي منه، ألا وهو إعادة مستوطني الشمال إلى مستوطناتهم، لكن هذا الهدف صعب بل مستحيل التحقق، في ضوء الموقف المبدئي لحزب الله الذي يربط وقف القتال في جبهة شمال فلسطين المحتلة بوقف العدوان على قطاع غزة والاستجابة لشروط ومطالب المقاومة في أية صفقة لتبادل الأسرى، فالحزب الذي باشر الإسناد القتالي لقطاع غزة بعد يوم واحد من السابع من أكتوبر 2023 وقدم مئات الشهداء على طريق القدس لن يتنازل عن ربط جبهة جنوب لبنان مع جبهة قطاع غزة، وهو ما أكد عليه الأمين العام لحزب الله في أكثر من مناسبة وخطاب.

لقد اعتقدت قيادتا العدو السياسية والعسكرية بأن لجوءهما إلى تكتيك الصدمة والترويع المنفلت من عقاله ابتداءً من مجزرتي البيجر واللاسلكي يومي 17--18 سبتمبر الماضي، مروراً باغتيال قيادات من قوات الرضوان في الضاحية الجنوبية في 20 سبتمبر الماضي بقصف جوي استهدف غرفة عمليات في الطابق الثاني تحت الأرض، ولجوئها إلى أبشع عملية قصف جوي وأكثرها كثافةً في الحروب التي طالت كافة بلدات الجنوب والبقاع وبعلبك ونسبياً الضاحية الجنوبية، في استهداف غير مسبوق في حروبها ضد لبنان للمدنيين ومنازلهم وممتلكاتهم وللطواقم الطبية، اعتقدت أن هذا التكتيك، سيحقق هدفين رئيسين هما:

1- إخضاع حزب الله لشروطه بوقف جبهة الإسناد لقطاع غزة، وسحب قواته إلى ما وراء نهر الليطاني، ما يمكن العدو من تحقيق الهدف المعلن من الحرب بإعادة المستوطنين إلى المستوطنات التي يقيمون فيها في مخلف مناطق الجليل .

2 - التفرغ لجبهة قطاع غزة التي فشل العدو بعد مرور حوالي عام دون تحقيق أي هدف الأهداف التي جرى تحديدها، على أمل بائس ويائس، بأن ترضخ قيادة المقاومة لشروط العدو ومن ضمنها توفير ممر آمن لخروج السنوار من قطاع غزة، والإفراج عن كافة الأسرى الإسرائيليين مقابل الإفراج عن أسرى فلسطينيين تتولى حكومة العدو تحديد أسمائهم .

تطورات المواجهة العسكرية وانقلاب السحر على الساحر

تطورات المواجهة العسكرية التي افتتحها العدو بتاريخ 23 سبتمبر(أيلول) الماضي، بقصف شاركت ولا تزال تشارك

فيه 250 طائرة حربية (F15-F16) وألقى خلالها وعلى مدى سبعة أيام بكل إمكاناته العسكرية التدميرية، لم تسفر عن تحقيق أي هدف من الأهداف التي حددها للحرب، ناهيك عن فشله في دفع الحاضنة الجماهيرية لحزب الله للتمرد عليه وفشله في تهييج الشارع اللبناني بشكل عام ضد المقاومة، رغم الخسائر الهائلة التي ألحقها القصف الجوي بالمدنيين والتي أدت إلى استشهاد ما يزيد عن 600 مواطن، وإصابة ما يزيد عن 1835 مدنياً ، بل حدث العكس حين راحت قوى وكتل سياسية لبنانية كانت على خصومة مع حزب الله تصطف إلى جانب المقاومة، وتتبارى في تقديم التسهيلات لاستيعاب النازحين من الجنوب.

ما فاجأ العدو أن منظومة القيادة والسيطرة والاتصالات لحزب الله ظلت تعمل بكامل جهوزيتها ما يعني أن قوات الحزب لم تعتمد على البيجر وأجهزة اللاسلكي المستوردة في اتصالاتها بغرفة العمليات المركزية، بل على منظومة الاتصالات السلكية التي استخدمتها في حرب تموز هذا أولاً وثانياً أن الحزب تصرف بعقل عسكري بارد ، حين لجأ إلى استيعاب الصدمة وامتصاصها بعد أن ألقى العدو بكل ثقله في معارك القصف التي ضربت مساحات واسعة في لبنان ، وبدأ ينتقل من تكتيك الدفاع الإستراتيجي، إلى هجمات ذات طابع إستراتيجي في السياق المتدرج، فوجبة الافتتاح الصاروخي لحزب الله فجر 22 سبتمبر (أيلول) الماضي في السياقين الأفقي والعامودي، التي طالت طبريا وصفد وجميع مستوطنات الجليل الأعلى وإصبع الجليل وحيفا وما بعد حيفا ممثلةً بقصف قاعدة رامات ديفيد الجوية، ومجمع رفائيل العسكري للصناعات الإلكترونية والعديد من المواقع في محيط حيفا بصواريخ فادي 1 وفادي 2 ، بعمق 45 كيلومتراً ، ناهيك عن قصف العديد من المستوطنات في شمال الضفة في رسالة ذات أبعاد سياسية وعسكرية .

وفي سياق خطته طور الحزب مساحة القصف ليقصف الجليل الأدنى، مستهدفاً المواقع العسكرية في الناصرة العليا والعفولة بعمق 60 كيلو متراً ، ثم ليطورها لاحقاً ليعيد قصف الأهداف التي سبق وأن قصفها في حيفا ومحيطها، وليقصف بصواريخ فادي 3 مطارات وقواعد عسكرية جديدة مثل مطار مجدو، وليقصف مصانع تصنيع الذخيرة في زخارون جنوب حيفا وغيرها ، والقاعدة البحرية في عتليت في محيط حيفا، وليقصف بعنف كافة القواعد العسكرية وكافة مستوطنات الجليل وعلى رأسها مستوطنة كريات شمونة التي قصفها بعشرات الصواريخ، ناهيك عن الوجبات الصاروخية الهائلة والمتكررة، التي دكت مدينة صفد التي يقطنها (50) ألف مستوطن ما يعني أن الحزب يعمل على تصعيد نزوح المستوطنين من هذا المجمع الاستيطاني الكبير، بالضد من هدف قيادة العدو لإعادة المستوطنين إلى أماكن سكنهم.

وأخيراً ليس آخراً، أسقط في يد العدو، بعد أن ترجم حزب الله مقولة أمينه العام «إذا قصفت بيروت وضاحيتها الجنوبية سيتم قصف تل أبيب»، حين قصف الساعة السادسة والنصف فجر يوم الأربعاء 25 سبتمبر (أيلول) الجاري، بصاروخ باليستي (قادر 1) موقع قيادة جهاز الاستخبارات الخارجية «الموساد « المسؤول عن تفجيرات البيجر واللاسلكي، في قلب تل أبيب، ما يعني أن حزب الله بدأ بالتدريج استخدام مخزونه الهائل من الصواريخ الباليستية والصواريخ الدقيقة والنقطية.

أبعاد سياسية وعسكرية

في ضوء استمرار القصف الإسرائيلي على مناطق عديدة في لبنان وردود حزب الله الصاروخية التي طالت عمق الكيان الصهيوني، يمكن الإشارة إلى الخلاصات السياسية التالية :

-1أن حزب الله استعاد زمام المبادرة وقوة الردع وأفشل محاولات العدو لترميم ردعه الذي ضرب في الصميم في السابع من أكتوبر، وفي مراحل العدوان على غزة على امتداد ما يزيد عن (11) شهراً.

-2 أن حزب الله تجاوز قواعد الاشتباك السابقة إلى مرحلة متطورة أطلق عليها نائب الأمين العام الشيخ نعيم قاسم مسمى (الحساب المفتوح) في حين يسميها بعض المراقبين «قواعد اشتباك جديدة» بحيث لم تعد مساحة القتال والقتل في جبهة الجليل الممتدة من رأس الناقورة إلى الجولان، بل باتت تشمل عمق الكيان الصهيوني في حيفا وما بعد حيفا وصولاً إلى تل أبيب .

-3 أن الحزب في تعميق ضرباته الصاروخية التي وصلت إلى حد إطلاق 400 صاروخ في يوم واحد طالت مواقع العدو العسكرية والاستيطانية أفقياً وعامودياً، بات يؤرق العدو، دفعت القيادات العسكرية إلى مراجعة حساباتها والتوقف عن التبجح بالانتصارات، بعد أن وصلت إلى مرحلة تتماهى مع المثل الفلسطيني «ذهبت السكرة وجاءت الفكرة»، حيث بدأت تتحدث عن صعوبة هزيمة حزب الله، وأن الحزب لا يزال يمتلك مقدرات عسكرية هائلة، وبوسعه تجديد وتطوير هذه المقدرات، وأنه لا حل أمام حكومة الائتلاف سوى إنجاز صفقة مع المقاومة الفلسطينية، تؤدي إلى وقف جبهة الإسناد في الشمال، وتسمح بإعادة المستوطنين.

-4 أن الفعل العسكري المتدرج الذي ضرب كافة المستوطنات في الشمال وفي الجليل الأدنى وصولاً إلى صاروخ (قادر1) في قلب تل أبيب، عطل الحياة الاقتصادية والتعليم في معظم مناطق الكيان الغاصب، وضرب الجبهة الداخلية الإسرائيلية في الصميم حين أجبر هذا الصاروخ ثلاثة ملايين مستوطن إلى الملاجئ، ما دفع

نتنياهو لمناشدة المستوطنين الخروج من الملاجئ وممارسة حياتهم الطبيعية، وتأجيل سفره إلى نيويورك لإلقاء خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

والأهم من كل ذلك، أنه رغم حجم الخسائر في صفوف المدنيين اللبنانيين، ورغم اغتيال عدد من القيادات العسكرية في حزب الله، فإن حزب الله لا يزال ثابتاً على موقفه المبدئي في الاستمرار في مقاتلة العدو في إطار جبهة الإسناد لقطاع غزة، التي تطورت إلى جبهة « الحساب المفتوح» حتى يوقف العدو عدوانه على قطاع غزة، وأنه وكما أعلن الأمين العام لحزب الله في سياق تحديه لنتنياهو، بأنه لن يسمح بعودة المستوطنين إلى المستوطنات إلا بعد أن ترضخ قيادة العدو لمطالب المقاومة الفلسطينية، وعلى رأسها وقف العدوان على قطاع غزة.... وتقتضي الضرورة هنا أن نشير إلى أن حزب الله ألحق بالعدو خسائر كبيرة على الصعيدين البشري والمادي، لم يعلن عنها، ويخضعها بشكل صارم للرقيب العسكري .

أكاذيب نتنياهو تكشفها حقائق انتصارات المقاومة

لن نتوقف كثيراً أمام أكاذيب وترهات وزير الحرب الصهيوني «يو آف غالانت» ورئيس أركان الاحتلال هاليفي بأن جيشه قضى على نصف المنظومة الصاروخية لحزب الله، وأن حزب الله قبل أسبوع ليس هو حزب الله بعد أسبوع، فهي نوع من «البرو جاجندا» لرفع الحالة المعنوية للجبهة الداخلية الإسرائيلية .

كما أن هذه التصريحات الرسمية الإسرائيلية- وفقاً للعديد من المحللين- تتناقض تماماً مع واقع تعرض مواقعه العسكرية والاستخبارية والاقتصادية لضربات قاتلة من قبل صواريخ المقاومة اللبنانية، وتتناقض مع ما يقوله كبار المعلقين الإسرائيليين، سواء في الصحف أو في وسائل الإعلام المرئية، فهم يطالبون بنيامين نتنياهو بخفض توقعاته وطموحاته حتى لا يقع في الحفرة نفسها التي وقع فيها في قطاع غزة.

الحرب البرية: العدو سيعض أصابعه أولاً

لكن ما يجب التأكيد عليه أن العدو الصهيوني بات يقدم قدماً ويعيد أخرى، بشأن الدخول في حرب برية، لإبعاد قوات الرضون لمسافة 40 كيلو متراً إلى ما وراء نهر الليطاني الله، بعد أن أدرك أن القصف الجوي لن يحقق أهداف الحرب، فالحرب البرية محفوفة بالمخاطر إذا ما أقدم عليها وتنسف الإنجازات التكتيكية التي حققها بالاغتيالات وبالقصف الجوي على امتداد الأيام السابقة، وبهذا الصدد نشير إلى ما يلي :

1أن جيش الاحتلال في حال قرر القيام بهجوم بري، سيحارب على أرض حزب الله، وفي هذه الحرب – كما يؤكد العديد من الخبراء العسكريين – سيفقد مزايا التكنولوجيا والاستخبارات التي وظفها في القصف الجوي وعمليات الاغتيال، كما سيفقد الطيران ميزته أثناء التلاحم القتالي بين الطرفين .

-2 أن المقاومة في عقدها القتالية المنتشرة على طول الجبهة، ستلحق بقوات الاحتلال خسائر هائلة في إطار حرب العصابات، على الصعيدين العسكري والبشري، وستشهد جبهة جنوب لبنان مجازر هائلة للدبابات الصهيونية - وفي الذاكرة مجزرة الميركافا في وادي حجير في 12 أغسطس (آب) 2006 - وذلك في ضوء امتلاك الحزب لأسلحة متطورة لتدمير الدروع مثل الكورنيت المطور أو صواريخ الماس ألماس» ، الذي هو «نسخة معكوسة من صاروخ سبايك الإسرائيلي، الذي ألقت بها قوات العدو أثناء هربها في حرب تموز 2006، وعمل الحزب على إعادة تصنيعها عبر الهندسة المعكوسة.

-3 أن حزب الله لن يكتفي باستخدام الكمائن في إطار الحرب غير المتناظرة، بل من المؤكد أنه سينقل المعركة إلى مواقع العدو، عبر دوريات وسرايا تخترق عمق العدو لضربه وإيقاع الخسائر به وفي مؤخرة قواته .

-4 أن قوات الاحتلال (خمس فرق) التي ستخوض الحرب البرية غير جاهزة للحرب البرية على صعيد العدد والتجهيزات، ناهيك أنها منهكة جراء ما لحق بها من ضربات وخسائر في قطاع غزة.

-5 هذا كله ناهيك عن جاهزية ما يزيد عن (40) ألف مقاتل من جبهات الإسناد اليمنية والعراقية، بانتظار إشارة من أمين عام حزب الله للانضمام إلى جانب المقاومة في مواجهة جيش الاحتلال .

-6 والأخطر من ذلك أن حزب الله سيعمل على استخدام مخزونه الهائل من الصواريخ لدك العمق الصهيوني، التي تقدر بحوالي 200 ألف صاروخ، نسبة عالية منها من الصواريخ الدقيقة النقطية طويلة المدى.

خلاصةً: في خضم هذه المواجهات العسكرية، يمكننا القول إن الجانبين الإسرائيلي وحزب الله يواجهان معركة عض أصابع، ولا نبالغ إذ نقول إنه في ضوء معطيات ومخرجات الحرب، يمكن أن نستنتج «أن العدو هو من سيعض أصابعه أولاً» وسيكون مضطراً لمراجعة حساباته، وتدوير الزوايا للوصول إلى صفقة مع المفاوض الفلسطيني، تستجيب لشروط ومطالب المقاومة الواردة في ورقة 2 تموز (يوليو) الماضي وذلك خشية من تطور الأمور إلى حرب شاملة، خاصةً وأنه بات يواجه فشلاً مزدوجاً في جبهة جنوب لبنان وجبهة قطاع غزة .

كما المبادرة الأمريكية الأخيرة لإنجاز هدنة مؤقتة، التي لم يوافق عليها حزب الله حتى الآن ما كانت لتتم لولا انكشاف العمق الصهيوني والجبهة الداخلية للكيان أمام صواريخ حزب الله وبعد أن باتت المواجهة في مخرجاتها العسكرية تصب في مصلحة المقاومة الإسلامية في لبنان.

قراءة في وقائع وانعكاسات
تفجيرات ضاحية بيروت

أنيس محسن ـ صحافي فلسطيني ـ لبنان

فتح تفجير إسرائيل آلاف أجهزة النداء بيجر (Pager) ومئات أجهزة اللاسلكي (ووكي توكي) في 16 و17 أيلول/ سبتمبر 2024، والتي تسببت باستشهاد أكثر من 50 مواطناً وإصابة الآلاف بجروح، والغارة التي استهدفت قيادات في وحدة الرضوان في 20 أيلول/ سبتمبر، باب التساؤلات والاحتمالات على مصراعيه، سواء تلك المحلية أو الإقليمية والدولية، على ما جرى، وما يُمكن أن يحدث في المرحلة القريبة المقبلة، وعلى المدى الطويل.

الأثر عند حزب الله

لقد أحدثت تلك التفجيرات غير المسبوقة وغير المتوقعة، فوضى وعدم يقين في صفوف حزب الله وبيئته، واللبنانيين، والمقيمين في لبنان، وفي المحيط والإقليم، وعلى المستوى العالمي، ليس فقط إزاء المجزرة المرتكبة، ووسيلة ارتكابها، بل أيضاً مخاوف من استخدام هذا الأسلوب من قبل مجموعات ذات مطالب سياسية أو أُخرى إجرامية، وذلك لسهولة إنشاء شركات وساطة وخصوصاً في أوروبا بشرقها وغربها ووسطها، وهو ما كشفت عنه التحقيقات في سلسلة الوسطاء المتورطين في صفقة البيجرات المتفجرة.

فعلى الرغم من شجاعة حزب الله وشفافيته في الاعتراف بفداحة الخسارة وعمق الاختراق الأمني، وعلى لسان أمينه العام حسن نصرالله في إطلالة تلفزيونية في 18 أيلول/ سبتمبر، فإن الخسارة لا تقتصر فقط على مجرد تخريب أدوات اتصال والتأثير على سلاح الاتصالات، أو قتل أكثر من 50، وجرح آلاف العاملين في مؤسسات الحزب العسكرية والأمنية والمدنية، بل إحداث أثر إستراتيجي لجهة الوقت المطلوب لإعادة تأهيل الجرحى من جهة، وتنشئة وتدريب كادرات تحل مكان من تسببت جروحهم بإعاقات لن تتيح لهم إمكانية القيام بمهام.

إن عملية التنشئة والتدريب، تحتاج إلى وقت طويل، فالعملية لجيل الكادرات الجديد تبدأ بالتربية المدرسية في مؤسسات تربوية يمولها الحزب، وما بعد المدرسية، أما جيل الكادرات القديم، فإن تجربته بلورت قدراته التي استقاها من زمن الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في لبنان قبل 1982، وامتداداً إلى تجربة جبهتي المقاومة الوطنية والإسلامية في لبنان، وهو بدوره صعب، إن لم يكن من المستحيل تعويضه.

وأبعد من ذلك، فإن العملية تهدف إلى تعطيل القدرات البشرية، وهي التي تأتي ضمن منطق «السياسة الحيوية» مثلما يوصفها الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو، والتي فصلها الطبيب غسان أبو ستة في كتابه المشترك مع ميشال نوفل «سردية الجرح الفلسطيني: تحليل للسياسة الحيوية الإسرائيلية» (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2020، ص 173)، بشأن طبيعة الإصابات التي كانت تحدثها آلة القتل الإسرائيلية في قطاع غزة في الحروب التي سبقت حرب الإبادة المتواصلة منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2023، واستنتج أنها تهدف إلى «تعطيل الطاقة الشبابية

وتحويلها إلى كتلة تحتاج للإعانة، ويمكنها أن تَثُل بمطلب معالجتها شبكة اجتماعية مكونة من العائلة والمحيط»، وبالتالي فإن مئات الجرحى المعوقين يحتاجون معهم إلى أكثر من ضعف عددهم لمساعدتهم في حياتهم اليومية لبقية العمر.

على المدى المنظور، لفت نصرالله في خطابه بعد التفجيرات إلى أن حزب الله قادر وسوف يُعطل ثلاثة أهداف توختها إسرائيل من التفجيرات، وهي: فصل جبهة المساندة في لبنان عن الحرب على غزة، والتأثير على القيادة والسيطرة، وضرب الروح المعنوية لدى المقاومة وبيئتها، وهو أمر أظهرته وقائع الالتفاف الشعبي حول المقاومة، على الرغم من الخسارة الفادحة، وكذلك أظهره رد حزب الله الصاروخي قبل بضع ساعات من تشييع القائد إبراهيم عقيل الذي استشهد في الغارة، والذي أصاب بدقة قاعدة ومطار رامات ديفيد ومجمع الصناعات العسكرية الإلكترونية لشركة رفائيل، شمال مدينة حيفا المحتلة في 22 أيلول/ سبتمبر.

الأثر إسرائيلياً

صحيح أن إسرائيل حققت إنجازاً كبيراً من خلال عمليتي تفجير أجهزة الاتصال واستهداف قيادات وحدة الرضوان، وهذا أمر اعترف به حزب الله على لسان أعلى مستوياته، لكن مثل هذا الإنجاز هو تكتيكي باعتراف أهم المحللين الإسرائيليين، ومنهم يتسحاق بريك في مقالة نشرها موقع القناة 12 يوم 22 أيلول/ سبتمبر، إذ «لا يُحدث هذا العمل التكتيكي أي تغيير في الواقع الإستراتيجي [....] تخوض إسرائيل حرب استنزاف منذ عام ضد «حماس» وحزب الله، وهي حرب تلحق بنا أضراراً جسيمة في جميع مجالات الحياة»؛ بل إن رد حزب الله السريع والناجح، عطل حتى هذا الإنجاز التكتيكي.

ويُمكن تعداد أهداف أُخرى ذات طابع داخلي، من تلك العمليات: تكريس نتنياهو نفسه رقماً صعباً في السياسة الإسرائيلية، والتعمية على فشل القضاء على المقاومة في شمال قطاع غزة، والتقليل من شأن شعبوية معارضيه الذين يأخذون عليه تأخره في شن حرب على جنوب لبنان؛ أما الأجهزة الأمنية والجيش الذين وصموا بالفشل في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، فقد أزالوا بعض الضغط من على كاهلهم، من خلال عملية معقدة ومحبوكة وناجحة.

لكن هناك أيضاً تقارير تحدثت عن أن تنفيذ التفجيرات جاء بعد أن اقترب حزب الله من اكتشاف عملية تفخيخ الأجهزة، فيما كان المفترض أن يتم ذلك في بداية عملية واسعة ضد الحزب، على ما كشف موقعا «المونيتور» (Al-Monitor) و«أكسيوس» (Axios)، في تقريرين منفصلين في 18 أيلول/ سبتمبر، الأمر الذي أفقد إسرائيل اللحظة («المومنتم»)، وقلل بالتالي من الإنجاز، على أهمية ما تحقق، ومكّن حزب الله من إعادة ترميم سلاح الاتصالات لديه بسرعة، وتعجيل إجراء الحزب تقييماً لما حصل وتحقيقاً أمنياً داخلياً وخارجياً، وفق ما أعلنه نصرالله في خطابه.

ما يُمكن تسجيله أيضاً، أن العلاقة بين حزب الله والحكومة اللبنانية تزداد تلاحماً، فرسمياً تحرك لبنان نحو المجتمع الدولي لدفعه نحو إدانة إسرائيل، وعمل على رفع شكوى إلى الأمم المتحدة بهذا الشأن.

هكذا، فإن هدف تفكيك بيئة حزب الله الداخلية، والبيئة اللبنانية غير المعادية أساساً للحزب، يكون قد أفشلته عملية التفجير، بل إن خسائر إسرائيل لدى الرأي العام الدولي تعززت، كون ما جرى اعتبر جريمة حرب موصوفة.

تأثيرات إقليمية ودولية

أثبتت عملية تفجير لاسلكيات حزب الله، أن اعتراض سلسلة توريد، أو إنشاء شركات صورية عملية سهلة، وتزوير منتجات إلكترونية، ليس بالضرورة حكراً على دول، فالأمر ممكن لدول أقل كفاءة، أو دول متعثرة، أو مجموعات عُنفية أو إجرامية في حيّز دولاتي غير مسيطر عليه، الأمر الذي يفترض أن الأمن الإقليمي والدولي بات على كف عفريت الجريمة الإسرائيلية بحق آلاف اللبنانيين من بيئة حزب الله، وبالتالي بات على دول الإقليم وعلى العالم كله الحذر منذ الآن من أن كل شيء ممكن، ما دام كل شيء مباحاً لإسرائيل.

هذه المخاوف دفعت حكومات تايوان، وهنغاريا، وبلغاريا، واليابان، حيث شركات متورطة بعلم أو من دون علم، إلى المسارعة في فتح تحقيق أمني بصلة شركات وطنية أو مسجلة في دولة من تلك الدول بالحدث اللبناني الأخير.

كذلك، لم يعد في مقدمة الأخبار: الحرب الروسية الأوكرانية التي يجري الكثير من تطوراتها من دون تركيز إعلامي عليها، حيث تتم الإضاءة عندما يحدث شيء خارج الستاتيكو هناك، مثل احتلال الجيش الأوكراني جزءاً من إقليم كورسك الروسي.

أبعد من ذلك، ثمة أثر سلبي على اقتصاد الدول المصنعة، واستطراداً على الاقتصاد العالمي، ويظهر ذلك من خلال مبادرة الشركات المتورطة إلى نفض يدها من الصفقة: فلا تايوان صنعت، ولا هنغاريا بدورها، وبلغاريا تحقق، واليابان توقفت عن صناعة الووكي توكي المتفجر في لبنان منذ 10 سنوات، والفرع الأميركي أعلن أن ثمة الكثير من الأجهزة المقلدة والمزورة، والجميع أبدى استعداداً للتعاون مع التحقيق اللبناني.

لم يكن ذلك نكراناً من أجل النكران، ولا استعداداً للمساعدة حباً بلبنان، بل خوفاً من أن سوق تلك الشركات سوف يتأثر سلباً، بعد أن يبدأ الزبائن المفترضين في فحص تداعيات الأمر مالياً وعلى تجارتهم، ويبدأ المستهلكون بأخذ الحيطة والحذر من إمكانية أن تقوم أي جهة بالعبث بتلك الأجهزة.

فلنتصور أن عدداً من سلاسل الإنتاج والتوريد اعتُرضت بشكل متتالي عالمياً، من قبل دول أو مجموعات، وتعطلت تلك السلاسل التي تطورت مع تطور الحقب الاقتصادية والاجتماعية ذات الصلة، فإن الاقتصاد محكوم بالعودة إلى وسائل الإنتاج والتوريد والنقل القديمة، وهو أمر شبه مستحيل، وإن حصل فهو كارثة للاقتصاد العالمي كله.

نتنياهو ورؤية السلام العربي الحالم

أحمد عويدات – كاتب سياسي فلسطيني / السويد

يُخيَّل للكثيرين أن فرص السلام مازالت متاحة في المنطقة برغم كل الأحداث الإجرامية والتطورات العدوانية، واختلال موازين القوى لصالح نهج المقاومة، وظهور مشهد فلسطيني وآخر عربي مقاوم يدعو للفخر والاعتزاز تمثّل بقوة وثبات المقاومة الفلسطينية الأسطوري، ونوع وكم إنجازاتها الميدانية، والتفاف الحاضنة الشعبية الفلسطينية خصوصاً والعربية حولها وحمايتها وتعزيز صمودها. وينسى أو يتناسى هؤلاء ما يؤمن به ويمارسه نتنياهو فعلاً من إجرام تجاوز كل الخطوط الحمراء والتحذيرات؛ ضارباً بعرض الحائط كل القيَم والمبادئ والقوانين الإنسانية. وليس أدل على ذلك أكثر من مئات مجازر الإبادة الجماعية في قطاع غزة والضفة ولبنان وآخرها وليس أخيرها مجازر النصيرات والبريج والمواصي وخيم النازحين، ومجزرة التمثيل والتنكيل بشهداء قباطية / جنين، ومجزرة تفجير أجهزة «بيجر» للاتصالات.

إن أي متابعٍ لسياسة وسلوك نتنياهو منذ اعتلائه المشهد السياسي الإسرائيلي وحتى يومنا هذا، يلحظ تصاعد وتواتر عدوانيته وشراهته لارتكاب المزيد من مجازر الإبادة الجماعية والتطهير العرقي؛ توافقاً مع عقيدة القوة الردعية الساحقة الضاربة التي تعشعش في ذهنه، والتي استلهمها من أبيه الروحي المتطرف زئيف جابوتنسكي ومن أجداده الذين أقاموا دولة الكيان بقوة السيف التلمودي على أنقاض شعبٍ آمنٍ وجوده متجذر في فلسطين منذ مئات السنين لجماعاتٍ مارقةٍ سهَّل قدومها من أصقاع الأرض الأربعة ومن وراء البحار الانتداب البريطاني بعد وعد بلفور المشؤوم.

إن هذه العدوانية والروح الإجرامية المتأصلة في فكر نتنياهو والقادة الصهاينة ترافقها دائماً تصريحات نارية رافضة لأية صيغة لحلٍ سلمي يفضي إلى إقامة دولة فلسطينية، أو إلى استقرارٍ في المنطقة. وطوال حياته السياسية كان نتنياهو ومازال يؤكد على رفض فكرة حل الدولتين، أو إقامة دولة فلسطينية، حتى إنه حرّض الجمهور الإسرائيلي على رفض اتفاقات أوسلو، مما أدى فيما بعد إلى اغتيال إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك والذي وقّع على هذه الاتفاقات، وبعدها أصبح نتنياهو رئيساً للوزراء. حتى إن سياسة التهجير والقوة المفرطة استلهمها من جابوتنسكي الذي كان يقول: «من يعتقد أنه من الممكن التوصل إلى اتفاقٍ مع الفلسطينيين، وإقامة سلامٍ معهم هو غبي؛ لأن الفلسطينيين لن يتركوا أرضهم، لذلك يجب طرد وترحيل الفلسطينيين». إن هذا التمثّل لفكر جابوتنسكي يتجسد في تصريحٍ لنتنياهو ذات مرة في معرض رده على تصريحات أنطوني بلينكن وزير الخارجية الأمريكي أمام مؤتمر ميونخ للأمن والسلام بقوله: "إن أي إعلان أحادي الجانب للاعتراف بدولة فلسطينية لن يجلب السلام، إنما سيخاطر بأمن إسرائيل».

ويُذكر أن نتنياهو ذهب بعيداً في تفاخره بأنه كان وراء رفض الكنيست الإسرائيلي بالإجماع لفكرة حل الدولتين، والتي دأب على رفضها منذ أكثر من 17عاماً خلت. وفي شهر أغسطس/آب الماضي وفي خطابٍ له أمام حشد إسرائيلي في تل أبيب، ذهب أبعد من ذلك لتطال أطماعه ونظرته التوسعية إلى مناطق غزة وخانيونس ورفح ودير البلح، عندما اعتبرها مناطق «جبل إفرايم» التوراتية مما يعني أحقية اليهود في هذه المناطق؛ وهذا بدوره يفسّر تعنت نتنياهو برفض وقف إطلاق النار وإصراره على عدم الانسحاب من قطاع غزة كاملاً، بل سعيه إلى تدميرها عن بكرة أبيها، وإعدام كل جوانب الحياة فيها لدفع أهلها هناك إلى التهجير الطوعي بعد فشل التهجير القسري.

في حقيقة الأمر، إن هذا الربط الجديد بين التاريخ «التوراتي » والجغرافيا الفلسطينية تؤكده أيدولوجية الصهيونية العدوانية التوسعية العنصرية في الأهداف والأسلوب؛ والتي يجسدها نتنياهو باعتبار نفسه أحد الثالوث الصهيوني الذي سيخلده التاريخ – بحسب اعتقاده – بوصفه قائد «معركة الوجود والاستقلال الثاني» الذي تواجهه دولة الكيان على جبهات عدة.

في سياق متصل آخر، إن استبدال

نتنياهو لمبدأ «الأرض مقابل السلام» التي انتهجها إسحق رابين وشمعون بيريز بمبدأ «السلام مقابل السلام» يعني بكل وضوح أن لا دولة ولا انسحاب من أي شبر من الأرض الفلسطينية؛ وهذا ما يفسر ضم هضبة الجولان واعتبار القدس عاصمة «إسرائيل»، وتأييد الإدارة الأمريكية إبان ولاية ترامب لذلك، وإلغاء قانون الارتباط بمناطق شمال الضفة الغربية ومصادقة الكنيست على ذلك، إضافةً إلى ما سبق ما جاء على لسان نتنياهو في تسميته للضفة الغربية بأراضي «يهودا والسامرة» بوصفها أراضيَ إسرائيلية. إن كل هذه الخطوات الخطيرة تؤكد سياسة نتنياهو وتعنته وتمسكه بالعقيدة التوسعية والطبيعة الاستحلالية والإجلائية لكيانه التي هي جوهر وحقيقة الصهيونية، ناهيك عن رفضه المطلق والمتواصل لأي مبادرة سلام مهما كان التنازل فيها صغيراً من جانب «إسرائيل».وفي ذات السياق، كشف إيهود باراك رئيس وزراء دولة الاحتلال السابق لقناة 12العبرية ما مفاده أن: «خطة بن غفير سموتريتش تشمل ضم الضفة الغربية بالكامل، والتجهيز لطرد الفلسطينيين في أنسب فرصة، وإنهما يخططان لإقامة حكم عسكري دائم في قطاع غزة». وهذا يؤكد - فيما لا يدعو مجالاً للشك - حقيقة ما ذكرناه آنفاً عما يخطط له نتنياهو والقادة الصهاينة الآخرون.

على الجانب الآخر، لاتزال معظم الأنظمة العربية الحاكمة - إذا لم نقل جميعها- تتعامى عن هذه المخططات، وهذه السياسات الرامية إلى تقويض المشروع العربي التحرري. إذ ما زال لديهم الاعتقاد بإمكانية التوصل إلى حل الدولتين بضغطٍ أمريكي وأوروبي، ويرى البعض بعمليات التطبيع لجماً للمخطط التوسعي الصهيوني، وجلباً للأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي في المنطقة؛ وإن كان ذلك على حساب القضية الفلسطينية التي كانت ذات يوم في صلب سياستهم وقضيتهم المركزية، ولا يمكن التنازل عنها أو المساومة عليها. لقد تناسى هؤلاء الحكام أن صنع السلام يحتاج إلى موازين قوى وقد بدأت المقاومة بامتلاكها من خلال قدرتها على فتح ساحات صراعٍ جديدة طالما كانت مغلقة في مواجهة الاحتلال وشركائه وداعميه، وأقامت تحالفاتٍ جديدة غير مسبوقة، وحققت بفضل صمودها والتفاف الجماهير الفلسطينية والعربية حولها تآزراً ودعماً دولياً من أصدقاء وحلفاء وأحرار العالم منقطع النظير تجسد من خلال مظاهرات التأييد والاحتجاجات والاعتصامات العارمة، ومواقف الدول في الأمم المتحدة ومنظماتها، وقراراتها المؤيدة للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة في مواجهة الرواية الإسرائيلية الكاذبة، والاعتراف بدولة فلسطين، والأهم من ذلك كله قدرة المقاومة على امتلاك قوة الردع بموازاة قوة الردع الإسرائيلية؛ ولعل الصاروخ اليمني الذي أصاب هدفه قرب مطار بن غوريون قاطعاً مسافة 2040كم خلال إحدى عشرة ونصف الدقيقة، وساخراً من المنظومة الصاروخية الردعية الإسرائيلية خير مثالٍ على تلك القدرات.

إن هذا المشهد الفلسطيني والعربي المقاوم والذي أحدث واقعاً جديداً في موازين القوى يحتاج من الأنظمة إلى إعادة النظر بسياساتها، ومغادرة عتبة مصالحها المرتبطة بالكيان والولايات المتحدة، والأخذ بعين الاعتبار مصالح وطموحات وآمال شعوبها في التحرر والتنمية والاستقرار.

إن تجربة العقود الماضية من توقيع المعاهدات والاتفاقات مع الكيان الصهيوني أثبتت تجاهل هذا الكيان وخرقه المتكرر لبنود هذه الاتفاقات بما يتماهى مع مصالحه، وتماديه بعمليات الإبادة والتدمير الممنهجين.

الواضح تماماً أن لا اتفاقات أوسلو بقيت، ولا اتفاقية وادي عربة ولا اتفاقيات كامب ديفيد أيضاً. ولم يَطل التطبيع الشعوب أبداً. فهذا الكيان مازال جسماً غريباً في المنطقة؛ لا يمكن القبول به أو التعايش معه وتقاسم الأمن والسلام معه. لقد أنتجت هذه الاتفاقيات واقعاً كارثياً؛ إذ أنها أفقرت شعوب المنطقة وأردت اقتصادياتها قتيلةً للديون والقروض الجائرة، وقوضت مصالحها، وزادت الطمع بخيراتها وثرواتها، ورفعت من معدلات البطالة والركود الاقتصادي والتضخم. أضف إلى ذلك، شكلت هذه الاتفاقيات جسراً لعبور دولة الكيان إلى دول التطبيع كافةً، والتي ستعاني ذات يوم من سيطرة الشركات ورؤوس الأموال الإسرائيلية على اقتصادها، وحتى على دخل المواطن فيها، ناهيك عن التغيير الديمغرافي الذي سيحدث مستقبلاً وصولاً للهيمنة والسيطرة التامة على هذه الدول والتحكم بسياساتها.

إن استمرار اللهاث العربي الرسمي وراء سراب السلام الضائع والحالم، وتجاهل حقيقة العقيدة المتأصلة في أذان نتنياهو وقادة الصهاينة ستؤدي إلى ضياع فرصةٍ ثمينة أوجدتها المقاومة في السابع من أكتوبر وما تلاه؛ وذلك بعدم استثمار إنجازاتها بقوة صمودها وثباتها وشجاعة مواجهتها لهذا الكيان الهش القائم على ضعف ولامبالاة هذه الأنظمة بإدارة الظهر لمناحي القوة في هذا الصراع.

من نافل القول إن توظيف القوة الناعمة والقنوات الدبلوماسية ليس معادلة صائبة في مواجهة القوة الخشنة التي يهدد نتنياهو باستخدامها لسحق أي تهديد إقليمي محتمل. وما تصريح وزير الداخلية الأردني الأسبق عقب عملية معبر الكرامة البطولية التي نفذها الشهيد ماهر الجازي إلا تأكيد لذلك: «لا بد للعرب من تطوير أدوات المواجهة ضد هذا العدو المجرم».

أمام هذه الحقائق، وفي ظل الانقسامات والخلافات الداخلية الإسرائيلية على كافة المستويات؛ فإن القوة الساحقة التي طالما تغنّى بها نتنياهو واستخدمها كقوة رادعة في الإبادة والتدمير والتهجير لن تنكسر إلا على صخرة صمود الشعب الفلسطيني، وصلابة وبسالة مقاومته، ودعم وإسناد ومشاركة الأشقاء في ساحات المقاومة، وأن استمرار الرهان على التوصل إلى سلامٍ مع الكيان الصهيوني؛ إنما هو إمعان في دفن الرأس بالرمال ولهاث وراء سرابٍ وراءه سراب.

«الحساب المفتوح».. هل نحن أمام حرب شاملة أم مواجهة محدودة

عزيز موسى ـ كاتب وباحث في الشؤون الأمنية والدولية

اتسعت رقعة المعارك بين فصائل المقاومة والكيان الصهيوني على عدة جبهات بدءاً من غزة وصولاً إلى جنوب لبنان مع حزب الله، وذلك كنتيجة حتمية لزيادة مستوى التوحش والجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني على المناطق الآمنة واستهداف المدنيين، لتشتعل لاحقاً جبهة الإسناد الأساسية لفلسطين المحتلة في جنوب لبنان، وتحديداً منذ تاريخ 2024/9/17 من خلال قيام الكيان بهجوم سيبراني وخرق استخباري في سياق تصعيد عسكري بتفجير آلاف أجهزة «البيجرز» التي استهدفت أكثر من 3000 شخص منهم من استشهد ومن أصيب إصابات كبيرة، مما نقل طبيعة الصراع إلى مستوى جديد عماده التصعيد، مقرون بعمليات اغتيال متتابعة ضد المقاومة الإسلامية في لبنان، وكتجاوز واضح لقواعد الاشتباك نظراً لحجم قوة جبهة الإسناد ودعمها.

ارتفاع مستوى العمليات العسكرية والمواجهة المباشرة بين حزب الله والكيان الصهيوني جاء نتيجة لقيام الأخير باستخدام شتى أنواع الأسلحة والهجمات ضد المدنيين في قرى جنوب لبنان والضاحية الجنوبية في بيروت، فضلاً عن استهداف قيادات الحزب العليا، وصولاً إلى ما حصل يوم الجمعة 9/27 باستهداف الجيش الإسرائيلي لسبعة مباني في الضاحية الجنوبية بقنابل خارقة عددها 85 وبحجم متفجرات بلغ 6000 طناً ، لاغتيال السيد حسن نصرالله ومجموعة من القادة الذين يرافقونه، وهذا ما سينقل واقع الحرب والقواعد إلى مستوى جديد ومختلف تماماً سيحمل كل الاحتمالات المفتوحة سواء بالتصعيد نحو حرب شاملة، أو معارك استنزاف تطول نظراً لطبيعة الحزب المرنة والديناميكية.

هذا التطور الخطير أدى لتغيير معادلات الحرب الذهاب نحو احتمالية نشوب حرب إقليمية واسعة بشكل متزايد، مما سيدفع لنسف قواعد الاشتباك القائمة، إذا سعى العدو من خلال استهدافاته لتحقيق عدة نقاط أساسية:

أولاً- اعتماد مبدأ تصدير الحرب والأزمة بسبب فشل الكسان تحقيق أهدافه في غزة ضد. ادفصائل المقاومة، والعكل على استهداف المدنيين لإثارة الرعب ومحاولة إضعاف بيئة المقاومة من جهة، وتغطية حجم خسائره من جهة ثانية.

ثانياً- استخدام الكيان الصهيوني لأسلحة تعتمد على المدى التدميري الواسع، بعد أن تم القيام بعدة هجمات سيبرانية، واعتماد مبدأ التكثيف الناري بالتزامن مع الهجمات المتكررة على المقاومة في غزة.

ثالثاً- التعويل على الحرب النفسية بإطلاق الشائعات واستهداف رموز المقاومة، في إطار إضعاف معنويات المقاتلين وإبعادهم عن الجبهات.

من جهة ثانية استطاع حزب الله تحقيق انتصارات تكتيكية كجهة إسناد ودعم وخاصة باستخدامه أسلحة نوعية واستهداف نقاط حساسة للكيان والتي كان آخرها إطلاق صاروخ باليستي «قادر1» الذي استهدف مبنى الموساد الإسرائيلي في تل أبيب بما يشير إلى قوة وحجم بنك الأهداف الذي يمتلكها الحزب، كما أن اغتيال القائد الشهيد نصرالله ورفاقه قد نقل طبيعة المعارك والحسابات نحو جبهات متعددة ومفتوحة، لاسيما أن الحزب يعتمد هيكلية مرنة تختلف عن الجيوش النظامية وهذا يمنحه مناورة كبيرة واسعة لجهة المرحلة المقبلة والأيام القادمة التي ستتخذ شكل المعارك التي لا ترقى إلى مستوى حرب شاملة وإنما بضربات نوعية تكون أصعب على الكيان من الحرب.

«إعلان بيروت» للقاء اليساري العربي العاشر
جبهة المقاومة الوطنية العربية خيارنا وقرارنا ومهمتنا

سمير دياب ـ المنسق العام للقاء اليساري العربي

ليس جديداً، أن تحتضن بيروت عاصمة الصمود والمقاومة والتحرير، عقد اللقاء اليساري العربي العاشر، وبالتزامن مع الذكرى الـ42 لـتأسيس جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية في 16 أيلول 1982. لتؤكد مجدداً من بيروت إلى غزة والضفة والقدس، وبالإجماع، أن خيار أحزاب اللقاء اليساري العربي الثابت، ومهمتها الثورية، تتجه نحو فلسطين، بصفتها القضية العربية المركزية، وبأن «جبهة المقاومة الوطنية العربية الشاملة» هي الحل الجذري نحو تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، وضمان لحق العودة وإقامة الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وفق المشروع الثوري لحركة التحرر الوطني العربية.

هذا هو هدف اللقاء اليساري العربي العاشر الذي انعقد في بيروت ما بين 13 و15 أيلول / سبتمبر2024، وشارك في أعماله 20 وفداً يسارياً عربياً من 10 بلدان عربية شقيقة، تحت شعار: «لتعزيز دور اليسار العربي في مواجهة العدوان الإمبريالي – الصهيوني المستمر على فلسطين ولبنان والمنطقة». هذه مهمة ملحة ولو متأخرة ، تشكل بحد ذاتها وعي ضرورتها في الواقع والتاريخ، والمدخل الثوري لفهم دور اليسار العربي المطلوب في هذه المرحلة المصيرية.

ما يحفز اليسار العربي، ويدفعه لتفعيل ثوابته وترجمتها ثورياً، وتدعيم أطره التنظيمية كقوة يسارية عربية وازنة، هي تلك المتغيرات المفصلية التي استجدت أثر العملية النوعية البطولية للمقاومة الفلسطينية في 7 تشرين الأول – أكتوبر 2023، وما تلاها من عدوان صهيوني وحشي بالشراكة مع الإمبريالية الأميركية والأطلسية على غزة، وتنفيذ حرب إبادة جماعية مستمرة حتى يومنا هذا. مقابل، ما يواجهه هذا العدوان الفاشي من ملاحم أسطورية لصمود الشعب الفلسطيني بإرادة وعزيمة وثبات، وبمقاومة نوعية وصلبة، أديا معاً إلى إفشال أهداف العدوان الحقيقية في تصفية القضية الفلسطينية وشطب حقوق الشعب الفلسطيني وتهجيره. هذه المواجهات البطولية غيرت في طبيعة الصراع مع العدو، وفرضت نفسها، ونقلت القضية الفلسطينية من ضفة التهميش والتغييب إلى ضفة الحضور والفعل والمقاومة والدعم والمساندة والتضامن العربي والأممي.

ومع هذا الفشل المحقق للعدوان يتعمق أكثر مأزق العدو الاستيطاني التوسعي على المستويات السياسية والأمنية والاجتماعية. لذلك، يلجأ هذا العدو إلى رفع منسوب ارتكاب المجازر واستهداف الأطفال والمدنيين في غزة والضفة، وإحداث المزيد من التدمير لتعطيل المفاوضات، والتهديد بتوسيع دائرة الحرب على لبنان والمنطقة لفك مساراتها، وتجزئة الجبهات الداعمة والمساندة للمقاومة الفلسطينية وضربها مستفيداً من الضوء الأخضر الأميركي لتوسيع الحرب على جبهة لبنان المقاومة التي بدأت واقعاً، كجبهة حرب مفتوحة، بعد العدوان الوحشي الصهيوني – الإمبريالي على لبنان وشعبه ومقاومته في 17 أيلول عبر تفجير أجهزة الاتصال المدنية اللاسلكية «البيجر والإيكوم» وسلسلة الاغتيالات التي طالت قادة في المقاومة، وهي حرب تستكمل اليوم بأعنف عدوان وحرب الإبادة الجماعية وحملة التهجير الواسعة التي تطال السكان الآمنين في قرى وبلدات الجنوب والبقاع واستهداف الأطفال والمدنيين في كافة أرجاء لبنان بهدف شل قدرة المقاومة في لبنان، وفصل الجبهتين المقاومتين، للاستفراد بالمقاومة الفلسطينية، كمحاولة لتحقيق انتصار ما ولو شكلي، يحسن صورة الفاشي نتنياهو وحكومته الإرهابية أمام الرأي العام الداخلي والدولي في الوقت الذي تشارك وتبارك الإمبريالية الأميركية كافة الأفعال الجرمية للكيان الصهيوني، وتدفع باتجاه حمايته ورعايته، وتعطيل أي حل لوقف حرب الإبادة الجماعية في

غزة. أو في لبنان، إلا بما يتناسب وأهداف مشروعها الاستعماري «الشرق الأوسط الجديد».

وسط هذه المشهدية، ومع احتلال القضية الفلسطينية مقدمة القضايا الدولية، يتكشف أكثر فأكثر تواطؤ الرجعية العربية وأنظمة التطبيع، والانحدار إلى مستويات غير مسبوقة من الانبطاح والذل والعار والخيانة. بحيث لم يعد خافياً على شعوبنا العربية الصامدة المقاومة أن هذه الأنظمة تشكل الوجه الآخر للمشروع الأميركي المأزوم التي تقوم بوظيفتها في محاولة تقويض انتصارات شعوبنا، وتطويق المقاومة، ومنع إحداث أي تغيير ديمقراطي .

وما بين أنظمة الرجعية والتطبيع العربية من جهة، وأنظمة البرجوازية التابعة واستبدادها من جهة أخرى، تعيش شعوبنا العربية أصعب مراحل التمزق والتقسيم والتفتيت والصراعات الطائفية والمذهبية والقبلية والعشائرية والنزيف المستمر. كما تعيش أسوأ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المترافقة مع الفقر والبطالة والهجرة وانهيار العملات الوطنية بفعل السياسات الاقتصادية النيوليبرالية المتوحشة وشروطها التي تغرق شعوبنا بالديون والفوضى والفساد والنهب الممنهج والمنظم.

وعي هذه الضرورة الوطنية، أملت على الحزب الشيوعي اللبناني ترجمة «نداء المقاومة» الصادر عنه، واستعداده لتفعيل دور «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» لمواجهة المحتل الصهيوني، وعقد اللقاء اليساري العربي العاشر في الزمان والمكان لانطلاقة «جمول» إن من حيث موقعه ودوره أو من خلال تجربته في فعل المقاومة والتحرير ضد المحتل الصهيوني، كما في فعل فصائل اليسار الفلسطينية المقاومة إلى جانب كافة القوى الإسلامية المقاومة في غزة والضفة والقدس أو المقاومة في لبنان. فكان هدف اللقاء وجمع شمل الأحزاب اليسارية العربية المناضلة والمقاومة هو في العمل الموحد والمشترك للإجابة عن راهنية التحديات وترجمة «ما العمل؟» ميدانياً، وفق المشروع الوطني التحرري ومنطلقاته الأساسية التالية:

- في تفعيل المواجهة ضد المشروع الإمبريالي – الصهيوني – الرجعي العربي، عبر النهوض بجبهة مقاومة وطنية عربية شاملة.

- في رفض كل أشكال التطبيع والعلاقات مع الكيان الصهيوني ومقاومته، بكل الوسائل المتاحة، وتفعيل حملة المقاطعة الشاملة.

- في تعزيز النضال للتخلص من التبعية السياسية والاقتصادية والأمنية، وبلورة خطة للنهوض الاقتصادي والاجتماعي تقوم على أسس وطنية منتجة .

- في ضرورة تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية كمهمة وطنية مقاومة، وتطبيق مخرجات إعلان بكين وفي تعزيز التضامن الأممي.

- في الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات العامة والديمقراطية. والدفع بالنضال السياسي والنقابي العمالي والشبابي والنسائي والمهني في كافة الميادين لتثمير مكتسبات وانتصارات شعوبنا العربية وتوفير مقومات صمودها، وتحقيق تطورها وتقدمها في بناء دول وطنية ديمقراطية مقاومة.

هذه العناوين والقضايا.. وغيرها، هي في صلب مشروع حركة التحرر الوطني العربية. واليسار العربي، هو المعني الأول في البحث بحقل المعرفة العلمية لتجديد مشروعه التحرري، وفي البحث عن أطر مبتكرة لتجديد أدواته وأساليب عمله في الظروف العادية وغير العادية، ليبقى حاضراً وفاعلاً ومؤثراً في سيرورة العملية الثورية لتحقيق أهداف شعبنا العربي في التحرير والتغيير الديمقراطي.

ولأن دور اليسار العربي ووظيفته التحررية يكمن في حضوره وتأثيره ومسؤوليته التاريخية الثورية، ولأن العدوان يستهدف فلسطين ولبنان والمنطقة برمتها، وأمام دقة الوضع الراهن وخطورته، فقد تمحور نقاش اللقاء اليساري العاشر حول ضرورة وأهمية «قيام جبهة مقاومة وطنية عربية» وتعزيز الصمود الوطني الشعبي، وهذه خلاصة القرار والمهام ومضمون الورقة السياسية «لإعلان بيروت» الصادرة بالإجماع عن اللقاء، لمواجهة التحديات المصيرية الراهنة والمستقبلية.

هذه المهام، من مسؤولية اليسار العربي الوطنية والطبقية، وتمثل أقل واجب الثقة والالتزام تجاه قضايا شعوبنا العربية المناضلة، وأمام أسطورة نضال الشعب الفلسطيني في غزة الذي يصنع بصموده وتضحياته عزته وكرامته، وعزتنا وكرامتنا، وعزة وكرامة شعوب العالم. ويبرهن مجدداً أن هذا الشعب المستحيل يفعل المستحيل بمقاومته وعزيمته، والتمسك بهويته، بأنه صاحب قضية لن تموت، وأن حقوقه الوطنية التاريخية المشروعة، ستبقى مشروعة، يُصعب هزمها أو اقتلاعها أو المساومة عليها. والأهم، أنه أثبت للمرة الألف أن طريق المقاومة الوطنية بأشكالها المختلفة، كما أثبت نضال الشعب اللبناني ومقاومته الوطنية، ويثبته اليوم مجدداً، بأنه الخيار الصحيح، والحل الجذري المفضي إلى فجر الحرية والتحرير الشامل. وما عدا ذلك، هو بمثابة قرار بإعدام القضية والحقوق الوطنية كاملة.

لا يحتاج اليسار لتأكيد المؤكد. عليه واجبات ومهمات ثورية، يجب القيام بها، والعمل لاستنهاض مشروع حركة التحرر الوطني العربي، وترجمته عملياً وميدانياً إلى جانب جماهيره وكافة قوى المقاومة والتحرر على اختلاف مشاربها وتسمياتها لمواجهة أخطر مشروع أميركي – صهيوني – رجعي عربي على فلسطين ولبنان والمنطقة.

هذا هو اليسار العربي الذي ننتمي إليه، ونعتز بتاريخه النضالي الوطني والطبقي الوفي لشهدائه وأسراه وجرحاه.. والمنحاز أبداً للطبقة العاملة وللفلاحين والمثقفين الثوريين وكافة الفئات الاجتماعية الكادحة المفقرة والمستمر في نضاله مع الأجيال من أجل التحرير والتغيير الديمقراطي على طريق الاشتراكية.

المجد والخلود للشهداء الأبرار، والحرية للأسرى، والنصر لفلسطين.

اقتصاد المعرفة:
مكوناته وأهميته، ودوره في الاقتصادات العربية
عرض مبسط

د. أدهم شقير ـ باحث في الشأن الاقتصادي ـ سورية

الاقتصاد الذي يستفيد من الاكتشافات العلمية والأبحاث ونظام إنتاج السلع والخدمات فيه يعتمد بشكل أساسي على رأس المال الفكري هذا هو اقتصاد المعرفة ويحتل أهمية كبيرة في معظم الاقتصادات في الدول المتقدمة .

ويمكن تعريف اقتصاد المعرفة باعتباره سوقًا لإنتاج وبيع الاكتشافات العلمية والهندسية، إذ يمكن تحويل المعرفة إلى سلع في شكل براءات اختراع أو غير ذلك من أشكال حماية الحقوق الفكرية، ويعد منتجو مثل هذه المعلومات مثل الخبراء العلميين، ومختبرات البحوث جزءاً من اقتصاد المعرفة.

وقد أصبح الاقتصاد العالمي أكثر اعتماداً على المعرفة بفضل العولمة، التي ساهمت في انتشار أفضل الممارسات الاقتصادية التي تطبقها كل دولة.

وحسب البنك الدولي اقتصاد المعرفة يحتاج توافر أربع ركائز هي المؤسسات التي تقدم حوافز لريادة الأعمال، توافر العمالة الماهرة ونظام تعليمي جيد، إمكانية الوصول للبنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بالإضافة إلى بيئة ابتكارية تشمل الأوساط الأكاديمية، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني.

- في اقتصاد المعرفة تعمل المنتجات والخدمات القائمة على الخبرات الفكرية، على تطوير المجالات التقنية والعلمية، وتشجيع الابتكار في الاقتصاد ككل.

- ويعد رأس المال البشري أحد الأصول الأساسية لاقتصاد المعرفة، ويعتمد هذا المكون المهم لاقتصاد المعرفة بشكل كبير على الإمكانات الفكرية بدلاً من الموارد الطبيعية.

مثال على اقتصاد المعرفة

- فعلى سبيل المثال تبلغ قيمة سوق الملكية الفكرية في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 6.6 تريليون دولار.

- ونظراً لأن اقتصاد المعرفة لا يشتمل على فئة محددة بوضوح مثل التصنيع، يصعب معرفة قيمته، لكن من الممكن التوصل إلى قيمة تقريبية له من خلال قياس قيمة بعض مكوناته الأساسية.

- إن المؤسسات الأكاديمية، والشركات المشاركة في البحوث والتطوير، والمبرمجون الذين يطورون برامج جديدة، والعاملون في مجال الصحة الذين يستخدمون البيانات لتحسين العلاجات، يعتبرون جميعاً مكونات أساسية في اقتصاد المعرفة.

- ووفقاً لمؤشر المعرفة العالمي تحتل سويسرا المرتبة الأولى في قائمة الدول التي لديها أكبر اقتصاد معرفي، تليها السويد والولايات المتحدة الأمريكية.

- ويصنف المؤشر الدول في هذا الإطار بناءً على عدة عوامل من بينها مستويات التعليم، الابتكار، تكنولوجيا الاتصالات، والتدريب التقني والمهني .

- يقوم وسطاء اقتصاد المعرفة أولئك بنقل نتائج أبحاثهم إلى العاملين في المجالات التقليدية، مثل المزارعين الذين يستخدمون التطبيقات والحلول الرقمية

لإدارة محاصيلهم بشكل أفضل، ومثل المدارس التي توفر أدوات تعلم رقمي..

- وتشمل أهم المهارات المطلوبة في اقتصاد المعرفة التعليم العالي والتدريب التقني، بالإضافة إلى مهارات التواصل والعمل الجماعي، لأن من الصعب أن يتمكن أي عامل من إنتاج تقنيات مبتكرة بمفرده.

الدول العربية واقتصاد المعرفة

هناك تحديات واضحة تواجه الدول العربية في بنائها لمجتمعاتها المعرفية، ويمكن تصنيفها في ستة محاور نذكرها فيما يأتي، وتتفاوت الدول العربية في تقدمها فيها.

ومن مؤشرات قياس ذلك مؤشر البنك الدولي، الذي يصنّف الدول العربية وفق ذلك:

أولاً، التعليم ونشر المعرفة.

ثانياً، نقل المحتوى المعرفي وتوطينه.

ثالثاً، قدرات إنتاج المعرفة.

رابعاً، تحويل المعرفة إلى منتجات.

خامساً، إدارة المعرفة.

سادساً، المعرفة والمجتمع.

حيث يتطلب التوجه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة تعزيز اهتمام المواطن بالمعرفة ومصادرها، فضلاً عن زيادة الوعي بأهمية العمل الجماعي وسيادة روح الفريق، إذ من دون ذلك يصعب إنتاج المعرفة الحديثة.

يتطلب الوصول إلى اقتصاد قائم على المعرفة تطوير منظومة التعليم في مختلف مراحلها، بدءاً بالطفولة المبكرة وانتهاءً بالتعليم ما بعد الجامعي، الذي بدوره يتطلب توسعاً واهتماماً أكبر، من خلال تنفيذ برامج وطنية تهتم بإعداد المعلمين، وتوفير المعامل والمختبرات اللازمة لتكوين المهارات العلمية والعملية، إضافة إلى وجود بنية تحتية للمعلومات والاتصالات في مجال التعليم.

: يتمّ إنتاج المعرفة من خلال ثلاثة أنشطة هي: البحث العلمي، التطوير التقني، والابتكار؛ وهي أنشطة يتوجب مضاعفتها في جميع القطاعات، على أن تتوافق مخرجاتها مع متطلبات الاقتصاد الوطني، ويتطلب ذلك مواجهة العديد من التحديات، أبرزها:

تكثيف الجهود الخاصة ببناء القدرات الضرورية لاستيعاب المعرفة وتوطينها، وزيادة حجم (موارد) البحث والتطوير والابتكارات المادية والبشرية، والتوسع في البحوث التطبيقية، وفي الابتكار والاهتمام بالمعارف، التي تتنافس الدول المتقدمة في امتلاكها ولا تنشر ولا يجري تبادلها، وتحفيز القطاع الخاص على إنتاجها .

يُعد التعليم والتدريب والبحث والتطوير تحويلاً للثروة إلى معرفة، وحتى تكتمل الدورة المعرفية اقتصادياً ينبغي تحويل المعرفة إلى ثروة. وتواجه الدول العربية العديد من القضايا في سبيل تحقيق ذلك، من أبرزها: دعم الاستثمار وزيادته للأنشطة المعرفية لدى القطاعين العام والخاص، وتنمية الموهبة والإبداع وزيادة برامجها .

يقال إن عولمة الإنتاج، هي من ظواهر الاقتصاد المبني على المعرفة، وطرق توليدها، وتبادلها كنشاط اقتصادي.. أين نحن، عرباً، من دورات هذا الواقع الذي يجتاحنا على غير إرادة منّا أو حتى ولو بإرادة منّا؟

تتجسد المعرفة فيما يسمى بالمحتوى المعرفي الذي يمثل أحد الأصول غير المادية في الاقتصاد. وتواجه الدول العربية العديد من التحديات في مجال نقل المحتوى المعرفي وتوطينه، ومنها ما يتعلق بالمحتوى المعرفي في كل من المنتجات والخدمات، والصادرات والواردات، وفي الشكل الرقمي على الإنترنت؛ كما يرتبط نقل المحتوى المعرفي وتوطينه بقضيتي استقطاب العقول والاستفادة من التعاون الدولي .

تواجه الدول العربية أيضاً العديد من التحديات التي ينبغي معالجتها فيما يتصل بإدارة المعرفة، من أبرزها: رسم خريطة طريق بالتنسيق بين الجهات ذات العلاقة، والتنسيق بين المبادرات الوطنية العديدة في هذا الشأن، وتبني نظم إدارة المعرفة، وتوفير حِزم متنوعة من الحوافز للاستثمار في الأنشطة ذات الصلة بالمعرفة، وتطبيق معايير الجودة في الأجهزة الحكومية بغية الارتقاء بجودة العمل، واعتماد مؤشرات رقمية لقياس التقدم المحرز.

إنَّ التحوّل إلى مجتمع المعرفة في أي دولة أو إقليم، يتطلّب تكاليف وأموالاً وبنية تحتية وخدمات معرفية وتعليماً وثقافة، ولا يمكن تمويل ذلك، من دون وجود اقتصاد قوي ينمو بمعدلات عالية ومستدامة، وهذا لا يتوفر اليوم إلا ببناء اقتصاد قائم على المعرفة، وفي الحقيقة هذا التحوّل يجب أن يراعي المحورين معاً.

إذ لم يول الفكر التخطيطي في الدول العربية الاهتمام والجدية اللازمة للاستثمار في المعرفة في كل القطاعات والتحوّل إلى مجتمع المعرفة والاقتصاد القائم على المعرفة في كل القطاعات. ولا بد هنا أن نشير إلى قضايا في مجال التخطيط العربي مثل:

أهمية أن ترتبط سياسات التخطيط بمدى إجابتها للمسائل الأكثر راهنية، وأن ما هو مهم في الحالة العربية الآن، هو مواجهة إخفاق هذه السياسات في تحقيق إيجابيات على الصعيد العربي. كما ينبغي، أن تكون الأولوية في العديد من الدول العربية الآن لإصلاح مؤسسات القطاع العام أولاً،

والحاجة لمزيد من التعاون والتنسيق بين خطط المؤسسات في الحقل المدني والاقتصادي والاجتماعي والدفاعي والأمني ثانياً.

وضرورة النظرة الشمولية في أوضاع الخطط والإستراتيجيات وفي التنفيذ تأخذ بالاعتبار دور التقنية الجديد ثالثاً.

وتهيئة جيل جديد يشارك في قيادة التنمية (عبر كل مراحل التعليم) رابعاً .

وزيادة عدد المختصّين في سياسات التنمية ومتابعة الأداء خامساً.

وزيادة الإنفاق على البحث والتطوير والابتكار سادساً.

وزيادة امتلاك المعرفة التنافسية والوسائل والأدوات، ذاتياً ووطنياً سابعاً.

وتحويل تدريجي للإنفاق على التسليح إلى استثمار في بحوث وصناعات التصدير والدفاع والأمن ثامناً.

ودعم قيام الشركات الاستشارية المحلية وخصوصاً في سياسات التنمية القطاعية والتنمية الكلية تاسعاً.

وتحفيز عمل المنظمات الأهلية ومبادرة إنشاء مؤسسات جديدة (معاهد بحوث السياسات، مجموعات ومجالس دراسات وعصف فكري، حاضنات تقنية..) في هذا المجال عاشراً.

وأخيراً، تبني وإنشاء برامج توعية (الثقافة العلمية، نشر المعرفة...). وكل هذا يحتاج إلى مزيد من التعاون العربي، إذ إن هذه القضية من قضايا التخطيط تحتاج لإعادة الاعتبار على المستوى العربي، فكل سياسات التخطيط على مستوى العالم تتجه بشكل جاد للتنسيق والتعاون والاتحاد على المستوى الإقليمي إلاّ المنطقة العربية.

إن هذا التوجه ترابحي والدول العربية بحاجة لتبني هذا النهج بصفة ترابحية تعيد للدول العربية قرارها للدفاع عن مصالحها تجاه المجتمع الدولي ولا بديل عنه.

حرب ضد الإنسان والإنسانية

د. صياح عزام ـ عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية

حرب الإبادة الأمريكية الصهيونية على غزة مستمرة منذ أزيد من عشرة أشهر، وليس هناك إشارات أو مؤشرات توحي بتوقفها في الوقت القريب، فالمجازر مستمرة مستهدفةً المدارس والمستشفيات وخيام النازحين ومرافق ووكالة «الأونروا»، وفي كل يوم يُفاجئ الرأي العام العالمي بمشاهد مؤلمة وصادمة لضحايا من الأطفال والنساء وكبار السن ممن يعيشون في الخيام، وفي حالة رعب دائمة على مدار الساعة، وتفتك بهم المجاعة والأمراض، ولا يجدون مكاناً آمناً يستجيرون به.

بعد عشرة أشهر من الحرب، تتواصل الغارات الحربية لطيران العدو الصهيوني، فتدمر المدمر أصلاً، وتعاود القوات البرية اجتياح مناطق وأحياء ومدن وقرى سبق أن لقيت المصير نفسه، كما في حال (خانيونس)، التي تلقّى سكانها أوامر جديدة من جيش الاحتلال بالإخلاء، بذريعة تنفيذ عمليات عسكرية شرقي المدينة في اليوم الذي توجه فيه الإرهابي نتنياهو إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بمجرد عودته توسعت العمليات العسكرية لجيش الاحتلال لتشمل خانيونس بأكملها من دون أي اكتراث بمعاناة السكان الإنسانية من شح وندرة المياه والغذاء والدواء والظروف الصحية والاجتماعية المزرية، إلى جانب انتشار الأمراض والفيروسات والأوبئة جراء المياه الآسنة الملوثة، وانتشار جثث الضحايا المتحللة تحت أنقاض الدمار الذي لا يستوعبه وصف.

إنها مأساة إنسانية في أبشع صورها تدين كل من واجهها وما زال يواجهها إما بالصمت أو بالتجاهل واللامبالاة.

وعلى ما يبدو أن زيارة نتنياهو إلى واشنطن وإلقاء كلمة في الكونغرس لم تحدث أي اختراق في جدار الأزمة، باتجاه التوصل إلى وقف الحرب. بل على العكس من ذلك، لم يغضب الرئيس الأمريكي المنسحب من الترشح ثانية للرئاسة من ضيفه الصهيوني، بل استقبله بترحاب وبوجه بشوش، ولم يوجه له كلمة واحدة، كما نقلت بعض الصحف الأمريكية على ما اقترفت يداه من جرائم خلال عشرة أشهر، بل كرر الخطابات المؤيدة لإسرائيل، مركزاً فيها من جديد على ما أسماه ضرورة العمل على عودة الرهائن، أما نائبة الرئيس المرشح للرئاسة «كاميلا هاريس»، فقالت: إن الوقت حان لوقف الحرب، إلا أنها لم تحدد متى يتم هذا الوقف؟! وكيف يجب أن تتوقف.

أما المرشح الجمهوري «ترامب»، فقد كان غير مبال بما يتعرض له الفلسطينيون من مآسٍ في غزة بسبب انشغاله بالمعركة مع خصومه الديمقراطيين، وقد تحدث بشكل غامض عن سلام سيجلبه إلى الشرق الأوسط، إذا انتُخب رئيساً للولايات المتحدة، من دون تحديد لماهية وطريقة هذا السلام وضوابطه ومعاييره، وما مدى قدرة بلاده أصلاً على لعب دور الوسيط النزيه بعد كل هذا الانحياز الأعمى إلى جانب كيان الاحتلال ودعمه.

ويعود الحديث بين الحين والآخر عن احتمال إنعاش المفاوضات، والتوصل إلى اتفاق لوقف الحرب، أو التوصل إلى هدنة ما في غزة، وكانت آخر هذه المحاولات الاجتماع الذي عقد في روما بين مدير الـ «سي.آي.إيه» الأمريكية وليام بيريز، ومسؤولين مصريين وقطريين رفيعي المستوى، إضافة لوفد صهيوني من كيان الاحتلال، وهذه المحاولة قديمة ومتجددة حول إمكانية إتمام صفقة الرهائن ووقف إطلاق النار، ولكن وحسب تقدير خبراء سياسيين متابعين للأحداث، فإن فرص نجاح هذه الجولة لا يختلف عن فرص وجولات سابقة مماثلة فشلت بسبب تعنت نتنياهو الرافض أصلاً لأي اتفاق، وها هو الآن يضع شروطاً جديدة تعجيزية أطلق عليها اسم «تعديلات» حملها وفده إلى روما، وهي تتعلق بوضع عراقيل أمام عودة المهجرين من قطاع غزة إلى ديارهم في شمال القطاع، بذريعة أن مثل هذه العودة ستسمح بإعادة انتشار المسلحين الفلسطينيين على حدود غلاف غزة. لقد أصبح من الواضح أن هذه الحرب العدوانية طالت أكثر من التوقعات، وأن إطالة أمدها سياسة صهيونية - أمريكية متعمدة، خاصة أن حكومة نتنياهو المتطرفة لا تريد إنهاءها لأنها إذا انتهت ستنتهي معها حكومة التطرف هذه، وسيصبح الكيان ملاحقاً قانونياً من قبل المحاكم الدولية بسبب الجرائم المرتكبة من جيش الاحتلال بحق الأبرياء وبسبب تجاوزات فظيعة للقانون الدولي والإنساني.

جرائم الحرب في غزة، وهيروشيما، وماي لاي: المجرم واحد

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

أخذت حرب الإبادة الشاملة ضد الفلسطينيين في قطاع غزة، أشكالاً وحشية متعددة، وغير مسبوقة بالتاريخ سواء في الحرب العالمية الثانية أو في الحرب الأمريكية على فيتنام في أربعينيات وستينيات القرن الماضي على التوالي. بالإضافة إلى المجازر اليومية التي تحصد عشرات المدنيين من الأطفال والنساء وكبار السن، فقد فرض جيش الاحتلال حصاراً شاملاً، خصوصاً بعد إقفال جميع المعابر البرية، وتدمير معبر رفح، الذي يصل بين قطاع غزة وجمهورية مصر العربية، وإخراجه من الخدمة كلياً.

لقد استخدمت الحكومة الصهيونية النازية في حرب الإبادة، أمام أعين المجتمع الدولي ونظر الجيران العرب، سلاح التجويع، وحرمان المدنيين من الغذاء والماء والوقود، ومنع وصول المساعدات الإنسانية، وتجريف الأراضي الزراعية، وتدمير كلي لمقومات الحياة، وهذا ما اعتبرته (منظمة مراقبة حقوق الإنسان) جريمة حرب. الهدف من هذه الممارسات النازية هو الإبادة والتطهير العرقي، وجعل قطاع غزة منطقة غير صالحة للسكن والإقامة. وقد سعى جيش الاحتلال الصهيوني إلى تدمير البنى التحتية بطريقة مقصودة ومباشرة، بالإضافة إلى تدمير المنازل والوحدات السكنية ومراكز الإيواء المأهولة خاصة في المدارس التي تتبع لمنظمة الأونروا. هذا النهج الوحشي في

الحرب لاقى الدعم الكلي من الإدارة الأمريكية وحُلفائها، واستمروا حتى اليوم بتزويد الكيان الصهيوني بالذخائر والأسلحة الفتاكة، مثل قنابل (MK-83) زنة نصف طن (6,500 قنبلة) و(MK-84) زنة طن (14,000 قنبلة)، بالإضافة إلى حشد الأساطيل والطائرات الحربية في المنطقة تحسباً لتوسع دائرة الحرب. وظلت الإدارة الأمريكية ترفض وصف الحرب في غزة بحرب الإبادة، وتنفي صفة جرائم الحرب عن المجازر اليومية المروعة التي يرتكبها جيش الاحتلال. ويمكن تفسير هذا الموقف بالماضي الدموي للإدارة الأمريكية وحلفائها، حيث لديهم سجل حافل بالإجرام في مختلف أنحاء العالم، لذلك ما زال أولئك المجرمون يدافعون عن حلفائهم الصهاينة، ويدعمونهم لارتكاب المزيد من جرائم الحرب. لقد ألقى، جيش الاحتلال الصهيوني منذ بداية هذه الحرب على غزة أكثر من 90.000 طن من المتفجرات، أي ما يعادل أكثر من 6 قنابل ذرية من وزن قنبلة هيروشيما

(15.000 طن من ت ن ت). واستخدمت الولايات المتحدة الأمريكية القنابل الذرية ضد اليابان في الحرب العالمية الثانية، بحجة تدمير القدرات العسكرية لليابان وإرغامها على الاستسلام، وإنهاء الحرب. وهكذا كانت الولايات المتحدة أول من استعمل أسلحة الدمار الشامل في العصر الحديث، وارتكبت جرائم حرب مروعة من أجل إبادة العدو. هذا السلوك الإجرامي يستند إلى تاريخ حافل بإبادة السكان الأصليين في أمريكا. وقد ألقيت أول قنبلة على مدينة هيروشيما يوم 6 آب/أغسطس عام 1945، وبعد ثلاثة أيام، أي يوم 9 آب/ أغسطس، ألقيت القنبلة الثانية على مدينة ناغازاكي، بقرار من الرئيس الأمريكي هاري ترومان، من الحزب الديمقراطي، الذي كان يدعم إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين آنذاك. لقد أدى تفجير القنبلتين إلى مقتل نحو 70,000 شخص بشكل مباشر في هيروشيما، ما يعادل حوالي 30% من سكان المدينة، ونحو 60,000 شخص في ناغازاكي. وتضاعف هذا الرقم مع نهاية عام 1945 بسبب التعرض للإشعاعات والحروق والجروح الخطيرة والسرطان. وقد دمرت القنبلة الذرية في هيروشيما حوالي 13 كيلومتراً مربعاً من مساحة المدينة، وخسارة نحو 69% من مباني المدينة. وفي 15 آب/ أغسطس عام 1945 أعلنت اليابان استسلامها للجيش الأمريكي دون شروط. ويحفل السجل الأمريكي بالمجازر البشعة التي ارتكبها الجيش الأمريكي خلال الحرب الفيتنامية. ولعل أشهرها مجزرة ماي لاي التي حدثت في 16 آذار/مارس عام 1968، والتي صُنّفت من أبشع جرائم الحرب في التاريخ المعاصر. فقد قام الجنود الأمريكيون آنذاك، باقتحام القرية بذريعة البحث عن أسلحة ومقاتلين، ومعهم أوامر بقتل كل شيء يتحرك . وعندما لم يجدوا شيئاً، قام الجنود بحرق البيوت، وجمع القرويين العزل وتعذيبهم بوحشية فاقت كل تصور، واغتصبوا النساء، ومن ثم قتلوا جميع السكان، والحيوانات. وقد لاقى أكثر من 500 شخص مدني مصرعهم في هذه المجزرة، خلال 4 ساعات، معظمهم من النساء والأطفال والمسنين. وبعد انكشاف تفاصيل المجزرة، وتصاعد ردود الفعل قامت محكمة عسكرية بالحكم على الضابط المسؤول بالسجن مدى الحياة، غير أن الرئيس ريتشارد نيكسون، من الحزب الجمهوري، أطلق سراحه بعد يوم واحد. تلك المجازر اليومية تمت بأوامر من السلطات العسكرية العليا. لذا، صارت المجازر في هيروشيما، وناغازاكي، وماي لاي وغيرها، نموذجاً للجرائم الوحشية خلال الحروب يُحتذى من قبل العصابات النازية المتحالفة مع الولايات المتحدة، لأن هذه الأعمال الوحشية هي عمليات عسكرية عن سابق تصميم وتخطيط، وليست أعمالاً منحرفة، بل ممارسات يومية. لقد ارتكب الجيش الأمريكي المجازر المروعة بحق المدنيين العزل في فيتنام، وفي العراق، وفي أفغانستان، واليوم في غزة، واستخدم أنواعاً مختلفة من أسلحة الدمار الشامل والأسلحة المحرمة دولياً، في كل مكان حاول السيطرة على موارده الطبيعية. ومارس أبشع صنوف التعذيب الوحشي ضد المعتقلين في سجون أبو غريب وغوانتانامو، وغيرهما. غير أنه بالرغم من كل هذه المجازر الوحشية، والتفوق العسكري انهزمت الجيوش الأمريكية، وخرجت مدحورة من تلك الدول.

هذه السياسة نفسها يتبعها جيش الاحتلال الصهيوني في غزة وباقي المدن الفلسطينية، حيث يُهاجم المناطق والأحياء السكنية ويقتل السكان المدنيين العزل بالأسلحة الأمريكية الفتاكة والمحرمة دولياً، في رده على أعمال المقاومة البطولية. لقد تم حتى اليوم تدمير أكثر من 75% من مساحة قطاع غزة البالغة نحو 365 كم2. وقد دمر جيش الاحتلال، إلى اليوم، أكثر من 150 ألف وحدة سكنية بشكل كلي، وأكثر من 200 ألف بشكل جزئي، وبات نحو 2 مليون شخص من النازحين دون مأوى. وفاق عدد الشهداء 60.000 من الأشخاص المعروفين والمفقودين، جُلهم من الأطفال والنساء، غير أولئك الذين لم تُعرف هوياتهم وقُتلوا ودُفنوا في مقابر جماعية، أو بقيت جثثهم تحت الركام ولم تظهر أشلاؤهم، ومُسحوا من السجلات المدنية. وهنالك من الجرحى والمصابين ما يفوق 100.000 شخص. والمعلومات التي تنشرها الدوائر الصحية والإعلامية الحكومية في قطاع غزة، وأيضاً المؤسسات الدولية ومنظمة الأونروا، تُشير إلى وضع كارثي يزداد سوءاً وتدهوراً، حيث قام جيش الاحتلال النازي باستهداف نحو 168 مركزاً للإيواء خصوصاً في مدارس الأونروا، وليس آخرها مجزرة مدرسة التابعين في مدينة غزة. بالإضافة إلى ذلك يقوم جيش الاحتلال بالتلاعب بمصير النازحين، حيث يُصدر أوامر بإخلاء بعض الأحياء، إلى أماكن يصنفها آمنة، ومن ثم يتم استهداف النازحين خلال تنقلهم وخلال تجمعهم على السواء. هذه السياسة الإجرامية هي ممارسات يومية مدروسة ومخطط لها، وموافق عليها من الشريك الأمريكي الذي يرفض وقف إطلاق النار حتى الآن، ويُطالب باستسلام المقاومة وإلقاء السلاح. هذه السياسة الصهيونية هي امتداد للنهج الإجرامي ذاته، فالمجرم واحد، والعدو واحد. لا فرق. وبالرغم من الدماء التي سالت، والأعداد الكبيرة من الشهداء والجرحى، إلا أن المقاومة ما زالت صامدة منذ أكثر من عشرة أشهر، وقادرة على توجيه ضربات موجعة لجيش الاحتلال، وما زالت تتلقى الدعم من حاضنة شعبية قل نظيرها، ومن قوى المقاومة في جبهات الإسناد، خصوصاً في جنوب لبنان. غير أن هذا العمل العسكري يحتاج إلى تصعيد مدروس وفعال، ودعم إعلامي مكثف لفضح الجرائم الصهيونية بحق المدنيين، وتحريض الرأي العام العالمي في أوروبا وأمريكا. وهذه العمليات ينبغي أن تكون مركزة ومنسقة. وهذه الحملات ينبغي أن تقدم الرواية الحقيقية والصورة الحقيقية لما يجري، معززة بالوثائق والصور وباللغة القانونية التي لا يستطيع عاقل أن ينكرها.

طوفان الطلبة: من إشعاعات طوفان الأقصى عالمياً

د. كاظم الموسوي ـ باحث سياسي وأكاديمي من العراق

قدم الطلبة في العالم، لا سيما في الجامعات الأمريكية مبادرات لافتة للانتباه، ومتواصلة مع الغضب الشعبي العام، في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي العواصم والمدن العالمية ووضعوا في حراكهم الاجتماعي والسياسي والأخلاقي العالم أمام حقائق ووقائع ملموسة وضاغطة، عاكسين دورهم المعهود، وقدراتهم الميدانية في التأثير والتغيير.

ما أبرزه الطلبة تعبير عن طوفان واقعي وامتداد فعلي، من جامعات أمريكا الرئيسة، وامتداده عالميا في مغرب الكرة الأرضية ومشرقها. ورسم هذا الطوفان بوضوح ووعي إشعاعات طوفان الأقصى وتحولات الإرادة الإنسانية في قراءة المتغيرات والتحولات والمهمات المطلوبة، فقد كانت طبيعة التظاهرات والحراك العام إثباتاً لحقائق تاريخية وفهماً متقدما لقضية شعب ووطن وحقوق عادلة، بخلاف السردية الصهيونية الشائعة بقوة المال والإعلام والقمع والتضليل والتشويه وكي الوعي. ولهذا انشغلت الإدارات الإمبريالية الحاكمة والمتعاونون معها وأدواتها الوظيفية في التصدي لهذا الحراك المتصاعد ومارست عليه شتى أشكال القمع والتهديد والإرهاب، سواء من أعلى السلطات المتحكمة أو الإدارات الجامعية التابعة والمتخاذلة، وكشفت الصور التي نقلتها الفضائيات العالمية حقيقة ازدواجية المعايير في احترام القوانين الدولية وحقوق الإنسان والمواثيق والاتفاقيات الدولية الموقعة، أو المقترحة منها.

عمت تظاهرات الغضب الشعبي العالم بعد طوفان الأقصى، وتصاعدت مع استمرار سياسات الاحتلال الصهيو أمريكي في الإبادة الجماعية والتهجير والقتل والإرهاب الممنهج والتدمير المبرمج، حيث أثارت هذه السياسات الإجرامية والانتهاكات الصارخة الضمير الإنساني الشعبي، وشرائح المجتمعات الغربية والشرقية عموماً، ولا سيما الطلاب في الجامعات والمعاهد الأكاديمية، ودفعتهم لأخذ مواقف سياسية مؤيدة للقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة والعادلة ورفض ممارسات النازفاشية (النازية/ الفاشية) التي تشنها الإمبرياليات الغربية وقاعدتها الإستراتيجية العسكرية المحتلة لفلسطين.

ملحمة طوفان الأقصى بدأت في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 وطوفان الطلبة، باسمهم كطلبة في حرم جامعاتهم، سجلت انطلاقته في 17 نيسان/ أبريل 2023، حين بدأ طلاب جامعة كولومبيا في نيويورك اعتصاماً بحرم الجامعة، رفضاً للعدوان على غزة، ومطالبة إدارة الجامعة بوقف تعاونها الأكاديمي مع الجامعات الإسرائيلية وسحب استثماراتها في شركات تدعم احتلال الأراضي الفلسطينية. ولعبت سياسات القمع والإرهاب الحكومية والإدارية التي استدعت تدخل القوى الأمنية واعتقال عشرات الطلاب، وقمعها في توسيع حالة الغضب وامتداد التظاهرات إلى عشرات الجامعات الأميركية، مثل هارفارد، وجورج واشنطن، ونيويورك، وييل، ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ونورث كارولينا. ولاحقاً، وبالموازاة معه، اتسع الحراك الطلابي غير المسبوق لدعم فلسطين بالولايات المتحدة إلى جامعات ومعاهد في دول مثل كندا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والسويد والدانمارك والنرويج وسويسرا وهولندا واليونان والأرجنتين والمكسيك والهند وإندونيسيا وأستراليا وجنوب إفريقيا، وغيرها في أنحاء المعمورة، شهدت جميعها تظاهرات داعمة لنظيراتها الأميركية ومطالباتها بوقف الحرب على غزة ومقاطعة الشركات التي تزود الكيان الإسرائيلي

بالأسلحة أو تتعاون مع مؤسساته.

فرض طوفان الطلبة منذ انطلاقته إصراره على مطالبه التي ووجهت رغم سلميته بالعنف المفرط من الأجهزة الأمنية وإدارات بعض الجامعات في بعض الحالات مثل جامعة كولومبيا وجامعة جنوب كاليفورنيا في لوس أنجلس ودالاس ـ تكساس وغيرها الكثير. واستخدمت الغازات المسيلة للدموع في أكثر من جامعة وكلية، وهو أمر غير مسبوق، واعتقل أكثر من 2200 طالب وطالبة في بقية الجامعات، خاصة في نيويورك، في الأشهر الأولى للطوفان، وشمل العنف الأساتذة، نساء ورجالاً، ونقلت الفضائيات مشهد اعتقال أستاذة في جامعة إيموري في اتلانتا جورجيا بصورة عنيفة، اذ تشارك شرطيان لإخضاعها، وهي تصرخ بهم:» أنا بروفيسورة «مما ترك أثراً كبيراً على تحرك الطلاب، وتوسع الاحتجاج والارتباطات التضامنية المهنية بين العديد من منظمات الأساتذة والطلاب، بكل عناوينها وتشكيلاتها.

كما لفت الطوفان مشاركة طلبة من الديانة اليهودية فيه، إضافة إلى شخصيات أكاديمية وسياسية ودينية معروفة في المشهد السياسي الأمريكي والعالمي، وشارك هؤلاء الطلبة في مظاهرات المدن المنتظمة أيضا خارج حرم الجامعات، كاقتحام الكونغرس ومحطات القطارات وتمثال الحرية والمطارات، بشعارات تعرف بهم مؤيدة للقضية الفلسطينية وضد الحرب والعدوان والإبادة الجماعية والتهجير المنظم والدموي. وهو ما طرح فهماً جديداً ومواقف مهمة في اختراق العقلية والسردية الصهيونية ورداً ملموساً عليها وعلى جرائم الحرب والإبادة التي ترتكبها الإمبريالية وقاعدتها ضد الشعب الفلسطيني والوطن العربي.

وما أكده الطوفان مع تصاعد الحراكات الاحتجاجية والاعتصامات في حرم الجامعات رفع العلم الفلسطيني على سارية طويلة وسط الحرم، مع رفع العلم الفلسطيني ولبس الكوفية الفلسطينية، كرمزين احتجاجيين لأغلب المشاركين، ونصب الخيام والاعتصام في الحرم الجامعي أو بالقرب من بنايات الجامعات أو إداراتها، تنديداً باستمرار العدوان الوحشي على غزة ومماطلة بعض إدارات الجامعات في تلبية المطالب الداعية إلى وقف الاستثمارات في الكيان المحتل وقطع العلاقات والتعاون مع الجامعات فيه. وبديهي أن تتعالى الهتافات المؤيدة للقضية الفلسطينية أثناء رفع العلم الفلسطيني والتلويح بنموذجه والكوفية في تحد ومواجهة مكشوفين وصمود كفاحي معبر عن وعي ثوري، وجهادية شبابية كاملة، ورفع شعارات مركزية، تدعو إلى الحرية لفلسطين، ووقف الحرب فوراً، وفلسطين حرة من البحر إلى النهر، ومنع تصدير الأسلحة وإدانة الممارسات النازفاشية. وتكررت هذه الاحتجاجات حتى في حفلات التخرج الأكاديمية وفي كلمات الطلبة المتفوقين في دراساتهم، داخل قاعات الاحتفال وخارجها، بأشكال لفتت الانتباه إلى ثقافة جديدة، يتمتع بها طلبة الجامعات، من مختلف التكوينات الاجتماعية والتيارات الثقافية والفكرية.

في هذا الزخم الكفاحي امتد طوفان الطلبة في أغلب الجامعات الأمريكية، في أكثر من 120 جامعة في أغلب التقديرات الإعلامية والتي تركت أثرها عالمياً وحركت في أساليبها ومطالبتها وعي الطلبة الجديد بالقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، رغم الاعتقالات والعنف المتوحش من قبل القوى الأمنية وبعض الإدارات الجامعية وانتهاكها للأعراف الجامعية وحقوق التعبير المنصوص عليها في الدستور الأمريكي، وفي أغلب الدول التي مارست تلك السياسات الإرهابية الرسمية.

انتقال صورة الحراكات الاحتجاجية وأساليبها وشعاراتها داخل الجامعات وفي أغلب الدول، غربا وشرقا على هذه المعمورة، من الولايات المتحدة إلى أستراليا واليابان، مرورا بالدول الأوربية والدول الإفريقية والآسيوية والأمريكية الجنوبية، أعاد وهج القضية الفلسطينية وعرّف بعلمها وكوفية الشعب الفلسطيني وتاريخ كفاحها من أجل التحرر والاستقلال والسيادة الوطنية. وبيّن مشروعية حقوق الشعب الفلسطيني وضرورة تحرره وعودة المهجرين لوطنهم وبناء الدولة الوطنية المستقلة من البحر إلى النهر، كما رفع الشعارات والبوسترات، في كل الحراكات الاحتجاجية في ذلك الطوفان العالمي.

عكس هذا الطوفان الطلابي والشعارات والمطالب التي رفعها، والقائمون به، والمتصدون بصلابة لسياسات الحكومات القمعية وعنفها الفاقع، واستمراره في الاحتجاج والإدانة المتواصلة للحرب والإجرام والإبادة والتهجير والتدمير، عكس صورة وعي جديد، وصحوة عالمية بلا حدود، إنسانية النزوع، وإرادة جامعة لأجيال جديدة تدخل معترك العمل السياسي والكفاح الإنساني من أجل عدالة القضايا المشروعة للشعوب، وأبرزها اليوم، الشعب الفلسطيني، وعزل السياسات الاستعمارية وأدواتها العدوانية وسرديتها المخادعة والقائمة على التضليل وتزوير التاريخ وقلب الحقائق وتشويه الوعي فيها. وفي الوقت نفسه قدم هذا الطوفان في استمراره، وامتداداته العالمية، ردا نضالياً لعدالة القضية الفلسطينية ومشروعية حقوق الشعب الفلسطيني ومقاومته بكل أساليبها وأشكالها.

أثبت طوفان الطلبة العالمي عمليا انطلاقه من إشعاعات طوفان الأقصى ومن ارتداداته وانعكاساتها ثقافيا وفكريا ومبادرات نابعة من صحوة الضمير الإنساني، والالتزام الأخلاقي والمبدئي من أبناء وبنات القضية الفلسطينية والمتضامنين معها، من العرب والمسلمين، ومن أحرار العالم من كل الجنسيات والأديان والتيارات الفكرية والسياسية والثقافية، وهو ما يذكر أو يسجل موقفاً تاريخيا وتواصلاً بالكفاح الوطني التحرري العالمي.

لماذا تأخر الرد الإيراني؟ ومتى ساعة الصفر؟

حمزة البشتاوي - كاتب وإعلامي

بعد التصعيد الكبير والخطير بالعدوان على لبنان الذي سبقه الاعتداء الإلكتروني الجبان، والغارات الحاقدة التي استهدفت الضاحية الجنوبية لبيروت، ارتفع منسوب القلق بشكل كبير لدى المستوطنين والمستوى الأمني والعسكري في الكيان الصهيوني مما بات يعرف بالأوساط الصهيونية بكابوس الرد الإيراني ربطاً بالوقائع الميدانية وانتظار ساعة الصفر للرد القادم لا محالة من قبل الإيرانيين الذين ينادون بضرورة تقليم أظافر العدو الصهيوني لانتهاكه سيادة إيران واغتيال ضيفها العزيز إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس.

وتشير التقديرات الإيرانية بأن قرار الرد الذي تم اتخاذه بشكل حاسم لن تؤثر على حتمية تنفيذه التحركات الدبلوماسية الغربية والشرقية حيث ما زالت إيران تستخدم دبلوماسيتها لتعبيد الطريق أمام الميدان ومساندته للقيام بواجب الانتقام لأن الكلمة العليا لصد التهديدات هي للميدان الذي يشكل دافعاً قوياً للدبلوماسية الإيرانية التي أكدت لكل الأطراف التي تقود حملة وساطات بشأن تخفيض أو تأجيل الرد بأن التحرك الأساسي يجب أن يكون باتجاه وضع حد للعدوان والمجازر الصهيونية في غزة دون إغلاق الباب بوجه الوساطات الدولية لأن إيران تمتلك الكثير من عناصر القوة التي تجعلها لا تخشى مطلقاً التهديدات والتحشيد الأميركي الغربي للأساطيل الجوية والبرية للدفاع عن الكيان الصهيوني في مقابل الرد الإيراني الذي يتوقع أن يكون مدروساً ويأخذ جميع الجوانب والسيناريوهات بعين الاعتبار في إطار التنسيق والتكامل ما بين الدبلوماسية والميدان.

وهذا التكامل يشير إلى أن الكيان الصهيوني سوف يذوق طعم الانتقام الإيراني الذي سيكون درساً كبيراً ومختلفاً على الكيان الذي يعيش حالات الانقسام والتفكك رغم استعراضات القوة المتطرفة وادعاء القدرة على الاستمرار بالبقاء.

وتربط بعض الأوساط الإقليمية تأخر الرد الإيراني بأن أولوية إيران مازالت تتركز على زيادة الدعم للقضية الفلسطينية وإنهاء العدوان على قطاع غزة ودعم جبهات الإسناد وخاصة في لبنان حيث أثبتت المقاومة قدرتها وتصميمها على الاستمرار بإسناد غزة حتى وقف العدوان عليها مهما تعاظمت وكبرت التضحيات وكثرت التحديات والاعتداءات والجرائم الصهيونية ضد لبنان خاصة في الجنوب والبقاع وضاحية بيروت الجنوبية وهذه الاعتداءات جعلت ما جرى في عملية الأربعين التي استهدفت قاعدة غليلوت العسكرية ومقر الوحدة 8200 التابعة لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية رداً أولياً وغير كافٍ حيث سيأتي ما بعد العدوان الإلكتروني وقصف الضاحية ما هو أكثر إيلاماً ومن حيث لا يحتسب قادة كيان الاحتلال وأجهزته الأمنية خاصة بعدما أثبتت المقاومة في لبنان قدرتها على احتواء هذه الاعتداءات والاستمرار بعمليات الإسناد على المستوى الكمي والنوعي.

وما زالت التوقعات تشير إلى أن الرد الإيراني القادم سوف يكون رداً عقابياً وليس تأديبياً ومختلفاً عما حدث في 13-14 نيسان الماضي عندما نفذت إيران عملية الوعد الصادق رداً على الغارة الصهيونية ضد مقر القنصلية الإيرانية في العاصمة السورية دمشق.

ثم قام بعد ذلك الكيان الصهيوني بجريمة اغتيال إسماعيل هنية في العاصمة الإيرانية طهران بأهداف متعددة منها العمل على استدراج مواجهة عسكرية مباشرة ما بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والولايات المتحدة الأمريكية ولكنه فشل في هذا الهدف بعد أن قام الوسطاء الدوليون بإبلاغ المسؤولين الإيرانيين بأن الولايات المتحدة لا تريد اندلاع حرب كبرى في المنطقة.

ولكن إيران التي لا تثق بالإدارة الأمريكية قالت للجميع بأن هذه الجريمة التي وقعت في قلب العاصمة طهران لن تمر دون عقاب.

ويتابع المسؤولون المعنيون في إيران كيف تواصل الإدارة الأمريكية الخداع والتضليل ومد جيش الاحتلال الإسرائيلي بالأسلحة والذخائر للمضي أكثر في حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والاعتداء على لبنان ومقاومته وشعبه إضافة لتقديم الإدارة الأمريكية الحماية لقادة كيان الاحتلال في المحافل الدولية كمجلس الأمن أو عبر الضغط على محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية.

وفي إطار المعلومات كانت الإدارة الأمريكية قد أرسلت عبر أحد الوسطاء رسالة إلى طهران حول وقف إطلاق النار في قطاع غزة ووقف حرب الإبادة ضد المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ، ولما كان هذا الهدف هو ما تسعى طهران إلى تحقيقه منذ السابع من تشرين الأول عام 2023، فإنها أفسحت المجال أمام الجهود الرامية لوقف إطلاق النار بوساطة قطرية مصرية خاصة وأن كل من وزيري خارجية مصر وقطر حرصا على وضع المسؤولين في طهران بتفاصيل المباحثات التي جرت سواء في الدوحة أم في القاهرة وعلى هذا الأساس جرى ربط هذه التطورات بتأخر الرد الإيراني رغم الجاهزية العسكرية لتنفيذ الرد الذي تم وضعه على الطاولة بعد تحديد الأهداف والحجم والمستوى وتحديد آليات التنفيذ للرد والذي أصبح اليوم قريباً ومحاطاً بما يمكن تسميته بالغموض الإستراتيجي حيث ترمي إيران الكثير من ظلال

الغموض حول موعد الرد بعد أن تحول تأخره إلى جزء من الرد وفقاً لما يحصل من تطورات ميدانية في قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان إضافة لسورية واليمن والعراق حيث تدار حرب نفسية قاسية ضد الكيان الصهيوني بهدف تغيير وإرباك حساباته وأحداث فجوة في الرأي العام الصهيوني وجعله غير مستقر على المستوى الأمني والنفسي، وقد جعلت الحرب النفسية ما قبل الرد الكيان الصهيوني يعيش في حالة استنزاف وشلل وخوف وهلع ورعب لم يخفف منها ما ارتكب من مجازر واعتداءات في فلسطين ولبنان.

وفي سياق الحديث عن الحالة النفسية قال محلل الشؤون العسكرية في صحيفة يديعوت أحرونوت يوسي يهوشع: إن إيران حققت هدفها في الحرب النفسية عبر نشر أجواء الذعر في (إسرائيل) بعد أن أصبح الهاجس لدى الإسرائيليين هو شراء الغذاء والتزود بالوقود وتزاحم المستوطنين على شراء المولدات خوفاً من انقطاع التيار الكهربائي لفترة طويلة عندما تقوم إيران بالرد وتزيد احتمالات توسع الحرب.

وبعد هذا الكلام لا يعرف الكيان الصهيوني وأجهزته الأمنية والعسكرية رغم كل الأقمار الاصطناعية والدعم اللوجستي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والغرب طبيعة ما سيكون عليه الرد الإيراني وحجمه ومكانه، وهل سيكون على غرار عملية الوعد الصادق أم مختلفاً من حيث القوة والحجم وطبيعة الأهداف، وهذه تفاصيل وأسئلة تزيد من عوامل القلق والاستنزاف للجيش والمجتمع الصهيوني خاصة بعد أن أصبح واضحاً للجميع بأن إيران لم ولن تستعجل الرد الذي بات قريباً وهي تضبط توقيته على ساعتها وحساباتها التي ستجعل الكيان الصهيوني يندم على جريمة اغتيال الشهيد القائد إسماعيل هنية في طهران وسيكون الرد ناراً حارقة على كيان الاحتلال وبرداً وسلاماً على لبنان و فلسطين كل فلسطين.

أوهام الاستقرار.. في ظل الهيمنة الأمريكية

مسعود أحمد ـ صحفي وكاتب سياسي من عُمان

تجهد الولايات المتحدة الأمريكية لتغطية سلوكها وافعالها الإجرامية بستار كثيف من الاكاذيب والشعارات الليبرالية المضللة كالديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها وبحكم سطوتها المادية قد أوجدت لنفسها أدواتها الفكرية والثقافية والإعلامية التي تخفي بشاعتها، ومازالت قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي ضحية الدعاية الغربية عموماً والأمريكية على وجه الخصوص ومنهما تستعير خطابها ومفرداتها المعادية لتطلعات الشعوب في الحرية والاستقلال والعدالة الاجتماعية وفي تكييف وتلطيف ممارساتها قدر الإمكان بما يتلاءم مع إستراتيجيتها الكولونيالية.

غير أن الموضوع لا يمكن تناوله من زاوية التضليل والخداع فحسب بل من زاوية التكوين الطبقي الواقعي القائم على العمل المأجور والاستغلال والاضطهاد الملازم للرأسمالية نفسها ويأتي الجهد النظري والعملي الذي تبذله البرجوازية الكمبرادورية والطفيلية في معظم البلدان والدور الذي تؤديه في تمويه الحقائق في إطار اضطلاعها بمهمة تسويق التبعية والتعمية على مرامي وغايات المشروع الأمريكي الإمبريالي وذلك بنزع الصفة الاستعمارية عنه وتصويره بخلاف حقيقته وإضفاء صبغة معينة من الوجاهة عليه بالإضافة إلى مهمة إخفاء صلاتها العميقة المرتبطة بشبكة العلاقات الرأسمالية العالمية وفي الحفاظ على مصالحها المادية والمعنوية، الأمر الذي يتطلب تخديراً اجتماعياً شاملاً، لذا لن يكون مستغرباً أن يكثر الحديث رغم التجربة الملموسة عن أهمية دورها في حفظ السلم العالمي باعتبارها القوة الأكبر سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً، وأن مصالحها المتناثرة على امتداد الكون طولاً وعرضاً تتطلب بالضرورة الاستقرار، ومن هذا المنطلق يرى هؤلاء بأن مسؤوليتها كقوة عالمية كبرى تتعدى سياساتها العدوانية التي يعزوها لأسباب تستبعد من حيث الأساس طبيعتها وأهدافها ودورها التاريخي كزعيمة للإمبريالية والنظام الرأسمالي العالمي الذي يعاند التحولات العالمية ومجرى التطور وقوانينه الموضوعية التي تستبعد ديمومة تشكيلة اجتماعية مهما أمتد مداها الزمني الأمر الذي يفرض عليها عملياً إحكام سيطرتها الاستعمارية وإخضاع شعوب العالم وطبقاته الكادحة والفقيرة لخدمة متطلباتها واحتياجاتها الاقتصادية والسياسية والأمنية وهذا لن يتأتى من وجهة نظرها، وكما تؤكده الوقائع المادية، من دون تذليل مقاومة الشعوب وتبديد طاقاتها بحرف بوصلة الصراع الوطني والقومي عن مجراه الطبيعي عبر إثارة النعرات القطرية والمذهبية والعرقية والطائفية وفي هذا السياق فإن أمريكا ومتلازمة عدم الاستقرار تصبح بديهية ونهجاً استراتيجياً مضمراً و معلناً وأن محاولات نفيها مجرد أوهام طوباوية ليس لها مكان سوى في مخيلة أصحابها، ولعل مصطلح الفوضى الخلاقة يختزل كنه الإستراتيجية الأمريكية ولا شك بأن الإدارات الأمريكية المتعاقبة تدرك أكثر من أبواقها ومروجي بضاعتها وقيمها مدى نجاعة وسيلتها لذا فإن نزوعها المستمر نحو إشعال صراعات تحصد عبرها مكاسب مادية وسياسية ولا ترى حاجة ملحة للإقلاع عنها طالما لم تفقدها إلى الآن سواء الجوانب الأخلاقية التي لا تعيرها اهتماماً، وإذا أخذ الوطن العربي ككيان واحد من الخليج العربي إلى المحيط فإن ما تعرض له من حروب وتدمير خلال العقدين الأخيرين يعد ترجمة حرفية للرؤية الأمريكية حيث استنزفت طاقاته وإمكاناته البشرية والمادية والروحية في حروب عبثية بعيداً عن اهداف نضاله الوطني والقومي وقد صبت نتائجها بالدرجة الأولى في مصلحة المشروعين الإمبريالي والصهيوني، وفي ضوء هذا الواقع فإن مفهوم الاستقرار وفقاً للمنظور الأمريكي الرأسمالي الإمبريالي لا يعني سوى الاستسلام والرضوخ و فرض الهيمنة على الجماهير الشعبية ونهب ثرواتها الوطنية والإبقاء على عوامل الخلافات وتغذيتها وتوسيعها تحت شتى العناوين والمسميات، ولاريب بأن الوطن العربي بمكوناته التعددية الإثنية والمذهبية والطائفية وبفعل قرون طويلة من الاستعمار والتجزئة والتبعية السياسية والاقتصادية والثقافية وحجم الظلم والحرمان الذي تعرضت له جماهيره تمثل بحد ذاتها بيئة خصبة يمكن من خلالها استفزاز مكوناته ومكنوناتها العاطفية والتاريخية ومغازلة طموحات معظم قواه اليمينية الرجعية التي تجتر صراعات الماضي بكل ما فيها من أمراض وأحقاد، خصوصاً في ظل غياب المشروع الوحدوي التقدمي الذي يصهر التناقضات المتراكمة في بوتقة الدولة الديمقراطية الواحدة التي يسودها القانون والمؤسسات والحقوق المتساوية وبحيث تحول تنوعها إلى عناصر قوة تحفظ التوازن الاجتماعي وتفتح أفقاً واسعاً أمام الخصوصيات في التعبير عن ذاتها وحماية ثقافتها وتراثها وتنوعها في إطار وحدتها، وبطبيعة الحال فإن الأزمة البنيوية التاريخية وما تفرزه من إشكاليات تقدم مسوغات قد تبدو للعقل المجرد منطقية ويستند إليها من يسعى لبسط سيطرته وسيادته عليها بأقل التكاليف، وفي هذه اللحظة تحديداً وفي ظل ما يجري من تفاعلات على خلفية العدوان الإمبريالي والصهيوني والإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني والقوى الداعمة لنضاله العادل في الحرية والاستقلال والعودة والدولة المستقلة يتضح أكثر فأكثر دور واشنطن في زعزعة ركائز الاستقرار وينسف الحجج العقيمة التي تتكئ عليها القوى الاستسلامية التي توحي بإمكانية فصل أمريكا عن شكلها ومضمونها، ولا شك بأن الخلافات العميقة الضاربة الجذور في عمق البنية الاجتماعية فكرياً وثقافياً وسياسياً ونفسياً قائمة تاريخياً، وبقدر ما نرجيها لعوامل خارجية بقدر ما هي متأصلة في تربة الواقع الاجتماعي وتشكل أرضية مغرية ومتأهبة وجاذبة للفعل الخارجي ومن نافلة القول بأن الاستقرار بمفهومه الوطني التحرري كنقيض للمفهوم الاستعماري مسألة محفوفة بالمخاطر من كافة الاتجاهات طالما بقي الوجود الاستعماري الإمبريالي والصهيوني .

الصعود الصيني السلمي.. من الوطني إلى الأممي!

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

لا تزال أسباب التوتر بين الصين الشعبية والولايات المتحدة قائمة ومتفاقمة، تتقدمها الحرب الاقتصادية المستعرة والمنافسة التكنولوجية بينهما، وأزمة جزيرة تايوان، وملف الشرق الأوسط والصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، من دون إغفال صراع القوة والنفوذ في بحر الصين الجنوبي وإفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية والحرب الروسية –الأوكرانية.. غير أن هذه الأسباب تبقى في الوقت نفسه محكومة بالاعتماد المتبادل بين «القوتين الأعظم»، ما يمنحهما هامشاً أكبر للتحكم في التوتر، وإدارته بأقل التكاليف.

تكمن جذور هذا التوتر في الاقتصاد الذي يمثّل التحدي الأكبر بالنسبة لهما، فالصين المرتهنة للحسابات الاقتصادية في بناء شبكة نفوذها ومصالحها العابرة للقارات، تبدو معنية بتنويع علاقاتها وتحالفاتها الإقليمية والدولية، مستثمرة تناقض المصالح وحالة الاستقطاب في النظام العالمي، خصوصاً بين موسكو وواشنطن من جهة، وبروكسل وواشنطن من جهة أخرى.. وكان دالّاً في هذا الصدد ما قاله منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل، خلال زيارته إلى بكين في نيسان الفائت، بشأن ضرورة تقليل الاتحاد الأوروبي من اعتماده على الولايات المتحدة .

تدرك الصين جيداً أن زمن الأيديولوجيات والشعارات الكبيرة قد ولّى مع نهاية الحرب الباردة، ولذلك لا يعنيها نشر «نموذجها السياسي» – نظام الحزب الواحد، الذي لم يعد في صلب الحوارات الفكرية لا في الصين ولا في العالم – لكنها في المقابل معنية بتوسيع حضورها السياسي ونفوذها الاقتصادي وحمايته أيضاً، وبقدر ما يتطلب ذلك قدراً من الدبلوماسية والمرونة، يتطلب كذلك منظومة عسكرية وتكنولوجية متطورة قادرة على تحقيق الحد الأدنى من توازن الردع، ولعل في ارتفاع معدلات نفقاتها العسكرية في الأعوام الأخيرة ما يؤكد تطلعها نحو تحديث منظومتها العسكرية وتطوير جيشها على المدى البعيد .

تنتظر الصين، مثل غيرها من الدول ما ستؤول إليه الحرب الهمجية التي تديرها تل أبيب وواشنطن في مواجهة صمود المقاومة الفلسطينية الباسلة والشعب الفلسطيني المتمسك بحقه في تقرير مصيره فوق أرض بلاده، كذلك ما ستؤول إليه حرب تكسير العظام بين روسيا والحلف الأطلسي في أوكرانيا.. وسيشجعها خروج كل من روسيا وفلسطين منتصرتين على تعزيز نفوذها أكثر فأكثر،، ويصبح مستبعداً جداً أن تنجر الولايات المتحدة إلى مواجهة غير محسوبة معها!..

بالرغم من أن السياسة الصينية بشأن جزيرة تايوان لا تنزع نحو التصعيد، إلا أنها تعتبر الجزيرة جزءاً من الصين الشعبية، و بالنسبة لواشنطن تبقى ورقة ضغط في مواجهة بكين، وما يقلق الولايات المتحدة هو نجاح الصين في حيازة ملفات دولية وموارد قوة مختلفة، تسمح لها بالمشاركة بإعادة صياغة قواعد الاشتباك على مستوى النظام العالمي، لا سيما بعد الإنجازات التي حققتها الدبلوماسية الصينية في إفريقيا والشرق الأوسط وأهمها رعاية التقارب التركي –المصري والاتفاق السعودي – الإيراني في آذار الماضي اللذيْن شكّلا صدمة لدى دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة والغرب بالنظر إلى ما ينطوي عليه ذلك من دلالات دبلوماسية وسياسية مهمة.

• **التوسع الصيني يتمدد:**

منذ عام 1978 تمددت المصالح الصينية بشكل تدريجي، فمن تعزيز تماسك جبهة الداخل إلى النفوذ الإقليمي، ومن ثم الذهاب إلى العالمية، خطَت الصين شوطاً طويلاً!

- داخلياً: تبنّت الصين التحديثات الأربعة في عهد رئيسها السابق دينغ «الزراعة، الصناعة، التعليم، والدفاع»، وهنا يقول هنري كيسنجر: «عندما صعدت الولايات المتحدة قوة عظمى بالنظام العالمي في سنوات النمو الكبير ما بين عامي 1860 و 1910 كان معدل النمو السنوي 4%، أما الصين فمتوسط معدل النمو السنوي الحالي لها 10%».

- لقد وضعت الصين خططاً متعددة لتطوير الأرياف والقضاء على البطالة والفقر، وبحلول عام 2020 أعلن الرئيس الصيني الحالي شي جين بينغ رسمياً نجاح الصين في القضاء على الفاقة والفقر، وتعد الصين اليوم مصنع العالم الرئيسي، فهي أكبر منتج للسفن والأثاث والنسيج والألمنيوم والصلب ، وأكبر مصنع وسوق للسيارات، وأكبر سوق للهواتف المحمولة، وأكبر ساحة للتجارة الإلكترونية والسيبرانية، وأكثر دولة مستهلكة للبترول.

- بحرياً: استطاعت الصين أن تسيطر على «80% « من بحر الصين الجنوبي المتنازع عليه، والذي يُعَد أهم الممرات المائية في العالم، ويمر عبره « 60% « من التجارة الدولية، ويحتوي على مصادر طاقة تقدّرها الصين بـ «17 مليار» طن من النفط فقط.

- برّياً: استطاعت الصين أن تربط دول آسيا الوسطى وإفريقيا الجنوبية بعلاقات ثنائية ومتعددة، عبر ضم العديد من دولها إلى منظمة شنغهاي، وتشكّل مساحة دول المنظمة حوالي « 40 مليون كيلو متر مربع» من مساحة العالم، أي ما يقارب مساحة الولايات المتحدة بأربع مرات، ويقدّر تعداد سكانها بنحو «3،5 مليار نسمة» أي حوالي «43%» من سكان العالم - لم تقبل المنظمة طلب واشنطن للانضمام إليها - وبعد ثلاث سنوات من إنشائها أعلنت الصين عام 1999 إستراتيجيتها « نحو العالمية « والتي رسّخت فيها فكرة الصعود الصيني السلمي.

- بحلول عام 2009 أنشأت الصين منظمة البريكس ، التي ضمّت الدول الأسرع نموّاً في العالم «الصين، روسيا، جنوب إفريقيا، البرازيل، والهند»، وتكمن أهمية هذه المنظمة في محاربتها لهيمنة الدولار، إذ تعتمد في تجارتها الدولية على نظام المقايضة - التبادل - أو العملات المحلية وفي عام 2013 أعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ عن أكبر مشروعين في القرن الحالي:» البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، وطريق الحرير»، وكانت باكورة أعمال البنك الآسيوي استثماره لعشرة مليارات دولار على 45 مشروعاً في 28 دولة إفريقية وآسيوية عام 2020، بينما استثمر البنك الدولي ستة مليارات على 30 مشروعاً في 16 دولة، أما طريق الحرير فأهميته في أن تصبح الصين مركز التصدير العالمي، وبالتالي الهدف النهائي لها في أن تكون «الأمة الأعظم» حسب إستراتيجية شي بينغ لعام 2049، وتعقيباً على المشاريع الصينية الدولية، يشير عدد من المحللين الاقتصاديين إلى أن الصين «تسعى لإنشاء سوق اقتصادي دولي مستقل ومنافس لمؤسسات بريتون وودز الأمريكية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية».

• المحاذير الأمنية تتكثف:

تتفاقم المخاطر الأمنية بين بكين وواشنطن من جهة، وتزداد وتيرة سباق التسلح بين الصين والدول المجاورة لها من جهة أخرى، ومنذ تبني باراك أوباما إستراتيجية التوجه نحو آسيا وإفريقيا، لـ «إعادة التوازن في العالم» رداً على تنامي التمدد الصيني.. وبحسب فلسفة الدولة المهيمنة على العالم - الولايات المتحدة اليوم-، فهي تسعى جاهدة إلى منع أي دولة أخرى من أن تنافسها - الصين نموذجاً - أو أن تصبح مهيمنة إقليمياً في منطقة أخرى، ولذلك تسعى واشنطن إلى الحفاظ على توازن القوى في آسيا وأوروبا وإفريقيا، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع من خلالها أن تحافظ على قوتها النسبية وبقائها قوة أحادية مهيمنة.

في عام 2017، وحول « إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي» قال دونالد ترامب: «إن العالم يشهد عودة تنافس للقوى العظمى، وأن الصين هي الدولة المؤهلة لتغيير بنية النظام الدولي»، كما أطلق الرئيس الأمريكي بايدن «إستراتيجية الردع المتكامل» لتعزيز التعاون العسكري مع الدول الآسيوية والإفريقية لاحتواء النفوذ الصيني، وتتجلى مظاهر المعضلة الأمنية في العالم بـ:

1 / صفقات السلاح: حيث قامت الولايات المتحدة خلال العقد الماضي بتوقيع صفقات سلاح بمليارات الدولارات مع الدول المجاورة للصين، ومنذ بداية العام الحالي، عقدت واشنطن تسع صفقات مع كل من «أستراليا ، فيتنام ، اليابان ، سنغافورة ، كوريا الجنوبية ، وإندونيسيا».

2/ دعم الأقاليم التي ترغب بالانفصال عن الصين سياسياً وعسكرياً وهي «تايوان، التبت، هونغ كونغ، الإيغور «.

3/ إجراء مناورات عسكرية مكثفة مع حلفائها «تايوان ، أستراليا ، كوريا الجنوبية، واليابان».

4/ إنشاء أحلاف عسكرية جديدة ، مثل حلف « أوكوس « مع كل من بريطانيا وأستراليا، وسمحت واشنطن للأخيرة ببناء غواصات تعمل بالطاقة النووية لأول مرة عبر استخدام التكنولوجيا الأمريكية المتطورة ، الأمر الذي وصفته الصين بأنه «تصرف غير مسؤول، ويعود إلى عقلية الحرب الباردة».

• خلاصة القول:

ويمكن أن نبدأ بالتساؤلات المتمحورة حول ما إذا كانت القوى العظمى ستقع في مصيدة التصادم بسبب تايوان حصراً أم لا!؟

عندما انسحبت القوات الأمريكية من أفغانستان، قال الرئيس بايدن :»الديمقراطية الأفغانية لا تستحق أرواح الأمريكان» وعليه هل تستحق الديمقراطية التايوانية أرواح الأمريكان؟ وهل تستطيع الإدارة الأمريكية أن تقنع الشعب الأمريكي بخوض حرب مع الصين لأجل تايوان؟ لم تستطع الإدارات الأمريكية المتعاقبة في حروبها مع كل من فيتنام وأفغانستان والعراق أن تحقق نصراً يعتد به عندما كانت في ذروة قوتها ضد دول نامية، فكيف ستكون نتيجة الحرب مع دولة صاعدة كالصين الشعبية، وهل تستطيع واشنطن تحمّل تكلفتها، وهي تعاني من أزمات عديدة؟! في الفلسفة الصينية: «الحرب هي الوسيلة الأخيرة في السياسة» والصين دولة صاعدة تحتاج إلى الاستقرار والأمن، خصوصاً في مجالها الجغرافي الحيوي لتعزيز مشاريعها الاقتصادية والتنموية، فهل تخاطر الصين بخوض حرب تؤدي إلى تدمير ما أنجزته منذ أربعين عاماً؟!.

يصعب الجزم بأن المواجهة بين بكين وواشنطن باتت وشيكة. تدرك العاصمتان التكاليف الاقتصادية والجيوسياسية التي ينطوي عليها ذلك، وفي وقت تسعى فيه الصين إلى تجنّب كل ما من شأنه أن يجرّها إلى الصدام مع الولايات المتحدة.. بينما تمضي الأخيرة في «سياسة احتواء الصين» بما يقتضيه ذلك من تدابير لمواجهة خطرها المتنامي..

1211

حسن شتيوي
كاتب فلسطيني ـ سورية

من بين ركام المخيم وبقايا أشلائه أخذ علي أبو ستة ورفيقه مكاناً بين الركام حيث كانا مكلفين ألا يتركا هذه الزاوية من المخيم، لعله يأتيهما صيد ثمين من الغزاة، طال الانتظار ورفيقه أحمد لعدة أيام وليالٍ تجاوزت الشهر والنيف في مكمنهما الصعب. ارتدى ذلك النهار بلوزته البيضاء التي عثر عليها بين ركام المخيم صرخ (رفيقي أحمد): أفي هذا الوضع الذي نحن فيه ترتدي اللون الأبيض لن تتحمل إلا ساعة لا أكثر من لبسها، قال علي: ما عليك يا رفيقي إن كنا في معركة أو سواها إلا أن تكون نقياً أنيقاً بقدر ما تستطع وفقاً لما هو متوفر لديك.

جلس على أريكته قام بعمل كوبين من القهوة على بقايا من حطب في قبو أحد الأماكن.

حضر إليهما أحدهم بقصاصة ورق قرأها على عجل وقام بابتلاعها.. شكراً لك (انتظر.. لا تغادر).

ابتسم علي ونظر في وجه أحمد ليشاهد تقاسيم وجهه حين لمح من بعيد ثلة من جنود الاحتلال، ضحك أكثر لقد انتهت المهمة بعد أن بانت أسنانه رفع رأسه للسماء كأنه يراها لأول مرة في زرقتها.

أفرغا كأس القهوة على عجل، وجلس يرتقب وتنهد حتى أخرج كل الحقد من صدره، وتذكر صباحيات فيروز (عيدا كمان ضلك عيد يا علي) التفت إلى كل اتجاهات المخيم وخاطبه قائلاً: (لا يرجع حياً من دخلك غازياً).

اقتربوا أكثر نظر في منظاره كانوا تسعة كان أحدهم غير مسلح يرتدي لباساً مدنياً إنه عميل يساعد الاحتلال ويقدم لهم معلومات إن كان يعرف ما عليه، أعطى رفيقه الاستعداد تقاسم كل منهما عدداً من الجنود حذر علي أحمد رفيقه من عدم الاقتراب من الخائن اتركه للآخر، قال: أنا سوف أجهز على الضابط والذي خلفه بطلقة واحدة وأنت كذلك تعالج الجهة اليمنى من طرفك ما عليك نطلق الاثنين دفعة واحدة بعد الإيعاز صوّب جيداً لا مجال للخطأ أبداً للطلقة ثمن رأسيهما معاً انطلقت الرصاصتان دفعة واحدة قتلا من أرادا قتله وفر الباقون باتجاهات مختلفة.

الخائن هرب للخلف أطلق عليه طلقة لا يريد قتله أصابه في قدمه لمنعه من الهرب سحبوا الضابط والأفراد الذين تم القضاء عليهم إلى داخل النفق وبقي الخائن في أرض الكمين لا يستطيع الفرار بعد ذلك تم سحبه لنفق آخر للاستفادة مما لديه، أرسلت لهما قصاصة جديدة من ورق (انسحبا إلى المكان المتفق عليه، اتركا سلاحكما في النقطة التي أعطيت لكم).

جلسا على أطراف المخيم بعد أن تركا الكمين ضحكا جيداً معاً ووصلت فرق الإنقاذ في المروحيات تبحث عن جثث لم تجد، وجدت فقط ركوة قهوة وكأسين ما زالتا ساخنتين، تذكر علي أنه قد سكب فنجاناً ولم يحتسه، إلى مكان نرتاح فيه قليلاً وننتظر يا رفيقي إلى أمل يوم جديد أو يوم نصر أو استشهاد، إن دخول المخيم ليس كالخروج منه.

فضيحة جديدة لنتنياهو يحاول إسكاتها... فما هي القصة؟

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

قنبلة سياسية تهز دولة الاحتلال الإسرائيلي حيث رفضت المحكمة المركزية في القدس طلباً تقدم به رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بمنع عرض الفيلم الوثائقي (ملفات بيبي) الذي يحتوي على آلاف الساعات من التسجيل لوثائق مسربة تخص السياسة الإسرائيلية وملفات الفساد المتهم بها نتنياهو والتي قد تشكل فعلاً قنبلة سياسية يحاول نتنياهو تجنبها بشتى الوسائل.

يكشف الفيلم عن مشاهد تعرض لأول مرة لعدة استجوابات قامت بها الشرطة لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ومقربين منه في إطار قضايا الفساد التي تحيط به منذ عدة سنوات كما يسلط هذا الفيلم الضوء على المساومات التي تتم بين النخب الإسرائيلية وكذلك مسؤولية بنيامين نتنياهو في إغراق المنطقة بالفوضى، حيث يعرض الفيلم مشاهد لنتنياهو وزوجته وابنه يائير وبعض العاملين في منزله وكان نتنياهو يتعمد ازدراء المحقق ويجيبه بفوقية وتجاهل حيث يعرض هذا المشهد:

«يمد بنيامين نتنياهو يده لكي يتناول كأس الماء ويظهر متعمداً أنه في حالة استرخاء وخلفه يمكن رؤية خريطة كبيرة للشرق الأوسط وضعها خلفه متعمداً إظهار نفسه كملك ويملك اليد الطولى، فيسأله محقق من الشرطة وكان المحقق غير مرئي في المشهد: هل طلبت ذلك؟

يرتشف بنيامين نتنياهو ما في كوبه ويجيب بطريقة غير مبالية وغير مسؤولة وكأنه نسي عما سأله المحقق للتو، أجاب: ماذا؟

يذكره المحقق بصبر وروية: (الحقيبة)

يعاود نتنياهو ارتشاف ما في كوبه ويجيب: أنا لا أتذكر.

المحقق: وماذا لو قلنا لك إنك فعلت؟

نتنياهو: وماذا في ذلك؟

وهكذا كان بنيامين نتنياهو يحاول إظهار عدم اكتراثه بالتحقيق.

ويعرض الفيلم صوراً غير منشورة من قبل لمجريات التحقيقات التي تمخض عنها توجيه تهم الفساد لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في تشرين الثاني 2019 حيث سجلت هذه اللقطات المسربة عن استجوابات الشرطة في الفترة ما بين عامي 2016 - 2018والتي يحظر بثها في الأراضي الفلسطينية المحتلة بسبب قوانين الخصوصية لكنها عرضت في تورنتو في كندا وتم إرسال اللقطات المسربة للمخرج أليكس جيبني في أوائل عام 2023 حين حصل هذا المخرج على جائزة الأوسكار عن فيلم تاكسي في الجحيم وكانت دولة الاحتلال آنذاك تعيش حالة فوضى واحتجاجات حاشدة ضد خطة إصلاح المحكمة العليا التي دافع عنها نتنياهو وحلفاؤه من اليمين المتطرف وأوضح جيبني خلال مقابلة أجريت معه في تورنتو بكندا: كان ذلك في الفترة التي حاول نتنياهو فيها إضعاف القضاء في (إسرائيل) وهذا سمح لي بفهم حقيقة أنه كان يسعى إلى التخلص من عواقب الملاحقات القضائية ضده وأن هذا أكبر بكثير من مجرد إجراء قانوني بسيط، ورغم أنه ملاحق منذ خمس سنوات بتهم الفساد وخيانة الأمانة والاحتيال لا يزال بنيامين نتنياهو يحاكم في ثلاث قضايا ويتهم في إحداها بتقديم خدمات لشاؤول إلوفيتش رئيس شركة الاتصالات الرئيسية في مقابل الحصول على تغطية إعلامية لصالحه.

سارة نتنياهو: «أدلتكم مجرد ترهات»

حيث قالت زوجة بنيامين نتنياهو بازدراء وتعالٍ إن كل الأدلة المقدمة ضد نتنياهو وعائلته هي مجرد ترهات وكان سلوكها صدامياً ومضطرباً ومتعالياً أما يائير نتنياهو الذي يوصف بالفظ، فلم يتردد بوصف ضباط الشرطة الإسرائيلية بأنهم أعضاء في جهاز (شتازي) أو أمن الدولة في ألمانيا الشرقية سابقاً وحتى وصفهم بأنهم (غيستابو) البوليس السري النازي حينما انتابته نوبة غضب لمجرد بضعة أسئلة، وتم تسريب مقاطع منها في الصحافة الإسرائيلية عام 2019.

ومن الواضح للمتابعين أو الباحثين عن المشاهد المسربة للتحقيقات أن نتنياهو وعائلته لا يعتقدون أنهم يجب محاسبتهم. بل نرى في المشاهد المسربة مبالغة في تقدير أنفسهم حتى على أبناء عرقهم وهذا يتجسد بعبارة نتنياهو: «الدولة هي أنا».

أما عن صدمة السابع من أكتوبر فيشير الفيلم إلى قضايا الفساد المحيطة ببنيامين نتنياهو ومناوراته للإفلات من قبضة العدالة، فيرى المحللون الإسرائيليون أنها السبب في تعريض أمن إسرائيل للخطر.

وهذا رأي الصحفي الاستقصائي رافيف دروكر وهو منتج مشارك في هذا الفيلم وأضاف أيضاً: إن الهدايا الباذخة المقدمة من أصدقاء بنيامين نتنياهو الأثرياء جداً دفعت إلى محاولة رئيس الوزراء تغيير قوانين الضرائب لإفادتهم.

حرب غزة وعلاقتها بالفيلم

يشير الفيلم أيضاً إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يتعمد إطالة الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة والتي حصدت أكثر من ٤١ ألف شهيد حتى الآن لتجنب التحقيقات. ويرى أهالي الأسرى وداعميهم أن نتنياهو يعرض الرهائن للخطر وفي قاعة العرض رفع بعض المتفرجين لافتات كتبوا عليها عبارات منها فساد نتنياهو يعرض الرهائن للخطر داعين إلى التحرك السريع لإطلاق سراح الأسرى وتأمين وقف إطلاق النار في غزة قبل فوات الأوان.

وكان هذا المقال تلخيصاً لأهم الجوانب المتعلقة بالفيلم بعد متابعة الإعلام العبري وتعليقات الصحفيين الإسرائيليين عليه.

في معنى المظاهرات الصاخبة داخل دولة الاحتلال

علي بدوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

هل تنجح احتجاجات «إسرائيل» الشعبية المتزايدة والتي تقوم من حين لآخر، خاصة في مدينة تل أبيب، في الدفع نحو اتفاق لوقف حرب غزة وتبادل الأسرى، وفتح بوابات العبور لمقومات الحياة بعد حصار «إسرائيلي» مستديم..؟

المؤشرات لا تَدُل على ما سبق في ظل قيادة نتنياهو والائتلاف اليميني الفاشي الذي تتشكل الحكومة منه، وإصراره على استمرار الحرب (حرب الإبادة) ضد الشعب الفلسطيني، حتى في ظل مقتل عدد من الأسرى «الإسرائيليين» من حينٍ لآخر.

فقد تسبّب مقتل عدة أسرى «إسرائيليين» موجودين بالقطاع أثناء محاولة قوات الاحتلال الوصول إليهم في أكثر من مكان وكان آخرها منطقة رفح جنوب قطاع غزة، في ارتفاع منسوب موجة الاعتمالات والتفاعلات والاحتجاجات الكبيرة داخل «إسرائيل»، التي تُطالب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بالتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار حتى لو أدّى الأمر إلى التخلي «الإسرائيلي» عن المطلب المتعلق بمعبر فيلادلفيا لصالح السيطرة المصرية الفلسطينية التامة عليه.

في الجوهر، إنَّ ما جرى ويجري، من حراكات في الفعل العام للشارع في «إسرائيل» وهي الأكبر التي تشهدها «إسرائيل» منذ اندلاع الحرب في غزة، وقد زادها أهمية انضمام كبرى نقابات العمال في «إسرائيل» (اتحاد نقابات العمال «الهستدروت»)، التي دعت إلى إضرابات عامة بدأت في الثاني من أيلول/ سبتمبر 2024، جاءت تلك الحراكات وتركت انعكاساتها على كل مستويات الحياة في «إسرائيل» وخاصة بالنسبة للاقتصاد وآلة العمل وتراجع أعداد العمال وتعطّل العديد من المؤسسات والمرافق الإنتاجية.

إن كل الجهود الدبلوماسية، أو الضغوط الخارجية والداخلية، لم تنجح حتى الآن في تغيير موقف نتنياهو بشأن التوصل إلى اتفاقٍ لـــ صفقة تبادل، وتحديد أسماء الأسرى الفلسطينيين الذين يضع نتنياهو شروطاً على بعضٍ منهم ورفضه مجرد الحديث عن إطلاق بعضهم، ورفضه لوقف النار المستديم، فنتنياهو مازال متمسكًا بموقفه الداعي إلى القضاء على كل الحركة الوطنية الفلسطينية بكل ألوانها وفصائلها السياسية والأيديولوجية، وحتى كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح، واستئناف الحرب بعد ذلك. بل واستمر، ومازال، في وضع شروط جديدة بعد كل تقارب في المواقف عبر الوسطاء، مستنداً إلى تحالف يميني فاشي مُتطرف في الكنيست يدعو إلى استمرار الحرب، وإلاَّ انفراط عقد الحكومة.

هذا الوضع بدأ يتغير ولو بحدود معينة، ولا نقول تغيّر جذرياً، وذلك في الأسابيع الأخيرة، حيث أخذ الإنهاك والتعب من استمرار الحرب، يظهران جليًا على «المجتمع الإسرائيلي»، فنزل مؤخراً أكثر من 280 ألف إلى شوارع تل أبيب للاحتجاج على استمرار الحرب، وانضم آلاف آخرون إلى عائلات المحتجزين في القدس في اعتصام خارج مكتب نتنياهو أثناء اجتماع لمجلس الوزراء.

موقف عدد مؤثر من مقرري المؤسسة العسكرية

بالتوازي مع حركة الشارع، أخذت المؤسسة العسكرية «الإسرائيلية» تُبدي مزيدًا من المعارضة لتوجهات نتنياهو بخصوص مسار الحرب في غزة، إذ صوّت وزير الأمن الجنرال يواف غالانت، الذي يُمثّل موقف المؤسسة العسكرية والأمنية، ضد قرار استمرار الجيش في السيطرة على محور فيلادلفيا، خلال اجتماع المجلس الوزاري المُصغّر للشؤون الأمنية والسياسية «الكابينت»، الذي عُقد في 30 آب/ أغسطس، واتّهم نتنياهو بفرض إرادته على الجيش. بل وطالب (الكابينت) بتغيير قراره الداعي إلى إبقاء الجيش في محور فيلادلفيا، والذهاب إلى اتفاق، وأعرب الجنرال يواف غالانت ومعه آخرون عن مخاوفهم من أن نتنياهو يمهّد الطريق لحكم «عسكري إسرائيلي» مباشر في غزة، بعد أن قرر استحداث منصب جديد يحمل اسم «رئيس الجهود الإنسانية المدنية في غزة»، وتعيين العميد إلعاد غورين لشغله. ويخشى الجيش من أن نتنياهو يورّطه في إدارة شؤون المدنيين في قطاع غزة، وهو أمر قد تزيد تكلفته السنوية على عشرة مليارات دولار من ميزانية الجيش وتتطلب بقاء عدة فرق عسكرية على نحو شبه دائم داخل القطاع. وهذا يعني أن مخاوف الجيش التي عبّر عنها غالانت في مؤتمر صحافي عقده في 15 أيار/ مايو، ودعا فيها نتنياهو إلى الإعلان «أن إسرائيل لن تقيم حكمًا عسكريًا في قطاع غزة، قد تحققت فعليًا».

وعليه، يعتقد بعض العسكريين بل وغالبية العسكريين «الإسرائيليين» أنَّ عودة أي شكل من الحكم العسكري لغزة

أو لجزءٍ منها، سيغرق الجيش في متاهاتٍ جديدة وحرب استنزاف يومية كما كان الحال سنوات احتلال القطاع المديدة بعد حرب العام 1967.

تأثير لاحق للحراكات والمظاهرات

إنَّ الحراكات والمظاهرات في تل أبيب وغيرها، قد تؤثر لاحقاً على مصادر القرار بعد انتهاء الانتخابات الأمريكية التي تُقدم لنتنياهو عبر الحزبين الجمهوري والديمقراطي جرعات من الرفض والعنجهية العمياء، كي يستمر في عناده، غير مهتم بحركة الشارع وذلك إلى حين.

في وقتٍ تراجعت فيه ثقة «الإسرائيليين» بمستقبلهم في ظل تلك الحرب وحركات الاحتجاج والرفض العالمي للحرب، ووصف «إسرائيل» بأنها تقوم بحرب إبادة ضد الشعب الأصلي، فتضعضعت ثقة «الإسرائيليين» بمستقبلهم، وباتت ضعيفة بالرغم من تصاعد أصوات المُتطرفين في «إسرائيل» ورموزهم الفاشيين وانتعاش خطابهم المُشبع بالهمجية، وبالرغم من التناقض الظاهري بين قوة آلة «إسرائيل» العسكرية والمخاوف على مستقبلها، ففي حين أن «الآلة العسكرية الإسرائيلية» نفسها أقوى من أي وقت مضى بفعل المدد الأمريكي والغربي عموماً، فإن ديناميات التحوُلات الجارية في المنطقة خصوصاً مع نهوض الشعب الفلسطيني وثباته فوق أرضه، جعل من فكرة «إسرائيل» ومستقبلها عرضة للسقوط أكثر من أي وقت مضى منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وهنا نقف أمام إنجاز له بُعده الإستراتيجي، فبعد عقود من عمر «الدولة الإسرائيلية الصهيونية» فإن التحوّلات التي تحكمها صيرورة الأشياء وقوانين المجتمع والجغرافيا والتاريخ وقوانين الحياة ككل أصبحت تُفصح عن نفسها، وتحديداً بعد التطورات الكبيرة التي عَصَفَت بالمنطقة وبمسار التسوية المُعطّل على الجبهة الفلسطينية كما السورية، وصمود الشعب الفلسطيني، وتصديه الشجاع للعدوان على القطاع بالرغم من الأهوال والكوارث التي هبطت على رأسه والحجم الكبير من الدمار وأعداد الشهداء.

خلاصات ... تقديرات وسيناريوهات

إنَّ الاعتمالات ملأت شوارع تل أبيب وهي تطالب بوقف الحرب على قطاع غزة والضفة الغربية ومخيماتها وعموم الشعب الفلسطيني من جهة، وحل مشكل «الصفقة» ووقف النار وكل المستتبعات من جهة ثانية بهدف إطلاق «الإسرائيليين» من القطاع. وقد رفعت تلك المظاهرات اليافطات التي ترفض سياسات نتنياهو وحكومته الائتلافية الأكثر تطرفاً في تاريخ دولة الاحتلال منذ قيام «إسرائيل» عام نكبة الشعب الفلسطيني.

وأظهرت نتائج استطلاعين للرأي العامّ داخل «إسرائيل يوم 24 أغسطس 2024 تأرجُح مواقف «الأحزاب الإسرائيلية» حال أُجريت انتخابات في حينها، بين حزبَ الليكود، وحزب «المعسكر الوطني»، فيما تفوّق رئيس «الحكومة الإسرائيلية» الأسبق نفتالي بينيت، على رئيس الحكومة الحاليّ، بنيامين نتنياهو، بالسؤال بشأن الشخصية الأنسب لرئاسة الحكومة.

وفي حين أظهر الاستطلاع الذي نشرته «هيئة البثّ الإسرائيلية العامّة» («كان 11»)، تقدُّم حزب رئيس الحكومة، بالتحصّل على 24 مقعداً، مقابل 21 مقعداً لـ«المعسكر الوطني» الذي يترأسه بيني غانتس، أشار استطلاع القناة الإسرائيلية 12 إلى تساوي الحزبين بـ22 مقعداً، لكلّ منهما.

وحسب (مركز بديل): «المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين «أن أصواتاً خافتة بدأت تصدر من داخل كيان الاحتلال ومنها: «الصّوت اليهودي من أجل السّلام». و»على اليهود قول كلمة لا!». و»يهود من أجل حق العودة للفلسطينيين». و»شبكة اليهود العالمية المعادية للصهيونية». وظهرت أخيراً مجموعة جديدة تحمل اسم «إن لم يكن الآن».

وبحسب (مركز بديل)، يُشكّل الجيل الجديد من اليهود النسبة الكبرى في هذا التحوّل، وفق ما يُظهِره مسح شمل سكّاناً يهوداً في الولايات المتحدة السنة الماضية، إذ انخفضت بشكلٍ كبير نسبة أولئك الذين يعتبرون أنفسهم «متعلّقين بإسرائيل» : «من 38% من اليهود ممّن تتجاوز أعمارهم 65 و25% ممّن تراوحت أعمارهم بين 18 و29. وأهمية هذه الصحوة أنها تساهم بشكل كبير في نزع «شرعية» تمثيل الحركة الصهيونية لليهود في العالم».

ايضاً، وفي الحديث إياه، وعن التحوّلات الأخيرة داخل كيان صدرت وثيقة مؤخراً عن قسم الأبحاث في شعبة «الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (آمان)» تؤكد أن التقديرات تُرجّح الاحتمالات والسيناريوهات التالية :

السيناريو الأول، حرب طويلة واستنزاف متبادل ودخول الفصائل الفلسطينية على خط حرب عصابات.

والسيناريو الثاني، يتمثّل بإمكانية اندلاع حرب إقليمية مع الدخول المُتتالي للمقاومة في لبنان على خط الحرب. وهنا، لن تستطيع «إسرائيل» تحمل قصف على كل مدن فلسطين المحتلة، مع عمليات عسكرية ميدانية في الجليل الأعلى ومستعمرات شمالي فلسطين، ويرتبط هذا الاحتمال أو السيناريو بمدى قدرة «المجتمع الإسرائيلي» ومكوناته المتعددة على تحمل قدْر غير محتمل من الخسائر البشرية.

أما السيناريو الثالث: عودة الأطراف الإقليمية لمكوك المفاوضات بشأن «حل الدولتين» والدوران في دائرة قد تكون على شكلِ دوامة، ودون طائل في بناء أي حلٍ سياسي كما تتوهم بعض العواصم الإقليمية وتعمل على ذلك في المرحلة التالية، مرحلة «ما بعد غزة» كما يروجون.

بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني، إنَّ القضية الوطنية الفلسطينية ليست «صراعاً» أو «مشكلة» أو معضلة «دينية»، إنها حرب تحرير ضد استعمار من نوع خاص، لأنه استعمار استيطاني اقتلاعي إجلائي إحلالي. والشعب الفلسطيني الآن يمسح عرقه ويبدأ من جديد، كما حدث دائماً.

أكتوبر تعيد ضرورة السؤال: من هي إسرائيل الصهيونية؟

حاتم الاستنبولي - كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

إسرائيل الصهيونية هي فكرة رأسمالية استثمرت في الفكرة الدينية اليهودية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين سرعان ما تحول مفهوم الوطن القومي لليهود إلى دولة يهودية. لتحقيق هذه الفكرة يلزمها قوة مادية ملموسة وفي هذه الحالة كانت بريطانيا العظمى وفرنسا وهولندا وإيطاليا والولايات المتحدة هي الدول المهيمنة على الاقتصاد العالمي الرأسمالي وكانت الرأسمالية في مرحلة تحولات داخلية تستوجب الشكل الإمبريالي للاستغلال الذي يعطي مساحة لدور الشركات القابضة خارج حدود الدولة الوطنية على حساب دور الدولة الوطنية على الساحة الدولية. هذا كان يتطلب تغييراً في شكل الاستعمار وتحوله من استعمار مباشر إلى استعمار غير مباشر قائم على إخضاع دور الدولة الوطنية لصالح دور الشركات القابضة المتعددة الجنسيات التي ساهمت في تَطويع العلاقات بين الدول الرأسمالية من شكل التناقض إلى شكل التعارض يحل بناء على توزيع المصالح آخذة بعين الاعتبار طابع الإنتاج في كل دولة من الدول الصناعية الرئيسية.

في هذه اللحظة التاريخية بين عامي ١٨٩٩ و١٩٠٧ كانت الحركة الصهيونية قد حسمت موقفها بأن فلسطين هي المكان لإنشاء الوطن القومي لليهود وبدأت الاتصالات الجدية مع السلطنة العثمانية التي رفضت إعطاءهِم الحق في فلسطين وفي هذه الفترة كانت الدول الأوروبية تناقش خططها المستقبلية ويستلزم هذا الدعوة إلى اجتماع واسع للدول الاستعمارية شكلت لجنة عرفت باسم رئيس الوزراء البريطاني.

- هذا المشهد الذي شكل مرحلة ما بين 1900 الى 1922 حيث تلاقت المصلحة الاستعمارية الغربية مع المصلحة الصهيونية الذي عبر عنها بشكل واضح في مقررات لجنة ((Henry Campbell-Bannerman)) نسبة لرئيس وزراء بريطانيا عام 1907 الذي دعا لمؤتمر يضم ممثلين عن كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وإسبانيا وبلجيكا والبرتغال وإيطاليا هذه الدول التي كانت تشكل دول الاستعمار المباشر حيث كان المؤتمر يقوم على حلقات دراسية وعلى الدول أن ترسل إلى جانب ممثليها خبراءها وأساتذتها الجامعيين.

- أصدر مؤتمر هذه اللجنة تقريراً تضمن:

- ((إن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط الذي يقيم على سواحله الجنوبية والشرقية شعب يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط وتتركز فيها الثروات الباطنية والزراعية مما يتيح لشعبها التقدم والرقي)).

- وأوصى تقرير المؤتمر بضرورة تفتيت المنطقة وفصل جزئها الإفريقي عن الآسيوي عبر وضع حاجز بشري بينهما.

- المدقق بهذه التوصية يرى مدى النفوذ الصهيوني الذي كان يحكم أجواء المؤتمر والذي انعكس في تقرير ((Henry Campbell-Bannerman)).

- حيث تأكد ذلك في تقرير اللجنة البريطانية عام 1937 الذي أشير فيه:

- عندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين في شهر فبراير عام 1917 فتح باب التفاوض الرسمي بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية وتلتها مفاوضات أخرى مع الحكومة الفرنسية والإيطالية وتمت الموافقة الرسمية على المشروع الصهيوني من قبل باريس وروما ولندن وأُجِلَ نشر هذه الموافقة حتى أكتوبر ١٩١٧ التي عرفت باسم وزير خارجية بريطانيا بلفور الذي عرض على الرئيس الأمريكي وأُخِذَت موافقته.

- هذا يؤشر الى أن وعد بلفور كان ثمرة جهود صهيونية التقت مصالحها مع مصالح الاستعمار المباشر وعواصِمِهِ وجاء نتيجة لتوصيات مؤتمر ((Henry Campbell-Bannerman))، (المرجع كتاب جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن).

- تلخيصاً لهذه المرحلة الهامة التي تحولت التوصيات والقرارات الصهيونية المالية والسياسية والإعلامية إلى وقائع عبر استخدام النفوذ الصهيوني في حكومات الغرب ودور الجاليات والقبائل اليهودية في أوروبا والإمبراطورية العثمانية ناهيك عن الدور الذي لعبه عملاء بريطانيا في مصر والهند وخاصة لورنس العرب وجون فيلبي وكوكس وتَقَمُّصهما الشخصية العربية بالشكل واللباس وحتى تغيير الأسماء لتأخذ أسماء عربية حيث غير جون فيلبي اسمه إلى الحاج عبدالله فيلبي.

- هذه المراجعة توضح أن إسرائيل كفكرة هي نتاج تقاطع المصالح لرأس المال الصهيوني مع مصالح القوى الرأسمالية في طور أخذها شكلاً إمبريالياً.

- لتحقيق هذه الفكرة تطلب حربين عالميتين الأولى أسقطت الامبراطورية العثمانية التي شكلت عائقاً أمام هجرة اليهود والحرب العالمية الثانية التي خلقت ظروفاً لدفع اليهود للتوجه لفلسطين تحت رعاية الانتداب البريطاني بالرغم من الانتصار على النازية خلق ظروفاً سياسية واجتماعية لاستمرار عيش اليهود من جنسيات مختلفة في أوطانهم الأصلية.

- المشاركة الفاعلة لرأس المال الصهيوني في دعم الحربين العالميتين الانتصار من حيث إضعاف الإمبراطورية العثمانية وهجرة رأس المال الصهيوني اليهودي الألماني إلى بريطانيا فتحت أفقاً سياسياً وعسكرياً وأمنياً واقتصادياً لرأس المال الصهيوني في الاندماج بعجلة رأس المال العالمي الذي كان يعيد بناء نظامه المالي والسياسي والأمني والاقتصادي بناء على نتائج الحرب العالمية الثانية.

- واتخذت مجموعة من القرارات السياسية والأمنية والدفاعية والاقتصادية والإعلامية التي حظيت فيها الدولة اليهودية الناشئة على حماية ودعم مطلق من قبل النظام الرأسمالي وقواه الرئيسية وأصبحت الدولة اليهودية

ضرورة رأسمالية في منطقة لا تحظى فيها الدول الرأسمالية قبولاً إيجابياً بين شعوب المنطقة لاعتبارات تاريخية وثقافية ودينية وسياسية وتحول هذا الشعور إلى عداء بعد المجازر والجرائم المتعددة والمركبة التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني واللبناني والمصري والسوري واليمني ما قبل قيام الدولة اليهودية وبعدها بدعم واضح من الدول الاستعمارية الغربية.

- كان أول اختبار لدور الدولة اليهودية هي مشاركتها الفاعلة في العدوان الثلاثي على مصر الذي فتح بعدها التعاون العسكري وحصلت فيه إسرائيل الصهيونية على المفاعل النووي من فرنسا.

- وفتح التعاون العسكري والأمني بين الدولة الصهيونية اليهودية وبين مراكز رأس المال العالمي الممتدة بين واشنطن ولندن وباريس وبرلين وروما.

- وعملت الحركة الصهيونية على توسيع دائرة نفوذها المالي والإعلامي والأمني والاقتصادي والقانوني حيث اعتبرت الدولة اليهودية الصهيونية هي الوريث التاريخي للديانة اليهودية التي أُضفِيَت عليها طابعاً سياسياً صهيونياً ابتز الدول والشعوب الغربية وعمل على تحويل كل المساعدات التي فرضت على ألمانيا وإيطاليا واليابان إلى الدولة اليهودية التي أقيمت ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بالرغم من أن ضحايا العدوان النازي هم مواطنون يهود متوزعون على الدول الأوروبية والاتحاد السوفييتي واستثمرت في الجانب القانوني لإصدار قانون معاداة السامية الذي حولته إلى قانون ضد معاداة إسرائيل وبدأت منظماتها في ملاحقة كافة السياسيين والإعلاميين الغربيين الذين يبدون مواقف تتعارض مع السياسة العدوانية الإسرائيلية .

- ودعموا وعملوا على وصول السياسيين والإعلاميين إلى المراكز المؤثرة ليتمكنوا من تعميم السياسات الصهيونية الإسرائيلية.

- بسيطرتهم على المراكز الإعلامية الرئيسية في العالم استخدموها في اتجاهين شيطنة النضال الوطني التحرري في العالم وخاصة في فلسطين وكل من يدعم حقوق الشعب الفلسطيني وفي اتجاه الآخر في الضغط على النظم السياسية لتطويع السياسيين في أوروبا وأمريكا لخدمة المصالح الصهيونية الإسرائيلية بحيث أصبح العامل الإسرائيلي هو المقرر في وصول السياسيين إلى الحكم في معظم الدول الغربية وخاصة في الولايات المتحدة.

- هذا العمل على مدى عقود مكن الدولة الصهيونية من الاستفادة في البعد الأمني العملياتي بحيث أصبحت المؤسسات الأمنية الغربية في خدمة الدولة اليهودية الصهيونية إضافة الى استثمار الدول التاريخي لدور القبائل اليهودية(المرابي والقوادة) المنتشرة والتي كانت تتعاون مع العصابات وقطاع الطرق الذين كانوا يبيعون مسروقاتهم تحت غطاء مكاتب الرهن التي كانت متوزعة في أوروبا وما زالت حتى الآن في الولايات المتحدة الأمريكية هذه العلاقة استمرت واستثمرت من قبل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية (الموساد) في التأثير على النظم السياسية وخاصة في أمريكا اللاتينية.

- العقلية الإجرامية الإرهابية التي مارستها المنظمات اليهودية الصهيونية وعادت إليها بشكل فج وعلني بعد ٧ من أكتوبر كانت أبرز تجلياتها في المجازر الصهيونية الارهابية ضد الشعب الفلسطيني في غزة والضفة وتجليات العمل الإرهابي في لبنان الذي استخدم الأدوات التجارية التي تتيحها منظمة التجارة العالمية وَوَظَفتها لإعداد وتنفيذ الجرائم الارهابية في لبنان.

- هذا التفكير الإجرامي الإرهابي الذي يستخدم الوسائل التكنولوجية الموظفة لخدمة الإنسانية كوسيلة لممارسة أعماله الإرهابية الإجرامية كان قد بدأ بتفخيخ سيارة الشهيد الكاتب والصحفي والسياسي غسان كنفاني وعاد واستخدم هذا الأسلوب في مرات عديدة كان أبرزها تفخيخ الهاتف الذي استخدمه المهندس يحيى عياش.

- الذي ميز هذا الأسلوب أنه يستخدم من قبل دولة موقعة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تمنع هذا الأسلوب والطريقة في القتل الفردي والجماعي وخاصة ضد أشخاص وأطراف سياسية بغض النظر عن تصنيفها.

- السابع من أكتوبر كشف الطابع الإجرامي الإرهابي لممارسات الدولة اليهودية الصهيونية التي تحظى بدعم أمريكي غربي جعلها فوق القانون الإنساني. ووضع تساؤلات على كافة العمليات الإرهابية التي تمت وأحيلت إلى جهات غير معروفة (اغتيال الحريري وتفجير مرفأ بيروت).

- إذا مرت هذه الأعمال الإرهابية من دون محاسبة لدولة الإرهاب الصهيوني فهذا يعني تشريع الإرهاب الجماعي الذي يستهدف الموارد العامة الإنسانية من آبار مياه ومراكز توزيعها إلى مواد غذائية وكهربائية وإلكترونية وحقول إنتاج النفط والمصافي وخزانات المواد الكيميائية والسماد الزراعي.

- الجرائم الإرهابية للدولة اليهودية الصهيونية يجب النظر لها من حيث العقلية الإجرامية الإرهابية للمؤسسة السياسية والأمنية والعسكرية والإعلامية والقانونية الإسرائيلية الصهيونية التي تشرع هذه الاعتداءات ضد الإنسانية وتفتح الباب لممارسة الأطراف الأسلوب ذاته ضدها وضد داعميها لهذا هنالك ضرورة سياسية وقانونية وأمنية لمحاسبة إسرائيل اليهودية الصهيونية.

- أما من جانب آخر فإن قوى المقاومة يجب أن تدرك أنها تواجه خصماً يستخدم كل الوسائل المتاحة الشرعية وغير الشرعية باستخدام عقلية إجرامية إرهابية لا إنسانية وبهذا الصدد فإن دراسة كافة الممارسات الإجرامية الإرهابية لعصابات المافيا الإجرامية وطرق عملها وحروبها تعطي مؤشراً واضحاً للمدى الذي يمكن أن تصل إليه العقلية الإجرامية الصهيونية والأهم أن هذه الممارسات تغطى وتبرر من قبل مراكز رأس المال في واشنطن ولندن وباريس وبرلين وروما وتجد صمتاً من قبل باقي العواصم.

- الممارسات الإجرامية الإرهابية الصهيونية هي تعبير أبرز عن الجوهر العدواني الإجرامي الذي مارسته القوى الرأسمالية في كافة مراحلها وأشكالها التي مارستها منذ عهد العبودية مروراً في حروبها واستعمارها المباشر وغير المباشر عبر شركاتها القابضة التي تدعم وتمول إسرائيل الإرهابية وتسمح لها باستخدام مواردها وإمكانياتها العلمية والإعلامية والأمنية والتقنية لمحاصرة النضال التحرري للشعوب وخاصة الشعب الفلسطيني.

ترجمة

هل هذه حرب؟

من الصعب تحديد الصراع بين إسرائيل وحزب الله أو التنبؤ به

ترجمة: نور نوارة ـ مترجم وكاتب فلسطيني ـ سورية

بقلم: جوزيف كراوس ـ المصدر: وكالة أسوشيتد برس Associated Press الأمريكية، 23 سبتمبر 2024

تقصف إسرائيل أهدافا في أجزاء كثيرة من لبنان، وتضرب كبار النشطاء في بيروت، ويبدو أنها تخفي القنابل في أجهزة الاستدعاء وأجهزة الاتصال اللاسلكي. ويطلق حزب الله صواريخ وطائرات بدون طيار في عمق شمال إسرائيل، ويشعل النار في المباني والسيارات.

لكن لا أحد يسميها حربا - ليس بعد.

ويقول مسؤولون إسرائيليون إنهم لا يسعون إلى الحرب مع حزب الله وإنه يمكن تجنبها إذا أوقفت الجماعة هجماتها وتراجعت عن الحدود. ويقول حزب الله أيضا إنه لا يريد حربا ولكنه مستعد لها – وأنه سيواصل الضربات على إسرائيل التي بدأها في أعقاب هجوم حليفتها حماس في 7 أكتوبر حتى يتم وقف إطلاق النار في غزة.

وتبادلت إسرائيل وحزب الله إطلاق النار مرارا وتكرارا منذ ذلك الحين – لكن الكثافة ارتفعت إلى مستوى آخر يوم الإثنين، عندما قتلت الغارات الجوية الإسرائيلية أكثر من 490 شخصا، وفقا لمسؤولين لبنانيين. وهذا من شأنه أن يجعله أكثر الأيام دموية في لبنان منذ آخر مرة خاضت فيها إسرائيل وحزب الله حربا في عام 2006.

في بعض الأحيان تعلن الدول الحرب رسميا، كما فعلت إسرائيل بعد هجوم حماس في العام الماضي. ولم تصدر إعلانا مماثلا فيما يتعلق بحزب الله، لكنها ربطت ضرباتها ضد الحزب بالحرب في غزة، قائلة الأسبوع الماضي إن السماح لعشرات الآلاف من السكان بالعودة بأمان إلى الشمال هو هدف في هذا الصراع. كما يتحدث وزير الدفاع الإسرائيلي، يوآف غالانت، كثيرا عن حرب مستمرة مع إيران وحلفائها على «سبع جبهات»، بما في ذلك لبنان.

لماذا لا يريد أي من الطرفين أن يسميها حربا؟

جزء من السبب في عدم استخدام إسرائيل ولا حزب الله لكلمة «حرب» هو أنهما يأملان في تحقيق أهدافهما دون إشعال صراع أكثر حدة – أو إلقاء اللوم عليهما.

وقال حزب الله إنه سيوقف الهجمات إذا كانت هناك هدنة في غزة، لكن احتمالات التوصل إلى مثل هذا الاتفاق تبدو بعيدة.

وتعهد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بالقيام بكل ما هو ضروري لوقف الهجمات حتى يتمكن النازحون الإسرائيليون من العودة إلى ديارهم.

كيف يمكن أن تبدو حرب واسعة النطاق؟

اتفق الخبراء عموما على أن أي حرب مستقبلية بين إسرائيل وحزب الله ستبدو مثل الحرب التي خاضوها في عام 2006 – ولكن أسوأ بكثير.

لسنوات، حذر مسؤولون إسرائيليون من أنه في أي حرب مستقبلية مع حزب الله، سيفرض الجيش خسائر فادحة على لبنان نفسه، ويدمر البنية التحتية الحيوية ويسوي معاقل حزب الله بالأرض. وأصبح يعرف باسم عقيدة الضاحية، التي سميت على اسم منطقة جنوب بيروت المزدحمة حيث يقع مقر حزب الله ، والتي عانت من دمار هائل في عام 2006.

وفي الوقت نفسه، أمضى حزب الله سنوات في توسيع وتحسين ترسانته، ويعتقد أن لديه حوالي 150،000 صاروخ وقذيفة قادرة على ضرب جميع أنحاء إسرائيل.

هل هي بالتأكيد حرب إذا كان هناك غزو بري؟

ومن شأن أي قرار إسرائيلي بإرسال دبابات وقوات إلى جنوب لبنان أن يمثل تصعيدا كبيرا ويدفع الكثيرين إلى تصنيف الصراع على أنه حرب.

وأعلنت إسرائيل رسميا الحرب في غزة قبل نحو ثلاثة أسابيع من إرسال أي قوات برية. وتعمل القوات البرية الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة منذ عقود، وفي الأشهر الأخيرة شنت بشكل روتيني غارات جوية ضد المسلحين، دون أن يشير أحد إلى أنها حرب. وقد يترك توغل بري إسرائيلي محدود مجالا لكلا الجانبين للتراجع.

وبطبيعة الحال، من المرجح أن يرى لبنان في الغزو البري انتهاكا صارخا لسيادته وعملا من أعمال الحرب. لكن بيروت تتهم إسرائيل بالفعل بانتهاك مجالها الجوي بشكل روتيني واحتلال أراض متنازع عليها على طول الحدود.

تقرير

تقرير بالتفاصيل والأرقام.. الدعم العسكري الأميركي للكيان الصهيوني

سحر محرز ـ كاتبة صحفية سورية

تواصل الولايات المتحدة الأميركية دعم الكيان الصهيوني في حربه على قطاع غزة منذ 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023، حيث قامت بتزويده بالذخيرة والأسلحة والمعدات العسكرية، كما صرحت الولايات المتحدة: « أن إسرائيل ستحصل على كل ما تحتاجه لدعم هجوم مضاد على قطاع غزة الذي تحكمه حماس».

وفيما يلي بعض المساعدات العسكرية التي أرسلتها أميركا للكيان الصهيوني منذ بداية حرب «طوفان الأقصى»:

- قنابل «إم. كيه82- «.

-ذخائر الهجوم المباشر «كيه. إم. يو-572».

-قنابل «إف. إم. يو139-».

200 -طائرة ضمن الجسر الجوي الأميركي محملة بالسلاح والمركبات المصفحة.

- نحو 10 آلاف طن من السلاح والمعدات الأميركية.

- مركبات مدرعة وأسلحة ومعدات حماية شخصية وأخرى طبية وذخيرة.

25- مقاتلة «F35»

25- مقاتلة «F-15 AI»

12- طائرة «أباتشي».

230- طائرة شحن.

20- سفينة محملة بالأسلحة لإسرائيل.

-قنابل وقذائف مدفعية ومركبات مدرعة ومعدات قتالية للجنود.

- مروحيات هجومية «أباتشي».

وبحسب وكالة الأنباء الألمانية، زوّدت أميركا الكيان الصهيوني بـ 100 قنبلة خارقة للتحصينات، وعشرات الآلاف من الأسلحة.

- قنابل خارقة للتحصينات «بي إل يو-109».

57- ألف قذيفة مدفعية، و5 آلاف قنبلة من طراز «Mk82»، و5400 قنبلة برؤوس حربية «Mk84» ، وحوالي ألف قنبلة ذات قطر صغير «GBU-39»، ونحو 3 آلاف قنبلة «جدام»، وعشرات المقاتلات «إف-35» و«إف- 15» وطائرات أباتشي.

وتشير صحيفة «واشنطن بوست» إلى أن الولايات المتحدة وافقت وسلمت أكثر من «100» صفقة سلاح.

وتشمل صفقات الأسلحة أنظمة دفاع جوي وذخائر موجهة بدقة عالية وقذائف مدفعية وقذائف دبابات، وصواريخ «هيلفاير»، وأجهزة رؤية ليلية وصواريخ محمولة على الكتف، كما أعاد البنتاغون بطاريتين من نظام القبة الحديدية إلى إسرائيل.

وشملت الحزمة الأميركية مبلغ 4.4 مليارات دولار لتجديد المواد والخدمات الدفاعية المقدمة لإسرائيل، كما قدمت مبلغ 3.5 مليارات دولار لشراء أنظمة أسلحة متقدمة، بالإضافة إلى مبلغ 801.4 مليون دولار لشراء الذخيرة، كما منحت إسرائيل إمكانية الوصول إلى المخزونات العسكرية الأميركية في إسرائيل لتلبية الاحتياجات الفورية لجيش الاحتلال.

ويشار إلى أن حجم الدعم الأميركي قد بلغ ما قيمته 14 مليار دولار، قدمت الدفعة الأولى كمساعدات عسكرية إلى جانب قيمة الدعم السنوي التقليدي الذي تحصل عليه إسرائيل من الولايات المتحدة، وَفقًا لمذكرات التفاهم بنحو 4 مليارات دولار.

حيث وافقت إدارة بايدن على عقد أكثر

من 100 صفقة سلاح مع الكيان الصهيوني منذ بداية حرب «طوفان الأقصى»، وشملت الصفقات نحو 50 طائرة مقاتلة من طراز إف15 كما تضمنت طائرات بدون طيار من نوع «سويتش بليد». وإلى جانب ذلك قذائف دبابات ومعدات عسكرية، وقذائف مدفعية وذخائر موجهة بدقة عالية.

وفي أبريل/ نيسان الماضي وافق مجلس النواب الأميركي على إرسال حزمة مساعدات لإسرائيل تبلغ 26.4 مليار دولار من بينها 17 ملياراً مساعدات عسكرية، وذلك رغم قلق المجتمع الدولي حيال مصير المدنيين في غزة.

كما أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في أغسطس/ آب 2024 أن الولايات المتحدة وافقت على مبيعات أسلحة لإسرائيل بقيمة 20 مليار دولار، بما في ذلك عشرات الطائرات المقاتلة وصواريخ «جو- جو» المتطورة.

وتم إخطار الكونغرس بالصفقة الوشيكة، والتي تشمل أكثر من 50 طائرة مقاتلة من طراز «إف15-»، وصواريخ «جو- جو» متوسطة المدى المتقدمة، أو AMRAAMs، وذخيرة دبابات عيار 120 ملم وقذائف هاون شديدة الانفجار ومركبات تكتيكية.

ولكن من غير المتوقع أن تصل الأسلحة إلى إسرائيل في الوقت القريب، فهي عقود سيستغرق تنفيذها سنوات، حيث إن جزءاً كبيراً من الأسلحة التي يتم بيعها يهدف إلى مساعدة الكيان الصهيوني على زيادة قدراته العسكرية في المدى البعيد.

ولن تشمل العقود بيع 50 طائرة جديدة ستنتجها شركة «بوينغ» فقط، بل ستشمل أيضاً مجموعات ترقية لإسرائيل لتعديل أسطولها الحالي المكون من عشرين طائرة مقاتلة من طراز «إف15-» بمحركات ورادارات جديدة، من بين ترقيات أخرى.

وتشكل الطائرات الجزء الأكبر من مبيعات بقيمة 20 مليار دولار، ومن المتوقع أن يتم تسليم أولى الطائرات في عام 2029.

ولقد طالت إدارة جو بايدن العديد من الانتقادات على خلفية دعمها العسكري المتواصل للكيان الصهيوني، حيث أظهرت استطلاعات رأي أجراها مركز بيو للأبحاث أن ثلث الأمريكيين فقط يوافقون على سياسة بايدن تجاه الحرب الإسرائيلية على غزة.

وعارض 51% من الجمهوريين المستطلعة آراؤهم طريقة بايدن في التعامل مع الحرب، بينما وافق عليها 28%.

أما الديمقراطيون فكانوا أكثر انقساماً، إذ وافق 44% من المستطلعة آراؤهم على طريقة بايدن في التعامل مع الحرب، بينما عارض طريقته 33%، في حين كان 22% غير متأكدين من مواقفهم.

كما قدم 12 مسؤولاً أميركياً استقالتهم من إدارة الرئيس بايدن بسبب الدعم الأميركي لإسرائيل في حربها على غزة، معللين انسحابهم بانتهاك الإدارة للقوانين الأمريكية من خلال دعمها لإسرائيل وإيجاد ثغرات لمواصلة إمداد الدولة الصهيونية بالأسلحة.

وإلى جانب ذلك تحض بعض المنظمات التي تعنى بحقوق الإنسان وبعض الأعضاء من ذوي التوجهات اليسارية في الحزب الديموقراطي الذي ينتمي إليه بايدن؛ الإدارة على الحد من مبيعات الأسلحة إلى إسرائيل أو وقفها، مع التعبير عن استياء بالغ إزاء سقوط ضحايا مدنيين في الحرب الصهيونية على قطاع غزة.

ووسط تزايد الدعوات العالمية إلى وقف إطلاق النار في قطاع غزة، أصبحت الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل معزولتين بشكل متزايد، حيث انتقدت منظمة حقوق الإنسان والأمم المتحدة بشدة قرارات إدارة بايدن لاستخدامها حق النقض ضد عدة قرارات للأمم المتحدة تدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار ومواصلة إرسال الأسلحة إلى إسرائيل، وقالت جماعات حقوق الإنسان الدولية في بيان: «من خلال الاستمرار في تقديم الدعم العسكري والدبلوماسي لإسرائيل أثناء ارتكابها الفظائع، بما في ذلك العقاب الجماعي للمدنيين الفلسطينيين في غزة، فإن الولايات المتحدة متواطئة في جرائم الحرب».

وعلى خلفية تراجع «جو بايدن» عن خوض الانتخابات الرئاسية الأميركية التي ستجري في نوفمبر/ تشرين الثاني المقبل، والمنافسة القائمة بين مرشحة الحزب الديمقراطي «كامالا هاريس»، والرئيس الأميركي السابق «دونالد ترامب»، من المتوقع أن يكون هناك تغييرات عميقة في كل ما يتعلق بالمساعدات الأميركية للكيان الصهيوني.

فعلى الرغم من أن «هاريس» تتمتع بعلاقات عميقة مع اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، إلا أنها كانت أول من دعا إلى وقف فوري لإطلاق النار في غزة، حيث يرى عقيد احتياط بجيش الاحتلال «غابي سيفوني» أن «هاريس» ستقوم بالضغط على حكومة نتنياهو من خلال مجموعة متنوعة من الأدوات التي ستمتلكها في حال فوزها في الانتخابات، بما في ذلك «الإضرار بالمساعدات العسكرية» إذ تعبر تصريحاتها أيضاً عن تغيير عميق في أجزاء من الحزب الديمقراطي تجاه إسرائيل.

في حين كررت هاريس خلال مقابلة لها مع شبكة «سي إن إن» دعمها حق إسرائيل «في الدفاع عن نفسها» وأجابت بـ «لا» على سؤال عن ما إذا كانت ستعلق تسليم الأسلحة الأمريكية لإسرائيل في حال فوزها في الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

ومن جهة أخرى، فإن إدارة الرئيس السابق «ترامب» كانت من بين أكثر الإدارات الداعمة للكيان الصهيوني، حيث قام خلال فترة ولايته بتوقيع اتفاقيات التطبيع، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، بالإضافة إلى الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان السورية المحتلة، لكن ليس من الواضح كيف سيكون موقف إدارة ترامب الثانية تجاه إسرائيل في حال انتخابها.

ونتيجةً لهذه المستجدات يعتقد سيفوني أن إسرائيل ستكون مطالبة بالمناورة بين القوى في الولايات المتحدة، قائلاً: «ليس من الواضح على الإطلاق كيف سيتم تجديد اتفاقية المساعدات مع إسرائيل في أي إدارة مستقبلية في البيت الأبيض».

إسرائيل ومأزق الداخل

أكرم عطا الله ـ كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ بريطانيا

سبعة ونصف عقود لا زالت اسرائيل تخوض حروباً وجودية ، هكذا يقول قادتها المنهمكين بلا نصر مطلق منذ أحد عشر شهراً في الحرب إنها حرب الإستقلال الثانية كما يقولون هكذا هو الأمر لدولة تشعر أنها لم تنجح في الإستقلال بعد ولا زالت تبحث عنه في منطقة تزداد فيها حدة الإشتباك وتكسر خلالها مرتكزات الأمن القومي التي قررها المؤسس دافيد بن غوريون نهاية أربعينات القرن الماضي وهو يضع أعمدة الدولة .

فلا حروب خاطفة كما قال لأن على الشعب المقاتل أن يعود لمزارعه ومصانعه ولا حروب خارج أرض اسرائيل لان مساحتها صغيرة ولا تحتمل حربا ستطال السكان ما يدفعهم للرحيل فالحرب أصبحت تهدد كل مدينة وكل بيت وقد كانت نذرها على حدود غزة والشمال الذي هرب منه مئة ألف لم يتمكنون من العودة هذا قبل أن تشتعل الحرب الجدية فقط حين كان الشمال مجرد جبهة مساندة وهكذا تجد الدولة نفسها تبدأ من جديد مع تهديدات مختلفة لا يسهل حلها تبحث بعد سبعة عقود ونصف عن حماية لها بعد أن قدمت نفسها للعرب كدولة حامية من التهديد الإيراني وإذ بها تبدو أصغر من ذلك بكثير .

لكن المثير وأمام تلك التهديدات وتلاشي صورة اسرائيل القوية التي تعرض خدماتها على الإقليم قبل هذا الإنكشاف أن استطلاعات راي تجري فيها تضع خشية المواطن الإسرائيلي من التهديدات الداخلية أكثر من تلك التهديدات الخارجية رغم قوتها وتهديدها الحقيقي لإسرائيل وقوة ردعها وأمنها القومي تلك باتت جزء من الهواجس التي تسيطر على مواطن في حالة من الفوضى الذهنية التي تسبب بها اكتشافه عري الدولة وهي تقف أمامه بشكل مختلف عن الصورة شكلتها الثقافة الموجهة والتعبئة والتعليم بإعتبارها الدولة القوية ودولة اليهود الوحيدة القادرة على صهر كل يهود العالم في مجتمع هوياتي موحَّد القومية والدين .

فلا هي قوية للحد الذي يمكنها من الإعتماد على ذاتها فهي تستنجد بالدول القوية وإذا كان المواطن في اسرائيل يتكئ على الولايات المتحدة في حمايته كما يقول قادة الدولة لكن في الداخل الإسرائيلي يختلف الأمر فالصدع المجتمعي يتسع والتشظي بات سمة من سمات مجتمع اسرائيل في العامين الاخيرين فلم يمر اسبوع دون أن تتحرك كتلة اجتماعية كبيرة تملأ الساحات معلنة احتجاجها على كتلة اجتماعية سياسية أخرى حاكمة .

«اسرائيل تتوحد في الحروب « تلك المقولة عاشت لعقود وقد تجسدت في كل حروبها لكن هذه المرة بدا أن الصدع أكبر من أن تخفيه الحرب ، قبل الحرب كانوا يتظاهرون فالمتظاهرون في الشوارع ككتلة اجتماعية علمانية قانونية منفتحة جامعة تصطدم مع دينية عتيقة متخلفة ترى في العلمانية والقانون قيماً نقيضة لليهودية والأصول ثم تستمر الإحتجاجات متخذة شكلاً أكثر عنفاً احتجاجاً على حكم بالإعدام تصدره حكومة اليمين على الأسرى الذين تحتجزهم القوى المسلحة في قطاع غزة ولكن الأمر ليس بالضرورة أن يتعلق بالأسرى بقدر ما هو امتداد للتصادم بين الكتلتين الإجتماعيتين الذي وصل إلى ما يشبه الطلاق وهو امتداد لجذور تاريخية بدأت منذ التاسيس عندما حملت أجنة تناقضاتها كدولة علمانية ودينية أيضاً وبين هذه وتلك فروقاً هائلة كان لا بد وأن تصطدم . حتى لو أطلق سراح الاسرى ستجد الكتلتان ما يجعل ذلك الصدع سمة عامة في الدولة حيث تزداد حدة الصدام بينهما وهنا قلق المجتمع الإسرائيلي الذي بات يرى ويسمع ويراقب تلك التحولات الهائلة التي أدت إلى حتمية الصراع بينهما هذا ما تشي به استطلاعات الرأي رغم الحرب والتهديدات الكبرى التي تنذر بحروب كبرى تهدد الدولة لكن انقسام المجتمع بين كتلتين بات التهديد الأكثر خطورة هكذا يرى معظم الإسرائيليين وهو تهديد حقيقي بات من الصعب علاجه مع استمرار الإنزياح الإسرائيلي بفعل الديمغرافيا . جاءت الحرب لتزيد هذا الإنكشاف فالنجاح كما يقولون يرتق ثغرات المجتمعات لأنها تثق بنفسها أكثر لكن الإخفاق يزيدها صحيح أن اسرائيل في هذه الحرب قد أبادت قطاع غزة وجعلته غير صالح للحياة لكنها لأشهر عجزت عن إعادة الاسرى ولأشهر لم تقدم للمواطن الإسرائيلي تحقق التعهد بإزالة حركة حماس التي قامت بعملية السابع من أكتوبر ما يعني عدم إزالة التهديد صحيح أن في الامر بعداً أمنياً أو سياسياً ولكنه تحول بفعل تشكل الكتلتين إلى سبب آخر يضاف إلى أسباب الإنقسام في الداخل الإسرائيلي لم تنصهر اليهودية في اسرائيل وبنظرة على النظام اسياسي ينكشف عوار الفكرة إذ ان كل حزب لا زال يمثل وجهة عرقية أو إثنية شاس تمثل متدينو الشرق السفاراديم ومثلها يهدوت هتوراة تمثل متدينو الغرب الإشكناز الذين ينظرون للشرقيين بازدراء وحزب العمل يمثل علمانيو الغرب وليبرمان يمثل الروس وهكذا حيث ظلت تلك الكتل تعيش الغيتو السياسي منغلقة على ذاتها وثقافتها وتلك واحدة من تمظهرات الإنقسام الذي يتخذ شكلا سياسياً لكنه في الحقيقة يعكس أزمة مجتمع لم ينسجم بعد تمكنت علمانية في عقوده الاولى من احتواء تلك التيارات ولكن حين تسيدت أرثوذوكسية متطرفة وجد المجتمع نفسه أمام أزمة كبرة وتلك تخيفه أكثر من أية تهديدات...!

الكذب، ذلك الخيط الناظم للفكر والخطاب الصهيوني

وسام رفيدي ـ كاتب سياسي من فلسطين

يتفق المتابعون لتأثيرات وتداعيات طوفان الأقصى أن أحد أهم تداعيات المعركة كانت افتضاح زيف وكذب الرواية الصهيونية لصالح مصداقية الرواية الفلسطينية، ما ترك تأثيره الواضح على التحول في الوعي السياسي لدى الشعوب.

وما كان لذلك التحول أن يتأتى لولا تضحيات شعبنا، وتأكد مصداقيّة روايته أمام حفنة من الأكاذيب التي روّجها الخطاب الصهيوني وانفضحت تباعاً، ولعل أهمّها تلك الصور الكاذبة والمفبركة بطريقة غبيّة للمقاتلين المقتحمين للمواقع العسكرية والمستعمرات في 7 أكتوبر، والتي سرعان ما انفضحت بتحقيقات من إعلامييهم والإعلام الأمريكي، قبل أن تدحضها أخلاقيات مقاتلي شعبنا. لا ننسى بطبيعة الحال ما للصورة المنتشرة عبر شبكات التواصل من تأثير هائل في فضح أكاذيبهم، وتقديم صورة شعبنا كضحية استعمار يقاتل من أجل حريته.

منذ 7 أكتوبر وحتى اليوم تعج ساحة الخطاب الصهيوني بالكذب بحيث غدا نافراً لدرجة أن الإعلام الصهيوني ذاته لم يعد يتحمله، لذلك انتشر وصف نتنياهو بالكذاب الكبير، (شكران هغدول) بالعبرية، وطالت السخرية هاغاري الناطق الرسمي باسم الجيش على حفلة أكاذيبه اليومية المسماة زوراً بالإحاطات الصحفيّة، بحيث أُعتبر الأكثر كذباً في تاريخ الناطقين الرسميين. هذا الواقع ليس بجديد على تاريخ الفكر والخطاب الصهيونيين، بل هو من صلب الفكر والخطاب تاريخياً.

الكذبة الكبرى للتأسيس

منذ شرع الصهاينة الأوائل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالتأطير الأيديولوجي للفكر الصهيوني، وتمهيداً لما سيغدو لاحقاً لحظة الإشهار في بازل 1897، وعبر كتاب «دولة اليهود» لهيرتزل، منذ تلك اللحظة، شرع منظّرو الصهاينة بعملية تلقيح بنيويّ بين الفكر القومي الرأسمالي، والنص التوراتي، لتأسيس ما اصطلح المؤرخ الصهيوني شلومو ساند على تسميته باختراع شعب واختراع أرض. واضح من المصطلحين اللذين نحتهما ساند أن (الاختراع) يجب أن يتضمن بالضرورة ثيمات ما تؤسس للاختراع وتصيغه نهائياً.

لقد قدّم النص التوراتي كل ما يلزم لتحقيق التلقيح البنيوي المشار إليه، ولجهة توفير الثيمات الرئيسة. من جهة فهو نص يعج بالأساطير الغارقة بالخرافات حد الدهشة، ومن جهة ثانية فهو نص يتمتع بدموية وهمجية لا مثيل لها في أية نصوص أسطورية أنتجتها الشعوب. وفي الحالتين، كان الكذب الخيط الناظم بين الخرافة والدم، فالإله العبري الذي أعطى شعبه، الذي اختاره، (أرض الميعاد)، دوناً عن أية مجموعات وشعوب أخرى، هو ذاته الذي يقتل كل مَنْ يتنفس في مصر لينقذ شعبه، فيصطبغ النيل بلون الدم من كثرة ما ذبح الإله على شرف شعبه المختار الراحل إلى أرض الميعاد.

تجبهك الخرافة والدم وخيطهما الناظم الكذب، في كل صفحة من صفحات النص التوراتي، ومع ذلك قدّمت الخرافة والدم، وما تزال، ما يلزم لاختراع الشعب والأرض، فالذين تصدّوا لصياغة الفكر الصهيوني، كانوا في الواقع نتاج فكر الرجل الأبيض

الاستعماري الذي ساد قبل القرن التاسع عشر، واستمر منذ ذلك الحين، وهو فكر صاغ هو الآخر سلسلة خرافاته المغمسة بالدم، وهي بالمناسبة ذاتها كما أشار الباحث المتمكن في هذا الحقل منير العكش، فالفكر ذاته يتضمن الثيمات ذاتها، فأرض الميعاد، وشعب الله المختار، كثيمتين مغمّستين بالدم والإبادة، هما السلاح الفكري للرجل الأبيض الأوروبي المتلفع بثقافة مسيحانية عنصرية، لاستعمار العالم وإبادة عشرات الملايين من شعوبه، وما الصهيونية إلا النتاج الطبيعي لذلك الفكر، حين تم إعادة تلقيحه بالنص التوراتي، ليكتمل كفكر للرجل الأبيض العنصري الإشكنازي اليهودي، وهذه المرة استمراراً للرجل الأبيض المسيحاني الأبيض.

وتتوالى الأكاذيب المؤسسة للفكر والخطاب. وإذا كان غارودي سماها الأساطير المؤسسة في كتابه الذي يحمل العنوان ذاته «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» فإن الكذب سمة لصيقة بتلك الأساطير. منذ شعب الله المختار، وأرض الميعاد، اخترع الصهيوني سلسلة أخرى من الأكاذيب: أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، علماً أن المقصود هنا ليس الوجود الطبيعي للسكان الفلسطينيين، فالصهاينة يعرفون، عبر الرحلات الاستكشافية التي قاموا بها منذ نهاية القرن التاسع عشر، أننا كنا (موجودين)، إنما المقصود (بلا شعب) الافتقار للوجود السياسي والحضاري، بكل مستتبعاته المؤسساتية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. ثم كذب بن غوريون كذبته/ أمنيته عندما أعلن أن الكبار سيموتون والصغار سينسون، لتتبعه غولدا مائير بإطلاق كذبتها الأكبر عندما تساءلت في صيحتها: أين هو الشعب الفلسطيني؟ أما أنهم (عمّروا الصحراء وحولوها لجنة) بفعل استيطانهم، فتلك كذبة دحضتها دراسات ووقائع وحقائق عديدة حول غنى الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ما قبل العام 1948، بحيث كانت مدن مثل حيفا يشار لها كإحدى أهم مدن المتوسط حينه. أما باقي الأكاذيب فهي مستقاة، أو لنقل هي من الرزمة ذاتها التي نحتها الرجل الأبيض: تعميم الرسالة الحضارية، تعمير الصحراء القاحلة، نقل الشعوب البدائية لحالة التمدن، تلقين الشعوب البدائية كيفية حكم نفسها، والعيش بطريقة حضارية، إلى آخره من رزمة الثيمات المشتركة للرجلين الأبيضين، الأوروبي والإشكنازي اليهودي.

طوفان الأقصى وخطاب الأكاذيب

عود على بدء: كشف طوفان الأقصى من جملة ما كشف تلك القدرة الهائلة على الكذب على طريقة السياسي الذي فلسف الكذب، نعني غوبلز النازي، الذي صاغ مقولته الشهيرة: اكذب حتى تصدق نفسك. وتبع سياسيو الغرب الإمبريالي كذب أداتهم في فلسطين بترديد تلك الأكاذيب. فاقتحام المواقع العسكرية والمستعمرات ليس فعل مقاومة وممارسة للحق الطبيعي لهذا الفعل، بل حدث يعادل المحرقة النازية، فيما جرى فبركة قصص هوليودية حول قتل وحرق الأطفال وتعليقهم على الحبال، والاغتصاب الجماعي للنساء، والرغبة الدموية لقتل اليهود كيهود. لم يطل عمر تلك الأكاذيب سوى حفنة أيام ليدرك الرأي العام حقيقة فبركتها، ولتنكشف فضيحة تلك الفبركة وبمشاركة وسائل إعلام أمريكية، وليأتي تحقيقا صحيفة هآرتس والشرطة الإسرائيليين لينفي تلك الأكاذيب، بل وليؤكد أن الجيش استخدم سياسة الهانيبال بقتل العشرات من المستعمرين مع آسريهم كي لا يقعوا في الأسر.

ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم تتوالى الأكاذيب في كل تصريح صحفي لنتنياهو أو لهاغاري، وأمام مشاهد الإبادة والتقتيل الهمجي للأطفال والنساء، وأمام صور المجازر التي طالت مئات الشهداء والجرحى على كامل جغرافية القطاع، فإن الكذبة الأكبر حول (الجيش الأكثر أخلاقية)، لم تعد تنطلي على أحد، كذبة يشاركهم فيها الذين يعتبرون أن كل هذا يتم وفق قاعدة (من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها)، فأورسولا رئيسة المفوضية الأوروبية كانت اعتبرت أن (إسرائيل حولت الصحراء القاحلة لجنة)، وهي ذات نغمة الرجل الأبيض الأوروبي الذي برر إبادته لعشرات الملايين واستعماره لقارات بأكملها، بالاستناد لثنائية الصحراء والجنة، فيما ذهب ممثل السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي بوريل حد اعتبار أوروبا (حديقة محاطة بالأدغال)، في تكرار عنصري مقيت لثنائية الغرب المتحضر وبدائية كل مَنْ هو خارج الغرب.

أما إخفاء خسائر العدو الصهيوني البشرية والمادية، وعلى مختلف مواقع الاشتباك، وخاصة في غزة وشمال فلسطين، فهو القاعدة الثابتة في الخطاب الصهيوني، الذي لا يملك إلا الكذب دون قول حقيقة الخسائر، ليفضحه إعلامه الصهيوني الذي يملك هامشاً معقولاً من حرية العمل الصحفي في العلاقة مع المؤسسات الرسمية، ما يسمح لنا بالوقوف على حقيقة ما يجري داخل مجتمع المستعمِرين.

مثلاً، كان نتنياهو يرسل أنصاره من الفاشيين العنصرين لحرق شاحنات المساعدات، وقطع الطريق عليها ونهبها بالحد الأدنى، ليخرج هو ويعلن حرصه على إدخال المساعدات!!! هو يعلن ليل نهار بأنه معني بصفقة تبادل لإعادة أسراهم لدى المقاومة، فيما كل السياسيين والإعلاميين وحركة الشارع لأهالي الأسرى والمحللين يقولون عكس ما يقول. أما جعجعاته حول تحقيق أهداف الحرب والنصر المطلق فهي كذبة الأكاذيب في الخطاب الصهيوني: لم يقضِ على المقاومة، لم يحرر أسراه، لم ينهِ حكم حماس المدني، ومع ذلك، ولأنه يكذب مثلما يتنفس شأن كل الصهاينة، فهو يكرر جعجعاته عن تحقيق أهداف الحرب أو النصر المطلق.

يقال حبل الكذب قصير. هذا المثل/ القاعدة يصدق تماماً على الصهاينة في فكرهم وخطابهم، مثلما يصدق أيضاً على فكر وخطاب الإمبرياليين على العموم. يوماً ما قال بريجنيف، الزعيم السوفييتي المعروف في عنوان مقالة نشرته البرافدا إن (الإمبريالية تكذب بلا حياء). وما زالت، ومعها ربيبتها الإمبريالية الصغرى على حد وصف الرفيق د. حبش.

في العمق

خطة (مارشال ـ نتنياهو) ...

ومن هي أول الدول العربية التي تخطط إسرائيل لاحتلالها؟!!

الهدف ـ خاص

على أعتاب الذكرى الأولى لطوفان الأقصى وحرب الإبادة البشرية على قطاع غزة يتبدى أن المخطط الصهيوأميركي لا يستهدف القطاع والحملة على الضفة فحسب بل ثمة أجندة يجري العمل على تحقيقها تدريجيا «قضماً وضماً» لخارطة المنطقة، وهنا نتساءل ما سر إفشال نتنياهو لكل المبادرات التي طرحت وتمسكه بتحقيق أهداف الحرب التي وضعتها حكومته عشية السابع من أكتوبر الماضي رغم كل الضغوطات العالمية وحتى الداخلية، الأمر الذي يؤكد أن وراء الأكمة ما وراءها خاصة بعد تسريبات تم رصدها مؤخرا ومنها اعتراف نتنياهو في تسجيل مسرب مع ألون ماسك انه بعد هزيمة حماس في غزة سوف يطبق خطة مارشال على كل العرب على غرار خطة الحلفاء بعد هزيمة اليابان وألمانيا وتقضي بتغيير الهوية والدين والقيم والأهداف كما فعل مع 3 دول عربية حتى الآن، وفي ذات السياق حذّر السفير الأميركي السابق في السعودية شاس فريمان ، علانية من المطامع التوسعية لـ إسرائيل في المنقطة العربية. وقال: «إن الأيديولوجية الدينية للمتشددين من اليهود توجب على إسرائيل التوسع خارج فلسطين لتهيمن على دول أخرى بالشرق الأوسط، وبالنسبة للصهاينة الدينيين، فهذه الأرض وعد الله بها اليهود»، وفي تصريحاته لقناة «الجزيرة» أضاف فريمان «أن إسرائيل تسعى للسيطرة التدريجية على مساحة أكبر من الشرق الأوسط، وبأن إسرائيل لديها هدف ليس فقط تفريغ فلسطين من الفلسطينيين، ولكن أيضا الهيمنة على منطقتها»، ولفت إلى أن «هناك شارة عسكرية يرتديها بعض الأشخاص في قوات الدفاع الإسرائيلية تظهر إسرائيل الكبرى التي تشمل أجزاء من مصر وشمال السعودية وكل الأردن وسوريا ولبنان وحتى الفرات في العراق، أي أجزاء من العراق».

هذا المخطط الخطير ليس وليد اللحظة فقد كان مبدأ التوسع مطروحا منذ النكبة ومن المعروف أن إعلان ما يسمى (استقلال دولة إسرائيل) لا يشير إلى أية حدود، وأوضح بن غوريون ذلك في رسالته إلى الجنرال (ديغول) بتاريخ 2024/12/6، ثم بعد سنتين لا حقتين في رسالة أخرى إلى صحيفة «لوموند»: ستثبت حدود إسرائيل من خلال جيشها، ووفقا لما صرح به قبل عقود الجنرال دايان : « شعب إسرائيل هو من سيعين حدود دولته».

يبقى التساؤل يبحث عن إجابة.. ماذا تملك الدول العربية لصده؟ وهل غزة والضفة هما بوابة العبور لحلم الصهيونية الدينية؟ وماذا عن دول الجوار؟

رغم حجم الخطر الذي يداهم المنطقة إلا أن تصريحات قادة العدو هي بمثابة اعتراف منهم أن المقاومة الفلسطينية هي خط الدفاع الأول عن شرف الأمة.

حوار الهدف الثقافي

مع الأديبة الروائية رجاء بكريّة الجليل ـ حيفا

أجرى الحوار: محمد حسين ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

روائية وقاصّة وناقدة في التعدديّة المجاليّة، (مسرح وسينما) وفنانة تشكيلية فلسطينية، سيطر على أغلب إصداراتها همّان، المرأة بكلّ أبعادها والوطن بكل أبعاده،

من مواليد قرية عرابة البطوف إحدى قرى الجليل الغربيّ العام 1972، وهي تعيش في حيفا منذ العام 1996،

حاصلة على بكالوريوس في الفنون التشكيلية والأدب العربي من جامعة حيفا وعلى الماجستير في اللغة العربية، تخصّص نقد مسرحي/ المونودراما تحديداً، وقد نالت العديد من الجوائز الأدبية والثقافية، وشاركت في العديد من المعارض الفنية المحليّة والعالمية، في القدس وحيفا وفرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا وبلجيكا وإسبانيا والسويد يضاف لها مؤتمرات ومهرجانات دوليّة، أهمّها، مهرجان القصّة الشّرق أوسطيّة، مارسيليا- فرنسا،1997 مهرجان جولوي- دبلن، 2010. (فلسطينيّات)، ميلانو- إيطاليا، 2012. (صورة الآخر في السّينما الفلسطينيّة) نابولي- إيطاليا، 2008. أمسية (مركز لامارتان للثّقافة والفنون- باريس)، 2017 (مؤتمر سكولارواید)،2021 أنقرة- تركيّا. (ملتقى المدن العربيّة) عمّان 2024.

صدر لها :

- مزامير لأيلول، (مجموعة نثرية) النّاصرة 1991.
- عواء ذاكرة، (رواية) النّاصرة 1995.
- الصّندوقة (مجموعة قصصيّة) المؤسّسة العربيّة، بيروت 2002.
- امرأة الرّسالة، (رواية)، دار الآداب، بيروت 2007.
- امرأة الرّسالة، (الطّبعة الثانية)، دار الجندي ، فلسطين 2014.
- امرأة الرّسالة، رواية (مترجمة للكرديّة) وزارة الثّقافة- السّليمانيّة أربيل، 2010.
- الباهرة، مجموعة قصصيّة (مترجمة للكرديّة)، مؤسّسة نما، أربيل، 2009.
- الباهرة، مجموعة قصصيّة، دار الجندي- القدس، 2015.
- عَيْن خَفشة، رواية، الأهليّة – عمّان، يناير، 2017, (رواية النّكبة 1948).
- نمِرُ الثّلوج، (رواية للفتيان). عمّان، يناير 2021.

جوائـز

- جائزة القصة القصيرة النسائية لنساء حوض المتوسط لعام 1997، عن قصّة «الصندوقة»، مارسيليا، فرنسا.
- جائزة فنان مبدع، قسم الفن التشكيلي لسنة 1996 و1997 /
- جائزة فنان مبدع بين السّنوات 2001 / -2002 2003 / 2002
- جائزة الإبداع الأدبي 2006 عن روايتها «امرأة الرّسالة»، وزارة الثّقافة- القسم العربي.
- جائزة الإبداع الأدبي 2009، عن ترجمة روايتها «امرأة الرّسالة» للكرديّة، وزارة الثّقافة، أربيل.
- جائزة الإبداع الأدبي 2018، عن مجمل إنتاجها الأدبي، وزارة الثّقافة-القسم العربي.
- درع مؤسّسة نما الكرديّة لشخصيّة العام الأدبيّة في التّرجمة، 2009.

الهدف يسرنا أن نستضيف الكاتبة الفلسطينية رجاء بكرية على صفحات الهدف لنتعرف أكثر إلى مشوارها الأدبي.

■ لنتحدث عن بداياتك كيف دخلت إلى عالم الكتابة؟

لم أدخل، بل انجرفتُ إلى عالم كنت أكتشف سِحره للمرّة الأولى في جيل العاشرة حين أمسكتُ قلم الرّصاص أوّل مرّة بشغف وبدأتُ أملأ الورق الأبيض كلاماً. أقرض شعراً عاموديّاً، شعر وطنيّ بالدّرجة الأولى. كنتُ مشروع شاعرة سريّة بامتياز، أكتب وأخبّئ قصائدي في درج مكتبتي حتّى اكتشفتني أمّي فأخذتُ موقفاً من الشّعر. بقيتُ أكتب بسريّة حتّى جيل الخامسة عشرة حيث بدأت أنشر في (الاتّحاد) الحيفاويّة و(الغد) بعد أن سرّبت صديقة لي قصائدي لمكتب الاتّحاد. قصائدي المتمرّدة الأولى نُشرت تحت اسم مستعار لكن حين طلبوا الكشف عن هويّتي قرّرتُ أن أعلن قصائدي معنونة باسمي ومع إعلانها بدأ اسمي ينتشر ومعهُ أشارك في المناسبات الطلّابيّة المدرسيّة. ذاكرة طريّة جدّاً أوقفتُ سيرَ قوافيها المتدفّقةِ كنهر جارف حتّى فهمتُ أنّ السّطرَ الشّعريّ بأنواعهِ لا يناسبني فصادقتُ القصّة القصيرة الّتي أدهشت كلّ ما قرأها. دخلتُ الأدب من باب القصة القصيرة الواسعة ونشرتُ مجموعتي (الصّندوقة) و(الباهرة) لكن سرعان ما اكتشفتُ أنّ نفَسي التّعبيريّ أطول ممّا تخيّلت فكتبت رواية (عُواء ذاكرة) خلال شهرين وأنا في السّنة الجامعيّة الثّانية، كانت تفاصيلها مثل عاصفة شتائيّة طويلة لا تنتهي، تُمطرُ بشدّة وتجرف معها كلّ شيء. كتبتُ يومها كأنّي لم أكتب أبداً كتابة متواصلة حتّى قرّرتْ عواصفُها أن تهدأ. ظلّت مثار صمت حتّى كتب عنها ناقد غزّي، أستاذ في الأزهر، من الدّرجة النّادرة في فهم النّص الأدبي، د. محمّد البوجي فأثار عاصفة ردود لم تنتهِ أيضاً. هكذا دخلتُ من باب الصّمت، لم يكن خلفي أحد يدعم أو يوصي بإجازة كتابتي خلاف جودة المضمون، والاحتفاء بما كتبتُ كان نوعيّاً جدّاً حينذاك مثيراً لنوافير جمال لا تنتهي. لقد مررتُ بامتحانات ذائقة صعبة وحولي عدّة أسماء رجوليّة تحدّد شروطاً للنّشر لذلك كانت السّباحة في البحار تستدعي تأشيرات دخول من النّوع الرّفيع وتخضع لمراقبة صارمة أكثر ممّا يتخيّل جيل اليوم الّذي يشتهر بسطرين داجنين. تلك الشّريحة تابعت وسَرعانَ ما تحمّستْ لكلماتي وبدأتْ تدعمُ مسيرتي.

■ لمن تكتب رجاء بكرية؟ وكيف تكتب؟ قرأت أن إحدى رواياتك قد استغرقت ستة عشر عاماً.

ليس سرّاً أنّنا نكتب لأنفسنا أوّلاً وأنّ الكتابة التّعبيريّة هي مسلك علاجي بالدّرجة الأولى يستعين به الكاتب كي يتخلّص من ازدواجيّة عالمهِ. لقد استطاعت تداخلات الحياة أن تؤلم أرواحنا لحدّ لا يمكن تصوّره ولا اعتياده، الذّكاء يكمن في اللّحظة الّتي تصير فيها الكتابة لغة فوق بشريّة نسعى للتّماهي مع سحرها كي نصير أجمل لأنّها تحتاج قناة آمنة تتواصل معها. ادّعائي أنّنا لا نستغل احتياطي السّحر الّذي فينا في علاقاتنا لذلك نلجأ إلى الكتابة لتنقذنا من أنفسنا، من عجزنا عن إعلان اختلافنا السّافر وقدرتنا على استخراج الذّهب الأسود الخام من الحياة الّتي تعيش فينا بمعزل عنّا، فالأدب هو من يجسر الهوّة الّتي بين عالمين أحدهما واقع والآخر مُتخيّل.

لا تصدّق من يخبرك أنّهُ يكتب للنّاس. حين يَشفى من ذاتهِ ويبرأ الموضعُ الأشدّ عطباً فيهِ يصبحُ نقيّاً وحلالاً زُلالاً لقُرائهِ وللنّاس عُموماً، وفقط حينها. الكتابة تعلّمنا النّضال بأبهى معانيهِ بفعلِ التّجريب المستمر، ولذلك قد يستغرق عمل أدبيّ كما حدث معي في «عَين خَفشَة» ستّة عشر عاما بالكمال والتّمام، وأعتقدُ جازمة أنّها قليلة بحقّ نكبة كنكبتنا. كانت المرّة الأولى الّتي يكتب فيها روائيّ من الدّاخل حكاية نكبتهِ. بعدي جرّبوا تقليد الفكرة لكنّها كانت شيئاً آخر لا يشبهُ تلك الحادثة التّاريخيّة المُفجِعة. فالعَين تحكي عن نكبة الـ 48 الّتي نعيشها جيلاً فجيلاً، عاماً فعاماً، يوماً بيوم، ساعة بساعة. النّكبة ليست نُكتة، ولا فِكرة عابرة ترميها وتمضي، ولا فكرة تتجاوز أحلامنا الصّيفيّة بيسر وتذهب في حال سبيلها، بل حياة بملء ما فيها ولها من خِفّة وثِقل وصراعات قاتلة؟ تأكلنا على مهل ولا نشتكي. لم تعد الشّكوى قابلة للتّصريفِ الفِعليّ ولا الاسميّ وسط التحوّلات الإقليميّة الحاصلة.

■ أنت فنانة تشكيلية وروائية وقاصة ألا تعتقدين أن انشغالاتك بمختلف صنوف الأدب قد يطمس إبداعك في مجال معين؟

في بداياتي، كان الجمع بين هذه الفنون المتصارعة على أُلفتها مرناً سلساً وبهياً معبّأ حماساً ورغبة ومتعة أيضاً. الالتزامات أقلّ، والمدى أشدّ اخضراراً. أكتب وأرسم وأنا أغنّي، أطرح مقالة نقديّة إلى جانب قصّة ولوحة جديدة وأشارك في معارض نوعيّة. تخصّصت في التّصوير الفوتوغرافي إلى جانب الكاريكاتور والرّسم بالأكريلك. كنت أقضي ما يعادل ست ساعات مرّتين أسبوعيّاً في مختبر تفتيح الصوّر وأخرج في العتمة بنشوة عارمة ورغبة في احتضان العالم كأنّي أقوى امرأة ولدتها ريح، لكنّ واقع الحياة يقنصُنا مثل العصافير ويعلّقنا بملاقط الخيارات الصّعبة. اكتشفتُ أنّ الرّواية أهمّ من القصّة لِنَفَسي الرّوائيّ في تخصّصاتي القادمة وأنّ المقالة النّقديّة تحتاج أن تصير دراسة تمكّنني من التقدّم الأكاديميّ. هذا المجهود جعلني أبتعدُ مُرغمة عن الرّسم وسط ظهور موجة من الكليّات الّتي تُخرّجُ فنّانين بلا ضوابط. كنتُ أقارن بين دراستي الأكاديميّة ومجهودي البالغ أمام العبث الّذي يجري في هذه الكلّيات وأُذهَل. لا يدرسون عُشر ما نكتسبهُ في الجامعة، فلماذا توضع لوحاتي في مقارنة مع صُدف أعمال لم تخضع للمراقبة والنّقد المهني العالي؟ لم أشعر أنّ التقنيّات المُكتسبة في الكليّات الّتي أعنيها مُمأسسة على قوانين ومسارات تطويريّة فكريّة فكيف أعيش هذه الصّراعات؟ كنتُ بحاجة للتّركيز وليس للتّبعثر ولذلك انفصلتُ عن الفنّ بهدوء وأحلتهُ لميزة

أدبيّة في رواياتي وقصصي، وتفرّغتُ لدراستي. ابتلعني الفنّ تماماً، لم يكن لديّ من الوقت ما يكفي للاجتماعيّات والنّاس إلّا فيما ندر، كنت ألتقي بقرّائي عبر ما أنشرهُ وأوقّعهُ من إصدار وحوارات. وفي لحظة ما شعرتُ أنّ المكان لا يسعني ولهذا السّبب رتّبتُ مع أحد أصدقائي الرّائعين في باريس توقيع «العَين» كانت تجربة ساحرة. نحن في داخل بُقعة غير مرحّب بهم في العالم العربي وقليلاً ما نشارك في توقيعات عربيّة مُهمّة. كتبتُ «امرأة الرّسالة» كرسالة احتجاج حارقة على الإغلاق السّافر علينا وكان أناس المخيّمات في لبنان وسورية أوّل من قرأها، أمّا «العَين» فذهبتُ إلى تأصيلها كسرديّة روائيّة جديدة كي يتعرّف العالم إلى هويّتنا باتّساع أو ضيق أماكنها. الخروج من نفق المساءلة يلحّ الآن أكثر من أيّ وقت مضى، وعلينا أن نصبح حجر زاوية في المعارض العربيّة، والمؤتمرات الرّوائيّة. يهمّني أن تحمل مشاريعي الرّوائيّة همّاً فكريّاً وسياسيّاً وتوقّع ببهجةِ اللّحظات أو تعاستها، لا أريد رواية عاديّة كالرّوايات الّتي اقتطعوا فيها أفكاراً من رسائل «غسّان صقر» السّجين السّياسي إلى عشيقتهِ الواردة في «امرأة الرّسالة» كي يبنوا منها فكرة مجد قديم لرواية جديدة، هكذا تُقزّم الأعمال الرّوائيّة حين نسرق أفكار الغَير، وننشئ سرديّة منخفضة في سقف حُلُمِها وحِلمِها وفنّيتها. كنتُ سبّاقة في اختراع أشكال جديدة للرّواية إيماناً منّي بضرورة نفض الحالة الثّقافيّة في السّرديّة العربيّة أوّلاً والعالم. ولذلك أسعى لفكرة غير متداولة، ومضة لم تضئ في قلب غيرَ قلبي تثوِّر مشاريعي القادِمة وتوقّع باسمي وهويّتي وهمّي الإنساني.

■ في مجموعتك القصصية باهرة والتي حصلت إحدى قصصها (الصُّندوقة) على جائزة مارسيليا-فرنسا تحدّثتِ فيها عن الاضطهاد المركب الذي تعاني منه المرأة الاحتلال من جهة والرجل من جهة أخرى، برأيك ما هي السبل الكفيلة لتتخلص المرأة من الاضطهاد الذكوري؟

قصّة الصّندوقة هي الّتي أخذت دور البطولة في مجموعة (الصّندوقة) وفي تمثيل الاضطهاد الحاصل للمرأة الفلسطينيّة ولكلّ امرأة في العالم على كافّة الأصعدة. لا يوجد هنا ما يمكن أن يشفع للنّوعيّة المركّبة من العلاقات ولا لاستعاضة الذّكورة عنها بالسّيطرة عبر الاضطهاد السّياسي الّذي نتعرّض له كشعب. المقاومة هي الشّكل الأرحب لشكل الدّفاع الميسور لدى المرأة كي تكون, لهذه الدّرجة تختلط الدّوائر حتّى إنّنا لا نميّز تماماً بين صغيرة وكبيرة لأنّ مفهوم الاضطهاد شمولي، وإرهاصاته أبعد ممّا نتوقّع. سئلت هذا السّؤال في كلّ مكان من العالم، لكنّ الدّائرة الضيّقة الّتي تحتلّها المرأة في منظومة الاضطهاد والإغلاق لا تترك منفذاً لأوكسجين. ولذلك أعتبر مقاومة قصور الرّجل وثقل الهزيمة الّتي يعيشها داخل مجتمع يضيّق أساساً على اتّساعهِ وحريّاتهِ على مستويين نفسي وجسدي يجعلهُ يتوحّش أحياناً في الأقرب لهُ وهي المرأة. كمتابعة لتصادمات الأفراد في مجتمع كهذا خرجتُ بمانشيت الضدّ بوجهِ كلّ رجل يحاول أن يستغلّ وهن المرأة كي يصعد. من المفروض أنّ الرّجل هو الحلقة الأقوى مهما تكاثرت دوائر الخِناق ومُطالباً أن يتّسع روحيّا أوّلاً كي يستوعب ازدواجيّة التّداخلات ووضعيّة المرأة أيضاً. كلّ مقاومة في العالم تنشأ بسبب حالة اختناق شخصيّة بالدّرجة الأولى وحين تتّسع لتحوف المجتمع كاملاً سيكون لها مرجعيّات نفسيّة غالباً الظّرف السّياسي في رأس تداخلاتها.

■ في روايتك عين خفشة تحدثت عن حكاية النكبة، ما هي الإضافة التي أضافتها رجاء بكرية في هذه الرواية، خاصة أن العديد من الكتاب الفلسطينيين والعرب تناولوا حكاية النكبة في أعمالهم الأدبية المختلفة؟

«عَين خَفشة» بدأت كمشروع شاحنةٍ مُحمّلة غضباً، مسافاتها كلّ الوطن، وتفاصيل احتراقها عسير الهضم على الذّاكرة، والخارطة كانت تتكسّر كلّما علّمتُها بالفحم حتّى راقت وأخذت مساراً فنيّاً فاجأني بمجرّد أن تسلّل صوت جدّتي الى العمل. اضطررتُ لعدّة مرّات أن أعيد كتابتها، ما يزيد عن ستّ مرّات، حتّى أنّني أنجزت روايتي «امرأة الرّسالة» خلال أربع سنوات وأنا أكتبها. وأعجب كيف يمكن لروائي إنجاز روايتين خلال ثلاث سنوات! الرّواية مشروع حلُم يصدمُ الواقع كلّما تفتّح ولذلك تتأخّر ولادتهُ أو تتقدّم وفق شروطِ المزاجيّة والشّغف اللّذين يحكمانهُ. وفق معلوماتي أنّ قلّة كتبت رواية النّكبة وإلياس خوري الأشهر بينها الّذي اعتمد على تقنيّة أسلوبيّة تخصّ غونتر غراس كاتب رواية «الطّبل والصّفيح» لكنّ الإضافة الّتي لروايتي أنّني من أحفاد النّكبة الّتي ضربت حياة جدّي وأبي، وأنّي كبرتُ على تنويحات جدّتي الّتي لم تترك يوماً واحداً يمرّ هادئ البال بلا بُكاء على من شُرّدّ من عائلتها ومات. قوّة روحي ونصّي معاً يكمنان في المعلومة العميقة والحسّ اليقظ الّذي رصد كلّ شاردة وواردة، لكنّ المهم أنّ العَين ليست توثيقيّة بقدر اشتغالها على مبنى فنّي شخصي أراد أن يقدّمَ خطّة أخرى ومذاقاً آخر مُهيّلاً للرّواية.

كُثُر استفسروا عن عدم تقديم رواية «عَين خَفشة» للبوكر. كثر كتبوا أبحاثاً مُحكّمة عنها، حتّى بلغة غير عربيّة وعلى يد باحثين إسرائيليّين، ويهود في جامعة تل أبيب. والحقيقة رغم اتّفاقي مع النّاشر على تقديمها غير مرّة لمنافسة روائيّة غير أنّهُ أخلّ بالاتّفاق، وكلّ اتّفاق جرى بيننا لترشيحها لجوائز عربيّة. كان لديّ رغبة قويّة بأن يسمع العالم بحكايتنا من مصادرها الأولى ورغم أنّي وقّعتها في باريس وأجريت عديد اللّقاءات حولها غير أنّ دخولها أيّ سبق روائي كان سيضمن لها انتشاراً أكاديميّاً وجماهيريّاً أشدّ اتّساعاً. لم أشأ أن تكون أيّ رواية عشق أكتبها بديلة لرواية وجودنا كشعب في فلسطين التّاريخيّة. هذه الحياة الصّعبة المُركّبة بكامل حيثيّاتها مرآة أخرى مختلفة للتّصالح مع التّاريخ بغبنهِ وقلّة حيلتهِ ولقبول روايتنا بأبهى ما تكون عليهِ الحكاية. لا توجد لدى أيّ روائي جدّة

كجدّتي تنظر إلى السّماء فينكشف الغيم عن نسر ذهبيّ يلمع بين دكنةِ الحياة نافورة عشق.

■ في روايتك "عواء ذاكرة" هنالك من يقول إنّك استخدمت اللُّغةَ الشعرية والرمزية فيها ولم تستخدمي السرد الذي يعتبر أساس العمل الروائي، لذلك عدها بعض النقاد أنها لا تنتمي إلى عالم الرواية ماذا تقولين في ذلك؟

عواء ذاكرة كانت روايتي الأولى خرجت سنة 1995 إلى نور الأدب، وهي اجتهاد جديد في السّرديّة الرّوائيّة لن يكتب مثلها أحد، ولو نقلَ كلماتها واحدة واحدة. من حيثُ المبدأ، حين أفرغتُ بلّورها لم أفكّر بأحد غيري ولم أنتظر ناقدا يفكّك رموزها. أعتقد أنّي غامرتُ في مساحة مفخّخة بحيثيّات غير تقليديّة وكانت أسلوبي في مقاومة الحياة وعملائها، انتصار حقيقيّ على الواقع وربّما هذا تحديداً ما أخاف حتّى النقّاد منها. طبعاً السّرديّة الّتي فتنت القارئ كانت واضحة وسلسة وهي غير ما فهمهُ النقّاد. تحدث هناك لغة جريئة مُغامِرة لم يعتدها السّرد باعتقادي، هنا مرّنت لغتي الشّعريّة ضمن فكرة سرد مُختلف، والوحيد الّذي اطّلع على النّص وهنّأني عليه كان الرّاحل سميح القاسم. هذه الرّواية تأخذ القارئ لما يريد أن يفهمهُ في فنّ السّرد الرّوائي، هذا سرّها وكانت تحتاج لمن يغامر بالفهم والاستسلام وهذا فنّ لا يتقنهُ كُثُر. أعتقد أنّنا نفتقد الرّغبة في محاورة النّص. نريدهُ سهلاً وبلا عقبات ودون حاجة للتّفاعل مع فواصلهِ وهذا أسوأ ما يحدث للقارئ. نُشِرَت فصول كاملة من «عواء ذاكرة» في مجلّات عربيّة تعتمد أكثر من لغة في فرنسا وإيطاليا. لقد شاءت الصّدف أن ألتقي بباحث غزّي بالغ الدّقة منفتح على محاورة النّص كان سبباً في خروج بحث نوعيّ حولها، قدّمهُ سنة 1999 لأحد المؤتمرات العربيّة الرّائدة في عمّان. هكذا انتشرت الرّواية ودُرّست في أزهر غزّة وامتُحِن طلّاب فيها. طلبوا الكثير من نسخها في غزّة ولم أتمكّن من تزويدهم بالكثير، لكنّي أعرف أنّ هذه المدينة فهمت العُواء أكثر من أيّ مكان في العالم تناولها النقّد. كتّاب آخرون تحدّثوا عن غرابتها لأنّهم ربّما يقرؤون للمرّة الأولى. عليك أن تكون قارئاً قبل أن تكتب لتفهم، هكذا أفهم الأدب.

■ ما رأيك بالأدب الحداثي الذي يحرر العمل الأدبي من كل القيود الفنيّة، بعد أن بتنا نشاهد أعمالاً أدبية لا تنتمي إلى تصنيف أدبي معين بل تجمع مختلف صنوف الأدب في قالب واحد؟

الأدب بالأساس هو مشروع مفتوح على الإمتاع الفكري- حِسّي معاً، ولذلك فإنّ مساعي الاختلاف والمغامرة فيهِ مُجازة ومشروعة خصوصاً في المشروع الرّوائي. من نافل القول إنّ الحداثة منحت بُعداً حُلُمياً فاتناً للمخيّلة. أنا ضمن الّذين غادروا الشّعر دون أسف لضيق العبارة. فضّلت أن أنقل التّجديد في المفردة الشّعريّة لمشروعي الرّوائي على رغبة أكيدة في منح متّسع لحالة كونيّة معجونة بكلّ شيء، وخارج السّياق الّذي درجت عليهِ الرّواية حتّى لحظة دخولي مساكبَ اخضرارهِ الوارِفة. المشروع الرّوائي يحمل همّاً واضحاً لكنّ تقنيّات التّصريح بهِ مُلزَمة أن تتغيّر، ومطالبة أن تكون شيئاً آخر غير ما نعرفهُ. هو من يُحرّض الجمال على اكتسابِ مفاهيم جديدة ولذلك نعثر في القُبحِ دائماً بعض جمال منسيّ قد يكون أدباً. والتّصنيفات هنا غير مقبولة بعينيّ فكلّ سرديّة روائيّة تمثّل ذاتها وحين تتشابه لن تملك إضافة تستحقّ الاحتفاء بعينيّ.

■ هل استطاعت رجاء بكرية من خلال كتاباتها تجاوز القيود النفسية والاجتماعية والدينية عند حديثها عن المرأة؟

المرأة كائن غير عادي، متداخل العوالم ولذلك ظلّت موضع بحث واستغراق في الأدب عموماً. حين تكتب المرأة عن المرأة ستكون أشدّ عمقاً وإدهاشاً لأنّ تركيبتها النّفسيّة أقرب لأدوات المعالجة الفنيّة في عالم المرأة الأخرى الّتي تنافسها كينونة أنوثتها. هذا لا يعني أنّ كتابة الرّجل عن المرأة غير محتفى بها لكنّها حتماً تأخذ بعداً آخر. منذ صغري وأنا أحاول تحليل ما تفكّر بهِ النّساء. كان مشروع فنجان القهوة الصّباحيّ في القرية يُدهشني لحدّ بعيد، أحاول أن أفهم مخلوقاتهِ بطريقتي، لكنّ عدد الأسماء والقضايا الّتي كان يستوعبها هذا الفنجان كانت تبعثرني لأنّي لا أفهم مرجعيّات اللّواتي يُذكَرنَ فيها وحينَ أسأل تتجاهل أمّي والجارات أسئلتي، ويبدو أنّها لم تكن محور مشاغلهنّ الفكريّة. كنتُ أبحث عن دوري في حلقات النّساء وأكتشف أنّها على متَعِها واستثنائيّتها لا يمكن أن تناسبني ولذلك خطّطتُ منذ جيل صغيرة أن أغادر تلك التجمّعات الّتي تصطدم فيها المتناقضات فالبكاء والضحّك صديقان، واللّوعة والنّفور كذلك، والخيانات لها تسميات أخرى أعذب من مرارة الواقع، لقد اكتسبت مذاقاً غريباً يخصّ عالماً لا أوافق عليه. هواجسي المحتدمة منتصف التّسعينيّات دفعتني للكتابة بطريقة لا تشبهُ فِكر النّساء ولا عوالمهنّ. غادرت القرية وأنا مزدحمة بمشروع حريّتي الذّاتيّة أردتُ أن أصلَ إلى ذاتي بكلّ ثمن لم يكن الطّريق سلساً لكنّ إصراري على عبورهِ كان ضروريّاً. وأعتقد أنّي عبرتُ ما يكفي من صدامات ومشاحنات ومصالحات كي أتحقّق بنسبة تكفي للحضور. كنتُ أبعد من القوّة بقليل وأقرب إلى المهنيّة والتّحليل. وما كتبتهُ عن النّساء ضمن قصص مجموعتي «الصّندوقة» و«البّاهرة» أثار النّقد على نحو غير مسبوق. كنتُ أوّل من يفِجُّ غمرَ هذه (المشحرة) الّتي يستوي فيها الحطب على مهل ويصير فحماً لكلّ شيء. بعد ذلك أصبحت نصوصي تحاور العالم بتداخلاتهِ. الفكرة أن تتجاوز الجسر الأوّل بإشكاليّات عبوره بعدهُ ستصبح الجسور القادمة أيسر حظّاً وأنت تعُدّ درجاتها وتبتسم.

■ أنت فلسطينية تحملين الجنسية الإسرائيلية كيف تقدم رجاء هويتها عندما تزور بلدان مختلفة؟

ضمن هويّتي الأدبيّة هويّة بمرجعيّات

الجذور الّتي تعتمدها الصّحافة الإسرائيليّة والباحثون في الجامعات الإسرائيليّة والأجنبيّة كفلسطينيّة تحمل الجواز الإسرائيلي منذ النّكبة. شأني في ذلك شأن رعيل طويل من فلسطينيّي الدّاخل. تذكّر أنّنا فلسطينيّو الدّاخل وليس عرب الدّاخل إلّا في حالة الجمع المُلزِم. لقد ظلّ ميثاق حسن الجوار كلمة السرّ بيننا وبين المجتمع الإسرائيلي واليهودي على حدّ سواء داخل قرانا ومدننا العربيّة مزدوجة الهويّة. هذا التّعريف يذهب معنا لكلّ مكان في العالم ويعرفنا العالم كمواطنين من الدّرجة الثّالثة يمثّلنا نوّاب في الكنيست غير أنّ هويّتي كروائيّة مُترجمة للعبريّة وتُدَرَّس في جامعاتها يفوق في حضورهِ كلّ محاولة لتشويهِ أثرنا على المنظومة الفكريّة العامّة للأدب في كلّ مكان. نحن من يوازن معادلة النّكبة والهزيمة معاً في الـ 48 والـ 67, ولولا إسهامنا في تعزيز حقّ البقاء عبر الرّواية والكتابة الصحفيّة والأدبيّة لما بقي غيرنا على قيد الأمل كعلامة ودلالة.

هناك حرب إبادة جماعية بحق الشعب الفلسطيني في غزة، كيف يمكن للأدب أن يوثق هذه الجرائم بلغته الخاصة؟ وهل يمكن أن نطلق على هذا الأدب أدب إبادة؟

وظيفة الأدب خارج إطار التّوثيق الّذي نعرفهُ. الأدب يحاول أن يرسم مشهداً حسيّاً بالغ الخصوصيّة في تجربة الوجع الّتي يمرّ بها، أن يضع كلوز محدّد على مشهد إنساني كي يصل إلى قلوب قُرّائهِ ومشاعرهم. لم يحدث أن كانت الأرقام أو الأمكنة الفارغة سبباً في تخليد فكرة، حدث، كارثة أو ذاكرة. والنكبات بالعادة لا تمنح تسميات فنيّة لإنسانيّتها، لأنّها أصلاً لا ترى ما يُسأل عنهُ ومشغولة بالتقاطِ أنفاسِها. صادفتُ بعض الأعمال السّريعة الّتي تسجّل ذهولها أمام قوافل الموت الحارقة. صعب أن نتضامن مع كلّ نصّ يسمّي نفسه «غزّة» مثلاً لحظة يُكوَّمُ الموتُ كصورة قاتلة للرّوح، وهكذا لا يُكتَب أدب. المشكلة فيما يصدر الآن عن هذه الحرب أنّها لغة مشاعر بحتة، تسجّل المشاهد وحسب وهي إضافة مؤقّتة تأخذها المرجعيّة الثّقافيّة في غير أبعادها الحقيقيّة، هي ليست فنّاً آخر ولكنّها فكرة لحظيّة بعينيّ. وعموماً أشعر أنّ الكلمة هذه الأيّام عاجزة جدّا وتستغلّ إنسانيّتنا كبشر، ليس المطلوب الآن أن تكتب أو توثّق بل أن تُواكبَ مناخاتِ روحك في عجزها وقلّة حيلتها. الأدب مهزوم جدّاً هذه الأيّام أمام كوارث الرّوح وسُخطِ القلب على خَرَسِنا الكامل. خرس بالمعنى الشّمولي للكلمة لأنّ الحدث أجلّ وأبعد.

■ يقال إن قتامة المشهد في الشارع العربي وعدم تحركه لما يجري في غزة مرده إلى استقالة المثقف العربي من مهمته. ماذا تعلقين على ذلك؟

المثقّف لا يصنع الثّورات ولم يكن سبباً في أيّ وقت بتحريك الشّارع في زمن الأزمات والانتكاسات، بل القطاع الشّعبي الّذي يعيش المأساة. اعتقادي الرّاسخ أنّ التّضامن مع المشاهد القاتمة في حياة الشّعوب باختلاف مرجعيّاتها تنشأ من داخلها وتكبر لتجرف معها المسافة والمساحة، وربّما هذا ما لم نفهمه للآن. أناس المرحلة هم من يصنعون الشّارع وليست شوارع العالم بكلّ ما فيها من انكسار وتضامن وألم. الصّورة هي المرحلة وليست أصواتها.

■ كيف تقيمين المسرح الفلسطيني كخشبة وإنتاج؟

المسرح الفلسطيني في وضعهِ الحالي في مكانهِ في الـ 48 والـ 67 إلّا فيما ندر، الدراما مجترّة جدّاً وبلا آخر، أستطيع أن أذكر حسام أبو عيشة كنموذج مهنيّ ماتع مسرحيّاً مطعَّماً بموهبة غير تقليديّة لا تنافس إلّا ذاتها. وبعينيّ لم تأتِ أعمال يمكن أن تهزّ خشبتهُ كما فعلت ذات يوم. والحقيقة أنّني مبتعدة منذ سنتين عن أجوائهِ، لكن ما يصل اليّ من مقتطفات عبر الميديا مثير للتّساؤل، هل فقدنا القدرة على التجدّد، أم أنّ مساحة المخيّلة لدينا انحسرت عن أفقها؟ لدينا مهرجان سنويّ في عكّا للممثّل الواحد، (المسرحيد) تابعتهُ على مدى سنوات أداء وخشبة، تحكيماً ونقداً. وكنتُ أبديتُ الكثير من الملاحظات حول التّراجع الحاصل في مستوى التّنفيذ الفنّي منذ اختيار النّصوص وحتّى إخراجها ودفعِها إلى الخشبة. المطلوب الآن دفع المستوى الفنّي أماماً عبر الخَيارات الكثيرة المُقترحة ليس أهمّها التقنيّات الأُسلوبيّة لأشكال التجلّي، ولكن الحيل الفنيّة بفِكرها الجديد. الدّلالة الجسديّة في احتواء تشظيّات الحالة الدّراميّة، المُنتظَر في الأشكال الجديدة للإخراج التّجميع الفنّي لتداعيات المضمون وليس التبعثر، والفرق بعيد بينهما. نحن ننتظر من الإعداد السّينوغرافي الدّخول إلى حيثيّات لم ينتبه لها النّص الأصلي ويرفع من إيقاعها الدّرامي حدّ تظهير التجلّي كأداة وتقنيّة معاً، هذا ربّما ما ينقص الحالة المسرحيّة الآنيّة عجزها عن تجاوز الخطّ الّذي عبَرَتْهُ لأوّل مرّة وانتصرت على قدرتها. قدرات الإخراج محدودة بعينيّ، وكثر يخوضون المجال من ممثّلين حديثي العهد بالموهبة والمهنة معا يُجرّبون كأنّهم لم يدرسوا أسس الأداء الدّرامي اعتقاداً منهم أنّ كلّ أداء هو دراما مُدهِشة وأنّ خَوضهم لمدرسة المسرحيد كفيلة بتشريع مساحة الحضور الجماهيري أمامهم. شخصيّاً لا ألمح صوابها فالتّجريب بعينيّ سيجري ضمن ورشات شخصيّة محدودة لاكتساب مهارات الظّهور، ناهيك عن أداء المرأة الّذي يحاصر تقنيّة الشّكل الواحد بذات المضمون حول الاضطهاد الذّكوري. خلص، أوان التّباكي عبَر هنالك مسرح جديد مُطالب بتأسيس فرادة في أشكالهِ الدّراميّة ومضامينهِ غير المطروقة ولو بثمن ترجمة أعمال أجنبيّة إذا كانت كتابتها مستحيلة. فالمعروف عن هذا الفنّ التّركيبة ذات الخصوصيّة في تداخل المرجعيّات كي يصلح مادّة للخشبة، فسعد اللّه ونّوس مثلاً، الّذي نعتمد أعماله كثيراً مطالبون نحن بإعادة ترتيب فكرهِ المسرحي وعدم اعتماد القالب الواحد الّذي لعملهِ لسبب بسيط، كَون عوالمهُ رحبة جدّاً ومتداخلة وغالباً نعتمد نحن كمخرجين وكتّاب سينوغرافيا القشور في تقديم سيناريوهاتهِ، لذلك أدّعي ضرورة نفض الحالة المسرحيّة كاملة من غبار

الكلاسيكا بالغة الاعتماد على التّقليد وتكرار القوالب. لقد حاول المسرحيد أن يتعدّد رغم أنّنا نتحدّث عن اختبار نوعيّ لفنيّة الأداء الواحد وهويّة المخيّلة في حيل اعتداءاتها على حياديّة المتفرّج، وهو الخطأ الأوجع في فنّ المونودراما، وحاول أن يصير دوليّاً عبر استضافة نقّاد وفنّيين من العالم العربي عبر الشّاشة الذكيّة وأنا أعتبر هذا الخلط غير المبرّر لن يأخذ المهرجان إلى العالميّة بل سيعيدهُ بلا مكتسبات جديدة إلى بداياتهِ. الحفاظ على نقّاد المكان مُلزِم لأنّهم أكثر معرفة بحيثيّات الفعل الثّقافي، لا بأس من استضافة ناقد أو اثنين لكن لا تُفرِغ السّاحة من أهليها وتعتقد أنّ الغرباء هم من سيرفعون أعلامكَ المُنكّسة، لن تستدرجهم كي يخدموا أجندتك، عليهم أن يظلّوا إضافة وحياديّين تجاه العلاقات الشّخصيّة ضمن الدّائرة الضيّقة. ما يجري أعادني إلى الأعمال الّتي حكّمتُ فيها وكنتُ مطالبة باللّين والتقبّل لأعمال سيّئة. يُمكنُكَ أن تعوّل على التّنازلات في حضرةِ نقّاد تحت سلطة مِنَحِكَ وهيمنتكَ وليسوا ضمن الدّائرة القريبة من المناخ المسرحي الحقيقي، لكنّ السّؤال هل سيرفع دعم هؤلاء اللّامشروط مشروعك الثّقافي أم سيهزمهُ؟ كيف سنرفع مسرحاً مُستغَلّاً من طاقمهِ المهنيّ الثّابت؟ التّبديل والإثراء عبر وجوه جديدة مُلحّ جداً في هذه المرحلة على اعتبار أنّها ستَضُخُّ حياة للعمل. وما ذكرناهُ حول العمل المونودرامي ينطبق على سائر الأعمال المسرحيّة الجماعيّة. كلمة السرّ في اختيار المضمون وتقرير إستراتيجيّة الأداء لا تزال غائبة، وأستطيع أنّ أذكر مُخرجًا مسرحيّاً واحداً أو إثنين يشتغلان على مفردة جديدة وفكر جديد بضمنهم الفنّان مُنير بكري، وهذا لا يكفي.

■ النقد العربي يقال إن النقاد العرب ينتمون إلى المدارس النقدية القديمة ولا يطورون أدوات النقد تبعاً لحركة الواقع التي تتطور بشكل كبير، كيف تنظر رجاء بكرية إلى عالم النقد العربي؟

على العكس تماماً لدينا طاقات نقديّة لافتة وتتبع المدارس الّتي تجتهد في ابتكار مذهب نقديّ يخصّها وهؤلاء أقدّر مجهودهم جدّاً برغم أنّ كُثراً وكثيرات ممّن يكتبون/ يكتبنَ نقداً يشوِّحون للنّقد في الحقيقة ولا علاقة لهم بعالمهِ، لدينا أقلام تخدم بعض المنتديات وتكتب لها بما يغذّي فكرة «الشّو» الأدبي دون رجوع لمعايير الكتابة النّقديّة الّتي أعتنقها أنا وسواي ممّن أدرجوا أبحاثهم تحت خانة النّقد المهنيّ الّذي تغذيهِ الموهبة مثلاً. لن ننسى أنّي مشروع باحثة مجتهدة لكن دراساتي قليلة ومحورها فكرة الدّمج المجالي، الفنّ التّشكيلي ومدارسهُ في علاقتهِ بالأدب، أدب الأطفال، واللّوحة الفنيّة عموماً المرافقة للعمل الأدبي النّوعيّ. حريصة ألّا أتبعثر، واجتهاداتي هنا هدفها التطوّر العلمي. وعودة على طرحِكَ لدينا بضعة نقّاد لا يمكن أن تذكر النّقد الفِلسطينيّ دون أن يكونوا مركزاً فيه، وناقدات عهدهنّ حديث في النّقد ويسجّلنَ حضوراً لافتاً في التخصّص الفنّي النّخبوي لهذا الفنّ فقط بقي أن يأخذن مساراً واضحاً في المذهب التثويري لمدارسهن وألّا يخلطْنَ أدب الأطفال بالرّواية النّوعيّة لأنّهما عالمان منفصلان تماماً. أعتقد أنّ مشكلة النّقد هي التعدّي السّافر للنّقاد على منظومات أدبيّة خارج تخصّصهن، فالنّقد ليس طبق فاكهة يمكنك أن تحشر فيهِ ما طاب لك من حَبٍّ ولون لأنّ زلّة واحدة للمتلقّي في دمج المذاقات قد يدفعهُ للتخلّص من الخليطِ كاملاً. لن يخاطر بصحّتهِ كي يحوشَ الأطايب جميعها بما في ذلك ما لا يناسب بنيته الجسديّة، وميولهُ النّفسيّة.

■ كفنانة تشكيلية ما هي المواضيع الأكثر حضوراً في لوحاتك؟ وهل هناك مدرسة تنتمين إليها؟ أم لرجاء مدرستها الخاصة في الفن التشكيلي؟

مذهبي الفنيّ يعتمد الرّسم التّحليلي أكثر منهُ واقعيّاً، حتّى وأنا أعتمد مضامين من عالمي الواقعي القريب كاليوميّات والرّسائل. لعلّ أجمل أعمالي حضوراً تلكَ الّتي أنجزتهُا كمتوالية فنيّة وعُرضَت مِراراً في معارض شخصيّة وجماعيّة ولها علاقة بمشروع أدبيّ انشغلتُ بهِ لوقت طويل تحت التّسمية «يوميّات مُهرّبة إلى عينيهِ» لاقى رواجاً في حينهِ. ما أحبّ أن ألفت اليه أنّ مذهبي الفنيّ يشمل ابتكارات كثيرة حاولت أن تؤسّس لمدرسة فنيّة انتقائيّة مركزها لغة الحرف. صحيح أنّي اعتمدت التّجريد الفنّي لكنّي زاوجتهُ بالمذهب السّوريالي الرّمزي عميق الحرارة وذهبتُ لأكثر من سكالا تخصّ الألوان الصّفراء بعمقِ عالمها وحياديّتهِ على التحامهِ البالغ بالجُموع. وأذكر أنّ إحدى الفنّانات وهي ترافق مجموعاتي في مشروع تخرّجي الجامعي سألتني، هل تشعرين بالبرودة مع أصفركِ هذا؟ وكنت أنفي بحركة عنيفة من رأسي، حارّ جدّاً وعميق وأكثر ممّا تتخيّلين. هل صادفتَ أعمق من زهر عبّاد الشّمس وحيويّة عيونهِ؟ لقد طوّرت مجموعات فنيّة كثيرة حتّى إنّي أدخلت المضمون السّياسي لإحدى مجموعاتها كأحداث أكتوبر 2000، وأعني مجموعاتي الصّفراء تلك حيث استشهد عدد من شبّان الجليل إثر اشتباك مع الشّرطة في حدَثٍ استثنائيّ أعاد إلى الأذهان أحداث يوم الأرض الخالد في 76. كان يجب أن يضمن الجهاز الشّرطوي أمنهم مهما بلغت حدّة المواجهات لكنّ المواجهات تطوّرت. كنّا نعتبر حقّنا أن توازي ردود الفعل في الشّارع العربيّ قريناتها في الشّارع اليهوديّ من انضباط وعدم انجرار إلى مواجهة لا رجعة في خساراتها.

على العموم حلُمتُ أكثر حين دلّلتني الفُرشاة بألوانها وأزهرتُ أكثر، فاللّون يعبّئ الرّوح برائحة البنفسج العميق، معهُ تشعر دائماً بامتلاء القلب والخِفّة والانتشاء، عالم مشبع دهشة مفخّخ بالمغامرة، محفوف بوقوع اضطراري في عشق لم تحسب حساب طيرانهِ البعيد خلف غيم لا يراهُ سواك. وأنت ترسم لتُدهِش نفسَكَ أوّلاً ينتقل الشّعور بالعدوى إلى عالمكِ وعلاقاتك ويخيّل إليكَ أنّك أكثر النّاس ثراء في العالم. تلك النّشوة الّتي أتحدّث عنها لا يضاهيها تفتّحاً غير الانخراط في عمل روائيّ جديد.

التوظيف القصدي النصّي

علاء حمد ـ كاتب عراقي مقيم في النمارك

تعتبر الدلالة القصدية1 العامة من خصائص نمو النصّ، فهي تقودنا إلى المعاني المضمرة والتي لا تظهر بصيغتها الطبيعية، ولا نستغرب عندما يكون للتأويل النصّي غايات وأهداف تختفي خلف قصدية الدلالة وحركتها في النصّ، فيزداد النصّ جمالية وخصوصاً عندما تكون الرمزية ذات دلائل حركية، حيث أنها تجذب خلفها أعمال الاستدلال، والاتجاهات التواصلية، والمعاني التناقضية باتجاهاتها المتنوّعة، ونعني من وراء ذلك، الداخل النصّي، والديمومة السردية، والوعي واللاوعي، كلّ هذه النقاط تكون حاضرة في البعد الفلسفي القصدي، فالصفاء النصّي لا يتخلص من التناقضات الفكرية واختلاف الثقافات الشخصية.

إذا ما ذهبنا مع القصدية ومع تأويل العناصر، فسوف نكون في مناطق عديدة، وذلك لاحتواء العقل اتجاهات متنوّعة، وخصوصاً المناطق الأكثر واقعية، ومن هنا، عندما ندرس روايات الكاتب الراحل غسان كنفاني، فنحن ندرس واقعة زمنية غير قابلة للذوبان، وكذلك ندرس الواقع الاجتماعي، والثقافي، والمعتقدات، والمراجع الفكريّة، والعلاقات، والأهم من ذلك كلّه (بنية العقل)، وذلك لارتباطها بالعقل الواقعي الذي لا يتقبّل التراجع ولا الإزالة. إذن من الممكن أن نذكر أيضاً الخصائص السياقيّة كما ذكرها الكاتب محمد خطابي في كتابه: لسانيات النصّ، وهي: (المتكلّم، والمخاطب، والمشاركون والموضوع، والقناة، والمقام، والسنن، وجنس الرسالة، والحدث، والمقصد. تلك هي العناصر السياقية حسب تصنيف هايمس، لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكلّ هذه العناصر2).

في الإطار نفسه، هناك من يحكم بإنتاج النصّ، والكتابة حسب العلاقات الظاهرة عندما يكون لدى الكاتب دلالات مستهدفة تؤدّي إلى الخضوع لعلاقات بنيوية ورؤيوية، ومتعلقات ذاتية، مثلاً: (التعلق بالأرض، أو بأصل العائلة) وارتباط السابق باللاحق، أيّ العودة إلى قصديّة الجذور التي تساعد المنتج النصّي على إعادة البناء (وهنا نقصد الهدم والبناء، وهما من استحقاق الكاتب المنتج للنصّ). فإعادة التركيب والتأخير والتقديم ضرورة نصّية، حتى تستوي المعايير اللغويّة وما تنتجه الدلالة من تحوّلات مشتركة ضمن علاقات العناصر النصّية.

سنكون مع بعض الاتجاهات القصدية التي ترافقنا في المعادلات الموضوعية؛ حيث أنّ المفاتيح التي نرسمها تكون عادة ما بين السياق، والتلقي، والنصّية، والتداوليّة، والجانب القصدي من النصّ، وذلك لأنّ الخطاب النصّي يؤدّي إلى علاقات داخليّة وخارجيّة. ومن هذه العلاقات التي تواكبنا: الجدل التكييفي، التعلق الفينومينولوجي، التتابع النصّي.

تشكّل هذه العناصر ميزة تواصليّة وتداوليّة في المنظور القصدي المعتمد في النصّ المكتوب، والذي يعنينا هو التشكيلات الوظيفية والتركيبيّة، وأنّ أيّة بنية لغوية لا يمكن تحديدها إلا من خلال توظيفها، لتشكّل سياقاً تواصليّاً، يقول الكاتب أحمد متوكّل: تعتبر الوظائف الدلاليّة، والوظائف التركيبيّة، والوظائف التداوليّة حسب النحو الوظيفي مفاهيم أولى Primitives بمعنى إنّها ليست مفاهيم مشتقة من بنيات مركبيّة معيّنة3.

الجدل التكييفي

لكلّ عنصرٍ من عناصر النصّ تكييفه وتجنيسه مع العناصر الأخرى، ومن هنا يكون للتكييف الجدليّ الحِجاجيّ دليلاً في إيجاد الشخصيات النصّية، وبرهاناً للنصّ الروائي المكتوب، حيث أن العقلنة النصّية تأتي بعدما تكون الكتابة في جاهزيةٍ نهائيةٍ، وإلا يبقى القول غير مستقرّ طالما أنّ النصّ في منطقة القراءة الذهنيّة.

إنّ التناقضات بين العناصر بالرغم من تجانسها وتكييفها متواجدة، وهي تؤدّي إلى العملية الجدليّة، لذلك فالتداخلات، والتقاطعات بين العنوانات من جهةٍ، وبين التفكير الفلسفي من جهة أخرى، متواجدة، بداية من الوحدات اللغويّة التي تستوعب الطرق العقليّة في القول السردي، وتعكس المرحلة (الزمنيّة) عندما يكون الكاتب ملتزماً بحدود الواقع المميّز في التفكير النقدي.

التعلق الفينومينولوجي Phenomenology

إنّ هدف الفينومينولوجيا في النصّ المكتوب كعلمٍ منهجيّ شاملٍ يؤدّي إلى إدراك الماهيات النصّية4، لذلك فإنّ هناك علاقة بين الفينومينولوجيا، وقصدية أفعال الشعور، وبما أنّنا أمام نصوص سرديّة تتعلّق بالأماكن والأزمنة، إلا أنّ هناك اتجاهات لمواضع قصدية في النصّ المدرَك؛ ومن خلال الانتماء الحركيّ للجسدين الداخلي والخارجي، نلاحظ أن المعنى الخارجيّ يؤثر على المعنى الداخلي، ولكن ليس شرطاً أن يدخله أو يتشابك معه، إلا إذا كان مكمّلاً للزمنية مثلاً أو للمكان الذي حدّده الباث أيضاً. وتكملة لهذا المنظر، يؤكد ميرلو بونتي: (إذا كان الفضاء الجسدي والفضاء الخارجي

يشكّلان نظاماً عمليّاً، فإنّ الفضاء الأوّل هو العمق الذي يمكن للموضوع أن يظهر عليه كهدف لنشاطنا، أو الفراغ الذي يظهر أمامه ذلك الموضوع، إنّ مكانية الجسد تتحقق بالتأكيد في النشاط وتحليل الحركة الذاتية، ويجب أن يمكّننا من فهم هذه المكانيّة بشكلٍ أفضل. إنّنا، بأخذنا الجسد المتحرّك بالاعتبار، نرى بشكلٍ أفضل كيف أنّه يسكن الفضاء «وبالتالي الزمن» لأنّ الحركة لا تكتفي بتلقي تأثير المكان والزمان، فهي تستوعبهما بنشاطٍ، وتأخذهما بدلالتهما الأصليّة التي تمحى داخل تواتر الوضعيّات العاديّة المكتسبة5.

التتابع النصّي

من خلال قصدية النصّ، تقودنا المعرفة ونظام الإشارة إلى التتابع النصّي والتي تكوّن التحوّلات الوقائعية نحو السرديّة بداية من المطالع الأولى للأشخاص ونهاية إلى تجنيس الحدث النصّي، والذي يكون فيه الترابط بين الأحداث ذا انصهار وتماسك ونسيج متواصل، ولا تنفكّ هذه النقاط من النصّ، بل تكون لصيقة العمل التتابعيّ والتواصليّ، فمن خلال الانسجام النصّي؛ تكون الجمل تتابعية مع بعضها، وذلك بخصوص فهم كلّ جملة تابعة للنصّ، تكون مكملة للجمل الأخرى، ومن هنا تكون المفاهيم إما في انسجام نصّي، أو أنّ هناك ترابطات دلالية تقودنا إلى المعاني من جهةٍ، وإلى البنية النصّية من جهةٍ أخرى.

عندما نكتشف أو (المتلقي يكتشف) التماسك النصّي من خلال عدة سياقات، تكون البنية النصّية وليدة تلك السياقات التتابعية، والتي لا تخلو من تتابع المفاهيم أيضاً، وذلك عبر المعاني والتماثل التأويلي لكلّ سياق، أي كأنّنا أمام ترجمة حيّة لكلّ نصّ دخل المفهوم الجدليّ؛ وكذلك النصّ الذي يغذي نصّاً آخر من خلال اللاوعي الكتابي، أي أنّ اللاوعي الكتابي، يغذي الوعي.

من خلال التتابع النصّي سنكون في مناطق عديدة تؤدّي إلى هذا التتابع وإلى الانسجام والمفاهيم الدلالية:

وحدة النصّ: إنّ واقعية الانسجام النصّي تكون ضمن واقعية الانسجام الدلالي، لذلك يعتبر النصّ وحدة لغوية مكتوبة، ومن هنا يظهر الانسجام الدلالي الداخلي ويعني (وحدة النصّ)، أمّا الانسجام الخارجي فهو واقعيّة النصّ. (إنّ وحدات النصّ متنوّعة تختلف باختلاف المستوى المدروس، فإذا كانت الوحدات الصوتية والصرفية وحدات ثابتة يحدّدها النظامان الصوتي والصرفي في لغةٍ معيّنة، فإنّ التبادلات والتتابعات والتجاورات والإيقاعات التي تنتج عن اختيار معيّن لا توصف بالصرامة والوجوب، كما أنّ العدول عن أبنية إلى أبنية أخرى ذات دلالات معيّنة لا يعود إلى النظام، وإنّما يعود إلى كفاءة المنتج وقدرته على تشكيل أبنية اللغة تشكيلاً إبداعيّاً6.

بعض المعايير التتابعية: والمقصود من وراء ذلك؛ الأقسام المترابطة في النصّية، ومنها مثلاً؛ الأحداث الحقيقيّة ونقلها إلى النصّ المكتوب، بعد أن يتخلى الباث عن لغتها العادية، لذلك فهي تلك الأحداث التي تفقد لغتها، وفي الوقت نفسه، يتابع الباث لغته الفعليّة من أفعال حركية وانتقاليّة وتموضعيّة لكي تكون متجانسة مع الفعل السردي الكتابي.

الفعل الدلالي؛ والذي يعتبر أهمّ خاصية تتابعيّة في النصّ، والتي تكون قد أنجزت بالفعل كلاماً، وهو القول - الكلامي المثبت، ولا يجوز تغييره لذلك فهو متعلق بالفعل الدلالي والاستغناء عنه، يعني الاستغناء عن فنّية النصّ، إلا في حالة الانتقال إلى معايير أخرى، مثلا السيناريو أو إيجاد النصّ المسرحي.

الشفرة النافذة: وهي الأسلوب أو اللغة التي تكون تتابعيّة للنصّية، لذلك تشكّل الحركة الدلالية اللغوية علاقات مع المعنى والتأويل الحاصل في لغة الشعر السردي، وذلك باعتبار النصّ قد حصل على أسلوبه الحسّي؛ ولكن هذا لا يعني أن اللغة تبتعد عن الترابط النصّي، فهي تعتبر لغة تنشيطية ذات حركات دلاليّة.

التتابع السردي: ويعتمد على الحوارات التي ترافق النصّ الروائي، ويعتبر التتابع السردي أحد العناصر المهمّة في نقل وترتيب الأحداث، حيث إنّه يخدمنا في المفاهيم التي تطرأ والمفاهيم الثابتة، وعناصر التجديد من الممكن أن تكون ضمن التتابع السردي، لذلك يبني نفسه من خلال:

الخطط المبدئية؛ وتشمل الأحداث والشخصيات بثقافات متنوعة وكذلك الأماكن والأزمنة.

الأحداث التواصلية؛ وهي ضمن التتابع السردي، فلو انقطعت هذه الأحداث تحدث انتقالات دلاليّة (من - إلى)، أي يكون الفعل الانتقالي ذا تأثير وفعّالية على توقيف الحدث.

*****

هوامش:

1. نستطيع القول وكنوع من التمهيد للموضوع، إنّ القصدية صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتمّ بها التوجّه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها؛ فإذا كان هناك اعتقاد ما مثلاً، فإنّه لا بدّ أن يكون خاصاً بهذا أو بذاك أو أن تكون الحالة كذا وكذا. وحين أشعر بالخوف فلا بدّ أن يكون خوفاً من شيء ما أو من توقع حدوث شيء ما. وإن كانت لديّ رغبة لا بدّ أن تكون رغبة في حدوث شيء أو أنّ شيئاً يجب أن يحدث. وحين يكون لديّ قصد معيّن يجب أن يكون قصداً لفعل شيء ما. وهكذا يكون الوضع في جميع الحالات. أطلق المذهب التقليدي الفلسفي على صفة التوجّه للموضوعات أو الإشارة إليها والتحدّث عنها اسم « القصدية Inteentionality «، ولكن المصطلح لم يكن دقيقاً وأدّى في معظم الحالات إلى نوع من الخلط داخل المذهب التقليدي ذاته. - من كتاب: القصدية بحث في فلسفة العقل - ص 21 - تأليف: جون سيرل ترجمة: أحمد الأنصاري - ط1 لسنة 2009م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

2. لسانيات النصّ، الفصل العاشر؛ المستوى التداولي - ص 297 - المؤلف: محمد خطابي - ط1 لسنة 1991م، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

3. الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة - ص 11 - د. أحمد متوكل - منشورات الجمعيّة المغربيّة للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء لسنة 1985م.

4. من ناحية قصدية الإدراك فقد أعطى مثالا جون سيرل: حين أنظر إلى سيّارة لونها أصفر من طراز ستايشن أثناء النهار، وأراها هناك، ولا توجد عوائق تحول دون رؤيتها، كيف تحدث هذه الرؤية؟ لا أعني بالسؤال محاولة معرفة القصّة الطويلة عن أثر خواص الضوء والأعصاب البصرية، وإنّما أقصد كيفية إدراكها من الناحية التصويريّة. وما هي العناصر التي تشكّل شروط صدقية العبارة التي على صيغة « س يرى ص « حيث تكون « س « المدرك و « ص « موضوعاً مادياً مثلاً: حين أرى سيارة أو أيّ شيء مادي آخر، لا أرى في الإدراك الحسّي للسيّارة الخبرة البصرية ذاتها وإنّما أرى السيّارة. ومع ذلك حين أرى السيّارة يكون لديّ خبرة بصريّة، وهذه الخبرة البصريّة خبرة بالسيّارة. وبالتالي سنحتاج فيما بعد إلى معرفة معنى حرف الجرّ «باء». كذلك من الضروري أن نلاحظ أنّه بالرغم من أنّ الإدراك البصري يتكوّن دائماً من خبرة بصريّة، إلا أنّ هذه الخبرة لا تتمّ رؤيتها هي ذاتها بالمعنى الحرفي للفعل « يرى «، فحين أغلق عينيّ تتوقف الخبرة البصريّة. بينما السيارة أو الشيء الذي أراه لا يختفي أو يتوقف. كذلك ليس هناك معنى عموماً أن أنسب للخبرة البصريّة صفات الشيء الذي تراه هذه الخبرة البصريّة؛ فمثلاً إذا كانت السيّارة صفراء ولها شكل ستايشن، ولديّ خبرة بصريّة بموضوع أصفر وشيء له شكل ستايشن أصفر، فإنّ من السخف القول إنّ خبرتي البصريّة نفسها صفراء ولها شكل ستايشن أصفر؛ فاللون والشكل صفتان قابلتان للرؤية. وبالرغم من أنّ خبرتي البصريّة تكون عنصراً من أيّ إدراكٍ بصريّ، إلا أنّ الخبرة البصريّة ذاتها ليست موضوعاً مرئياً. - من كتاب: القصدية، بحث في فلسفة العقل - تأليف: جون سيرل - ترجمة: أحمد الأنصاري - ط1 لسنة 2009م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

5. ظواهرية الإدراك - ص 94 - موريس مرلوبونتي - ترجمة: د. فؤاد شاهين - معهد الإنماء العربي.

6. علم لغة النصّ - ص 73 - الدكتور سعيد حسن بحيري - ط1 لسنة 1997م، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة.

حلمٌ يبحث عن رصيف

ملاك الريماوي - غزة - فلسطين

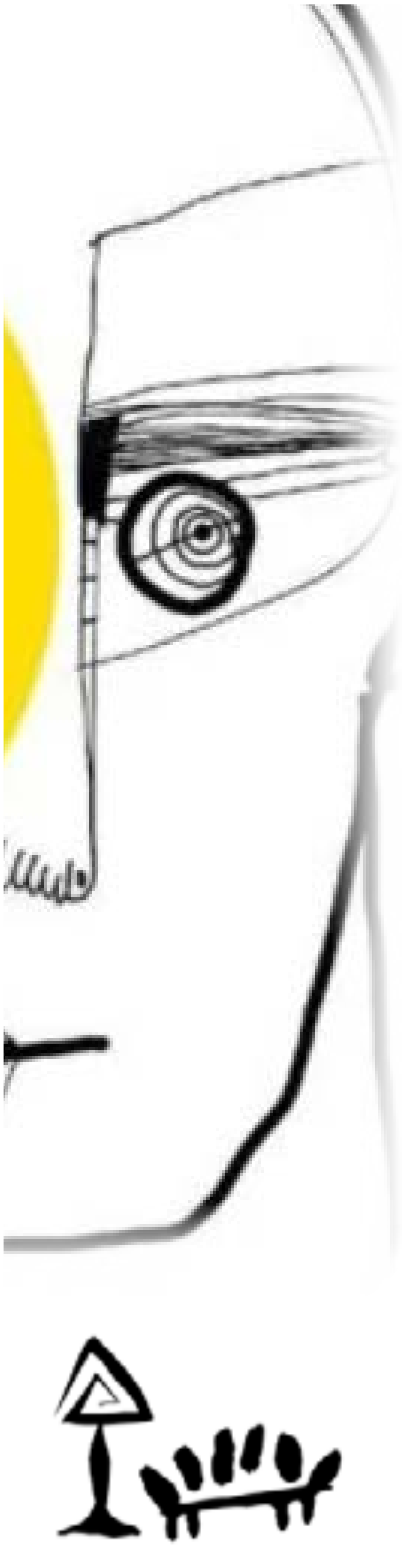

على أرصفة الحلم
عانيتُ من فحوات الغياب
الغياب الذي يرجمني
كلما داهمني وجعُ الأرصفة..
تتزاحمُ المواجعُ
تتزاحمُ حول مدينتي
وتطلقُ خطواتها
باحثةً عن حلمٍ.. كلّما استيقظ بوريدي
يطرقُ أصابعيَ المرتجفة..
ذلك الحلمُ الذي انبرى
في زحمةِ التيه
وأعلنَ فطنتَه في غرفتي التي
بناها ضباب القذائف..
يا للحلم... يسيرُ قرب بيتي
ويتجاوزُ النوافذ.. مستهدفاً
الوادي السحيق
مللت تلك المنحنيات التي
ما اتسعتْ
إلا.. كي تضيقَ
وحين يستدرجني الحنينُ
أحملُ تذكرةَ خيالاتي
وأمضي
أمضي لتلك الليالي الباقيات
النادرات الجميلات
كان القمر الشاب
يسرق نظراتنا
ورقصاتنا التي تنتمي لعينيه الواسعتين..
كانت ضحكاتنا تملأ المسافات
كلّما تجاوزت مسافة
امتدّت مسافة أمام بصيرتي
أحلام على شكل شناشيل..
وأحلام تسكنني وأسكنها
أحلاماً
بعثرتها اليقظة فانهارت تحت مبدأ القسوة
أحلام على شكل ضجيج تام
أسكت بصمتٍ
وتسكت الضوضاء بضجيج
ثم نمضي... نمضي
ويبقى في العتمة الكثير

للأماكن أرواح تزهق
نزيف الوطن وقتل تراثه

د. نجلاء الخضراء ـ كاتبة فلسطينية وباحثة في التراث ـ سورية

يقوم التراث المادي الذي يشمل المواقع الأثرية والمباني والقطع الأثرية المنقولة على فهم الماضي البشري وتطور الحياة الإنسانية عبر العصور والوقوف على الحضارات القديمة وأنماط الحياة والثقافات والتقنيات التي سادت في كل مرحلة من المراحل، ما يوضح مسيرة الإنسان وكيفية تطوره على مر الأيام.

وتمثل تلك المأثورات جرعاً أساسية من هوية الشعوب والأمم وتعزز الوعي بأهمية التراث الإنساني من أجل الإسهام في الحفاظ على تاريخ وثقافة الشعوب وتعزيز الوعي بالهوية والفخر بالانتماء. وقد شهد الوطن العربي ظهور العديد من الحضارات القديمة المهمة مثل الحضارة الفرعونية والبابلية والفينيقية والآرامية والآشورية واليونانية والهلنستية والبيزنطية وكانت بلاد الشام مسرحاً لهذه الحضارات وكانت فلسطين جزءاً من هذه الأرض ومركزاً لمعظم الحضارات التي لم يخلُ شبر منها إلا وفيه ما يشير لقدم تاريخها وتجذر أهلها ووجودهم وتفاعلهم مع أحداثها.

ولما كان التراث عائقاً ضخماً أمام العدو الصهيوني يحول بينه وبين أهدافه الاحتلالية العنصرية كان عليه تذليله قبل التحرك العسكري وإدخاله ضمن الخطط السياسية للسيطرة على التاريخ والتراث، لهذا عمل العقل الصهيوني على استعراض فلسطين كأرض فارغة خالية من الشعب لتكون أرض ميعاده وكأن علاقته بها هي العلاقة الطبيعية المنطقية، ولإثبات نظريته التي أطلقها أن فلسطين أرض بلا شعب، عمل على توفير المناخ الملائم منذ فترة الانتداب بغرض العثور على دلائل تضع التاريخ الفلسطيني بأكمله تحت قبضته، إذ نص البند الثاني عشر في صك الانتداب البريطاني على فلسطين أنه يجب على الدولة أن تؤمن وضع وتنفيذ قانون خاص بالآثار القديمة وفق قواعد بعينها. ويسرد صك الانتداب ثمانيَ قواعد مفصلة تنظم عمليات الحفر والتنقيبات الأثرية التي تضمنت حظر التنقيب عن الآثار القديمة إلا بموجب تصريح من الدائرة المختصة، وقصر إعطاء التصاريح لإجراء الحفريات على من يثبتون خبرتهم في هذا المجال في الوقت الذي كان معظم خبرائه من الغربيين الذين تبنى أغلبهم النظرية الصهيونية .

بهذا يتم الربط التاريخي بين اليهود المشتتين في أنحاء الأرض وبين أرض فلسطين وهذا ما تضمنه بالفعل وعد بلفور عندما وعد آرثر جيمس بلفور بتأييد من حكومة بريطانيا بتأسيس وطن قومي لليهود.

وبالتزامن مع الهجرات اليهودية إلى فلسطين كان هناك عمليات تدمير ممنهجة بثلاثة أنماط بدأها الانتداب البريطاني بحجة قمع الثورات وأكملها الاحتلال الإسرائيلي ليضمن لنفسه وطناً ويحتل تاريخاً فينتج هوية سبقت وجوده:

(1) التدمير المادي للمكان بفضائه وعلاقاته حيث قامت المليشيات الصهيونية بتجريف أكثر من 400 قرية فلسطينية وإبادة المراكز الحضرية الكبرى في مدن طبريا ويافا واللد والرملة وعكا وحيفا وصفد وأجزاء من القدس بين عامي 1947-1948م وفي عام 1967م بدأت باستهداف القرى المحيطة لقطع الاتصال المكاني بين المناطق الفلسطينية المدمرة وخلق تواصل مكاني بين المدن المحتلة والقدس وضرب الحواضن الشعبية المقاومة ومخيمات اللجوء.

2)) التدمير عبر إعمار مناطق حضرية صهيونية في الحيز المكاني الفلسطيني كالمستوطنات والمواقع العسكرية وشبكات الطرق المخصصة لهم وبناء جدار الفصل العنصري، وما يرافق ذلك من محو للهوية العربية وإضفاء الطابع التوراتي، فيما يؤكد الباحثون والخبراء أن تاريخ إسرائيل القديم هو مجرد لحظة قصيرة ضمن التاريخ الفلسطيني الطويل ويقول إدوارد سعيد: إن فلسطين كانت وطناً لحضارة لافتة قبل هجرة القبائل العربية إليها.

(3) التدمير بالسيطرة ويتجسد بإنشاء الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش والكتل الخرسانية والبوابات الإلكترونية والكتل والتلال الترابية.

بهذه الأساليب تمت أكبر عمليات نهب للآثار منذ الاحتلال البريطاني إضافة إلى ما قام به العدو الصهيوني من عمليات نهب منظم للآثار عبر مؤسساته أو من خلال الأفراد.

وينصب الاهتمام على المواقع التي لها صلة بتاريخهم العابر مثل تل الفراديس الذي كان حصناً رومانياً في جبل جزريم في نابلس حيث يضيفون للقصة سردية إسرائيلية تجعل من هذا الموقع أهمية أيديولوجية تثبت وجودهم الكاذب على أرض فلسطين، في حين تلاقي الآثار الفلسطينية التي تناقض روايتهم تدميراً ممنهجاً كما هو الحال في المعاصر والمعابد والكنائس والمساجد والحمامات وحتى البيوت القديمة، لأنها حركة مفتعلة ليس لها تاريخ أو جغرافية تسعى للتعويض عن ذلك بسرقة الأرض وسلب التاريخ ومحو الهوية الفلسطينية وتشتيت العقول

وحرفها عن الحقيقة.

لقد كانت حرب الكيان الإسرائيلي على فلسطين في جزء منها حرباً على الثقافة المقاومة للاحتلال وحرباً على ذاكرة الشعوب المقاومة لطمسها وإيقاف مقاومتها ورفضها لثقافة الشر، لذا لم تكتفِ بتدمير الأرض بل عملت على تدمير الثقافة من خلال المكتبات بعد أن آمنت بمقولة الجنرال شارل ديغول (لو تحطمت المعامل والمصانع وبقيت المكتبات لتمكنا من إعادة بنائها من جديد) لهذا كانت المكتبات ومازالت أهدافاً عسكرية في محاولة لهدم الفكر وهذا هو سبب تدمير العدو الصهيوني للمكتبات في غزة اليوم، يقول الشاعر الألماني هاينرش هانيه 1797-1856م: (حيث تحرق الكتب يؤول الأمر إلى حرق البشر).

استهدف العدو الصهيوني في بداية عدوانه الأخير على غزة المكتبات على رأسها مكتبة الشروق الثقافية (المعرض الدائم للكتاب) ومكتبة سمير منصور التي تعد أكبر مكتبة ودار نشر في غزة، كما قصف مكتبة مركز الثقافة والنور التي تعد من أقدم مكتبات غزة وتقع في حي الرمال. ودمر مكتبة ديانا ماري تماري صباغ التابعة لمركز رشاد الشوا الثقافي، كما تحتوي مكتبة بلدية غزة العامة على مئات آلاف الكتب التي تضرر مبناها جراء القصف بما فيه مقر الأرشيف المركزي الواقع في المبنى التاريخي القديم لبلدية غزة. كما تم استهداف مبنى المكتبة العامة المكون من طابقين وسرداب بشكل مباشر ويضم الأرشيف المركزي آلاف الوثائق التاريخية المتعلقة بتاريخ المدينة والمخططات العمرانية لمبان ذات قيمة أثرية ووثائق بخط اليد لشخصيات فلسطينية بارزة، استهدفت بشكل مباشر ما أدى إلى حرق معظم الوثائق، لكن رئيس بلدية غزة قال: إن جزءاً من الوثائق تتوفر منه نسخ رقمية.

أما مركز رشاد الشوا فيعد أول مركز ثقافي في فلسطين تأسس عام 1985م وفيه أكبر قاعة مسرح وبني وفق طراز فريد من تصميم المهندس السوري سعيد محفل، رشحه للحصول على جائزة الآغا خان للإبداع في الهندسة المعمارية.

إن سياسة استهداف الثقافة والآثار الفلسطينية ليست جديدة إذ تفيد التقارير أن الكيان الإسرائيلي سيطر على المتحف الوطني بعيد احتلاله للقدس 1967م وغير هوية معظم المتاحف والمكتبات الفلسطينية القديمة كما تم تهريب نحو مليون قطعة أثرية منذ 1967م. وها هو اليوم يستمر في تدمير الذاكرة والهوية بتدميره لمتحف رفح الذي يجمع مئات الأدوات المتعلقة بالتراث الفلسطيني القديم من أزياء وأدوات قديمة تعكس ثقافة البدو والفلاحين وسكان المدينة وأهم الأزياء التراثية الفلسطينية، وحطم القصف أيضاً متحف خان يونس والعقاد وشهوان والخضري ومتحف البادية ومتحف القرار الثقافي في بلدة القرارة ويضم أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة قطعة أثرية.

وطال استهداف العدو المواقع الأثرية التي يعود أصول بعضها إلى العصر الفينيقي في إشارة واضحة لرسوخ الحق الفلسطيني في الأرض الفلسطينية الذي يحاول الاحتلال سحقه بالقصف والاستهداف المباشر، حيث قام بتدمير ثالث أقدم كنيسة في العالم كنيسة القديس بروفيروس وراح في القصف عدد من الشهداء، وهي تقع في حي الزيتون على بعد 230 م عن مشفى المعمدان التي ارتكب فيها العدو المجرم مجزرة راح فيها المئات من الشهداء .

وتضرر المسجد الذي دفن فيه جد الرسول عليه الصلاة والسلام مسجد السيد هاشم، كما استهدف المسجد العمري ودمرت مئذنته ويعود تاريخه إلى 1400 سنة ويعد أكبر وأعرق وأقدم مسجد في غزة وسمي بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبالكبير لأنه أكبر مسجد في غزة، كما تم تدمير بيت السقا بالكامل وهو بيت قديم فيه ملامح غزة القديمة يعود تاريخ بنائه إلى 400 عام وتبلغ مساحته سبعمئة متر مربع وكذلك مبنى عائلة طرزي القديم تم استهدافه. ومن المواقع القديمة والهامة التي دمرت قلعة برقوق التي نقش على بوابتها القديمة تاريخ بنائها 1387م وتعد من أهم المواقع الأثرية بنيت على طلب السلطان المملوكي برقوق ومؤسس دولة المماليك لتكون مركزاً يتوسط الطريق بين دمشق والقاهرة يتخذه التجار والمسافرون مكاناً للراحة واللقاء والتزود بما يلزمهم من حاجات إضافة إلى الاحتماء من اللصوص وقطاع الطرق، كما طال القصف تل رفح الأثري وهو يحوي على آثار تعود إلى خمس حضارات قديمة: الفرعونية واليونانية والرومانية والبيزنطية والإسلامية.

إن وضعنا غزة في سياقها الطبيعي دون حروب وحصار فهي مركز حضاري ونقطة وصل عالمية أكثر أهمية من أي مكان اليوم بما تملكه من موقع ساحلي على أحواض الغاز في البحر المتوسط وأهمية اقتصادية وجغرافية وبما تتميز به قطاعاتها الزراعية والصناعية وبما تتخذه من أنماط معمارية مختلفة، لهذا كانت بأرضها وأهلها هدفاً لتقليص فرص العيش فيها حيث عمد العدو إلى إبادة المدينة وبالتالي تشويه مشاعر الأفراد تجاهها واستهداف ذاكرة المدينة وروحها بضواحيها وشوارعها وأسواقها، إلا أن صمود أهل غزة وبقاءهم في مدينتهم حال بين العدو الصهيوني وبين أهدافه في إخلاء الأرض من البشر والحجر والاستيلاء عليها، فقد قام أهل غزة بتوظيف هذه العمارة بعد أن عرفوا قيمتها وعظمة تاريخها فاستخدموها في عمليات الكر والفر والهجوم والتمويه والاختفاء، إن هذا الصمود الأسطوري لأهل غزة أمام القصف الهمجي ونيران العدو، وتنقلهم من مكان لآخر، نسف نظريات الحروب التي ربطت قدرة المجتمعات على الصمود بقدرة المدينة وبنيتها التحتية، وقدرة الحرب على تشويه مشاعر الأفراد حيال أمكنتهم ومدارسهم وشوارعهم، ومخططات العدو التي تحاول بنيرانها انتزاع قيمة المباني وتاريخها بتدميرها وإحراقها ونشر رائحة الموت والدم في أرجائها.

ملف ثقافي

قناع بلون السماء
سردية الوعي والمقاومة

كتب الروائي والأسير والمناضل باسم خندقجي، روايته الأحدث «قناع بلون السماء» متمما مشروعاً روائياً بدأه بعلامات روائية سبقتها على اختلاف أغراضها وأساليبها، رواية ستذهب إلى «فضاء السجن الكبير»، حيث ستتخذ هذه الرواية وعلى مستوى شواغلها الفنية طريقة مغايرة وأسلوبية مغايرة ،لا تدهش القارئ فحسب، بل تتقنع بالبحث التاريخي الحثيث عن فلسطين العميقة، تاريخاً ووجوداً ومصيراً ومآلاً، ولعل أطروحتها التي انطوت عليها أي في استدعاء أسئلة الهوية والمكان والتاريخ، عبر تقنية القناع هو استدعاء للحقيقة الإبداعية بوساطة حقائق التاريخ وأدوات البحث المعرفية عنه، وانتصاراً لأسئلة الوجود ما استدعى غير مقاربة نقدية وقراءة في مستويات وأبعادها المتعددة، وما تضيفه على مستوى الرواية الفلسطينية والعربية وبمعنى آخر تعدد مستويات التأويل والمقاربات المنتجة للمعنى الدال في رواية مقاومة وبأسلوبية مغايرة، تحيلنا إلى خصوبة تأويلها وقوفاً على الدلالات القصوى لسردية الوعي والمكان، وفحصاً أثيراً لممكناتها الإبداعية والوطنية المتلاحمة في نسيجها اللغوي والفكري بآن.

رواية «قناع بلون السماء»

قراءة في دلالات الانزياحات البنيوية

د. ثائر يوسف عودة ـ ناقد وأستاذ جامعي

أن يكتب الأديب الأسير القابع في سجون الاحتلال الصهيوني عن فظائع سجنه لهو أمرٌ طبيعي بل ومطلوب، وحينئذ سيندرج ما كتبه تحت باب الكتابات عن الأسر وفيه، إلا أنه لا يمكن أن تندرج هذه الرواية ضمن روايات أدب الأسرى أو السجون؛ لأنّ صاحبها تحرَّر من الكتابة عن عذابات السجن ويومياته، وكلّ ما يحيط به من حديد وعتمة ووحشة، وحلّق بعيداً ليتجاوز جدران زنزانته إلى فضاء رواية تخفَّفت من السجن وقضبانه؛ وليُقدّم عملاً يخترق كلّ الأسلاك الشائكة وأجهزة الإنذار المبكر أو المتأخّر ويحجز من خلاله اسماً خاصاً له، ويحفر بصمة في قائمة الرواية العربية والعالمية، تتموضع في مقدمة سلم الإبداع، مع الملاحظة بأنّ هذه الرواية لا تقدّم -ربما- للحركة الأسيرة على المدى المنظور أو المتوسط رصداً لمعاناتهم باستثناء أنها رواية اختزنت من الإبداع الأدبي ما جعل كاتبها الأسير ينال جائزة عالمية.

• دلالات الندية في الخطاب الروائي

«لا تمت قبل أن تكون ندّاً» كما صاغها الأديب الشهيد غسان كنفاني، يعدّل عليها الكاتب باسم خندقجي قليلاً فيقول: «لا تمت قبل أن تكون متفوقاً على الآخر»، فبطل الرواية (نور) الباحث في الآثار والمحقِّق التاريخي يتحدَّث اللغة العربية التي هي «لغة قلبه»؛ والإنجليزية التي هي «لغة عقله»، مضيفاً إليهما «العبرية» التي هي «لغة ظلّه وملامحه الأشكنازية»، وبالتالي ليست الندية فقط بأن تمتلك بندقية في وجه بندقية أو صاروخاً في وجه قبة حديدية، بل الندية في المعرفة، في البحث والتنقيب، في التجريب، وما رواية (مريم المجدلية) التي صنعت إيقاعاً زمنياً موازياً لإيقاع التزييف الحديث، إلا تفصيل يدخل ضمن تفاصيل حرب التفاصيل.

وفي سياق(الندية) في المعرفة نجد في النصّ علامة فلسفية فارقة تفضي إلى تساؤل معرفي وجودي: هل الهدف من الأقنعة هو الرغبة في النجاة أم التحرر من القناع نفسه؟ هل هو إدراك لعدم الكينونة وغياب المواطنة وارتباك ملامحها أم تعلّمٌ لمنظور واقع المحتل وأيديولوجيته؟ هل هو البحث عن الذات في مرآة بديلة يقدّمها قناع «أور» الصهيوني بوصفها معجزة مثيولوجية أسطورية تجد الحلول النهائية بعيداً عن سلطة المحتل الذي يجيد ابتكار الحقوق المخترعة من وجود وهمي وديمقراطية زائفة من خلال ما يقوم به من استيطان واحتلال واعتقال واغتيال وتشريد ومصادرة ومطاردة ثم إقصاء فتهميش؟ أو هو المعرفة كما يقول (نور) في إحدى بطاقاته الصوتية: «التعلُّم هو بداية الخروج من الاحتلال.. المرآة هي المعادلة».

وتتسرب فلسفة (الندية) بالاستناد إلى الأفكار القائمة على دعامة تاريخية وسلطة معرفية تمنح القارئ خيارات متعددة للدخول أو الاشتباك مع النص الروائي، وتفتح اشتباكه على تساؤلات معرفية متعددة: هل نتبع منطق الأفكار أم منطق التاريخ؟ منطق الحرية أم مفهوم الحرية الداخلية؟ مخاتلة التاريخ والأدب كما في رواية «دان براون» أم الانتماءات الخفية الضمنية للوطن والرغبة بالنجاة ومغامرة الحياة؟ وبالتالي تصبح جدلية «المعرفة الغنوصية» الخاصة بحقيقة مريم المجدلية والمعرفة اللاهوتية المسيحية مجرد (حبكة ثانوية) أمام انقسام خطاب الرواية الأيديولوجي والفكري والثقافي الذي توزَّع بين شخصيتي نور/مراد، وخلق شخصية (أور) المضادة رمزياً وجميعها تُعدّ من الوحدات السردية التي خُصّصت لاكتمال المعمار الروائي، مثل السرد داخل السرد، والمقصود به المتلقي الضمني المتفق مع

أيديولوجيا المقاومة، أو المنظور له في الاتجاه المعاكس(الباحثون عن النجاة في ظروف الاحتلال القاهرة)، أو القارئ الحقيقي الذي يتلقّى النصّ بعذرية الباحث عن الحكاية، بمعنى الباحث عن الرواية الإطارية الإنسانية التي تدعم سياق الأحداث التاريخية المتخيلة في ظروف جيوسياسية مستقاة من واقع نعيش أحداثه المتأزمة المؤلمة في الحقيقة يومياً.

• دلالات التقنيات المستخدمة في البناء:

يقفز إلى حيز التفكيك النقدي سؤال مركزي مشروع يقول: ما الجديد الفني في رواية باسم خندقجي في ظلّ هذا الكم الهائل من الروايات التي تصدر كلّ يوم في الساحة الأدبية؟ ما الذي يميز هذه الرواية؟ هل غامرت أو ابتكرت أسلوباً مغايراً في تجريب صيغ سردية جديدة مفارقة للسائد؟ وفي محاولة للبحث عن إجابة، تمكن الإشارة -باختصار- إلى بعض العلامات التقنية التي ميّزت هذه الرواية عن سواها، وهذه العلامات بحاجة إلى تفكيك وفحص أوسع في غير هذا المقام، ومع ذلك يمكن إجمال أبرزها في الآتي:

1. سرد داخل السرد:

يعلن الروائي أو الراوي العليم الكلي منذ الصفحات الأولى أنّ بطل روايته الرئيس (نور) يعتزم أن يكتب رواية عن حقيقة «مريم المجدلية» ويتساءل (نور) كيف سأكتب هذه الرواية؟ وما الأسلوب الذي سأعتمده؟ هذا يعني أنّ الروائي يكتب عن بطل يفكر في كتابة رواية، ويشرح للقارئ خططه في كتابة هذه الرواية، معتمداً في ذلك على تسجيل بطاقات صوتية على (الموبايل) وتحديد مساراتها سواء الزمنية أو المكانية من أجل الشروع في كتابة هذا العمل، وتحديد الأبطال أو البطل الرئيسي ومواصفاته، وكذلك الشخصية الأنثوية التي ستصاحب البطل، وضرورة اختراع قصة ذات خيال معقلن، والبحث عن اللغة التي تنسج كلّ ذلك بنسيج مشرق، بالإضافة إلى دوافع العمل الروائي وأهدافه. كلّ مستلزمات هذا المشروع/المعمار نقرؤها في البطاقة الصوتية الأولى التي تحمل رقم 12 والمعنونة بـ(في سبيل الرواية)، والمؤرِّخة زمنياً بالاثنين 19 نيسان 2021 الموافق للسابع من رمضان، وتتوالى البطاقات التي يتخلى البطل عن ترقيمها مكتفياً بتأريخها وعنونتها، وكلها تتعلق بكيفية كتابة البطل لروايته، فنقرأ عناوين بعض البطاقات: (تصوّر أولي حول الرواية)- (تصوّر آخر لرواية المجدلية)- (التصوّر الأمثل لرواية المجدلية وربما النهائي)- (من هي المجدلية)- (عطور مريم المجدلية).. إلخ.

إلا أنَّ الرواية تنتهي من دون أن يكتب البطل عن المجدلية، وإنما يكتب الروائي رواية أخرى يمضي في سياقها في سردين، أولهما: يرويه البطل (نور) بضمير المتكلم ويتمثل في البطاقات الصوتية، والآخر: يؤديه الراوي العليم/ الروائي إذ يقوم بسحب الراوي الأول (نور) من المشهد ويضع راوياً عاماً أو عليماً يقوم بتحريك (نور) وباقي الشخصيات.

2. تسجيل البطاقات الصوتية:

المظهر الثاني من مظاهر التجريب هو استخدام تقنية تسجيل البطاقات الصوتية من طرف بطل الرواية (نور) الذي يترك في آخر كلّ بطاقة رسالة لصديقه (مراد) الأسير في سجون الاحتلال، وهذه الرسائل تتحدث عن أفكار متشعبة كثيرة التفاصيل تتعلق بالحياة اليومية والتاريخ والهوية والاحتلال الإحلالي «الكولونيالي»، ومشاعر (نور) وآماله ومخاوفه، وعن الحرية والهوية، وعن القناع الذي يستخدمه ثم يتخلى عنه.

3. الأقنعة:

في انتحال (نور) هوية (أور) الصهيوني يبدأ القسم الثاني من الرواية، ويبدأ التوريط حول سؤال الهوية وأسئلة أخرى تظهر على صورة حوارات متفرقة بين (نور) والقناع (أور) كلما استخدم هويته وقناعه، وهذه الحوارات المتناثرة في أجزاء كثيرة ومتفرقة من القسم الثاني والثالث من الرواية تشكّل تقنية (تكنيك) استفاد منه المؤلف في بناء روايته.

إنّ قناع (أور) بالإضافة إلى قناعين آخرين امتلكهما (نور) هما: ملامحه الأشكنازية واللغة العبرية يكونان وسيلته للذهاب إلى مهد أرض المجدلية، ويلتقي هناك بالباحثة الحيفاوية (سما إسماعيل) في الفصل الثالث التي تعلن أنها من هذه البلاد، وأنّ بطاقتها الزرقاء إنما هي قناع.. وفي هذا المكان تبدأ الأقنعة بالزوال، إذ يكتشف (نور) في مكان التنقيب أن (سما) هي مريم المجدلية فيغادران المكان، وتلوح ملامح نجاة (نور) بوساطة (سما) بانكشافهما على أفق فلسطين كلها، حيث تبدأ بحكايات (سما) وانطفاء آفاق رواية المجدلية وسقوط الأقنعة.

4. تعدّد الأصوات:

فتحت الرواية المدى بعيداً لتعدّد الأصوات، وربما تكون معظم الحوارات التي بناها الكاتب هي حوارات بطله (نور) مع نفسه أو ظلاله: نور يحاور نفسه/ نور يصارع أور/ نور يقوم بتسجيلات صوتية لصديقه الأسير مراد قد لا تصله.. وهنا يدخل بطل الرواية في حالة حوار بينه وبين نفسه المتعددة في كلّ زاوية من زوايا العمل، وعند كلّ تقاطع حادّ على مفارق الأسئلة الكبرى للرواية يقرر «وما الإنسان على هذه البسيطة سوى سؤال يبحث عن إجابة». وبهذه الثنائيات المتعددة الأصوات يخلق الكاتب سرداً مغايراً لتقنية تعدّد الأصوات ذاتها، ويواكب فن الرواية والسرد بموجاته الحديثة.

5. زمن الرواية:

من اللافت أنّ الزمن الخطي للأحداث لا يتجاوز الشهر (19 نيسان.... 12 أيار 2021)، إلا أنّ هذا الزمن امتلأ بارتدادات زمنية عميقة، وهذا التكثيف للزمن الفيزيائي أحال إلى زمن النكبة المستمر، فالقضية قضية وقت (للوقت كثافة وجاذبية) كما يقول البطل (نور) نقلاً أو تحويراً لقول محمود درويش. وفي دلالة الزمن الفلسطيني ثمَّة أزمان وأوقات متغيرة في هذا الوطن المنهوك نكبة وويلات، وبالتالي، ثمّة زمن للمخيم/ زمن للقدس والمقدس/ زمن للمستوطنة/ زمن لحاجز التفتيش الاحتلالي/ زمن للمعتقل/ زمن للهاوية/ زمن للنجاة.

6. الفضاء الروائي:

الخط الأفقي للرواية يمتد من أحد مخيمات رام الله إلى قرية مجدو، والفصل الأول من القسم الأول من الرواية هو الوحيد الذي حمل عنواناً مكانياً (الأزقة) وتخلو باقي الفصول السبعة الموزّعة على ثلاثة أقسام من العناوين؟! وفي هذا الفصل يرصد البطل علاقة اللاجئ بالمخيم «الغيتو الفلسطيني» ومجازر المخيمات التي تعطيها اسمها، والأزقة الضيقة وبيته المحشور في أعماق المخيم بين ألف زقاق والمكوّن من طابق واحد وغرفة صغيرة على سطحه، فيصبح المخيم مكاناً طارداً، وكذلك الحال مع مدينة (رام الله) المدينة الإسمنتية الكبيرة بميادينها وشوارعها الاصطناعية المختلة والمحتلة (المكان الطارد للاجئ): «فالمدن نوعان نوع برحم ونوع بلا رحم، نوع بولادة طبيعية، ونوع تخصيب اصطناعي.. نوع به حجارة وعبق، ونوع به حديد وصدأ، وثمة القدس وثمة رام الله وهو يعتنق القدس متحرراً من أعباء رام الله»، وفي القدس يختل اغترابه شيئاً فشيئاً.

لقد كان الروائي ذا مقدرة معمارية هائلة قادرة على رسم خارطة لشوارع القدس وأزقتها القديمة وأبوابها وروحها السرية الصوفية التي مثلها (الشيخ مرسي)، وكذلك الحال في رسم خارطة (رام الله)، وكلّ الأمكنة والفضاءات التي وردت في الرواية بما فيها مستوطنة التنقيب، مما ينبي عن اعتناء من طرف الروائي ودراسة وقراءة عن تلك الأمكنة تجعل القارئ يعتقد بأنّ الروائي عاش في كلّ تلك الأمكنة، ويعرفها معرفة الخبير الجغرافي على الرغم من أنه لم يعش في أيّ منها.

- **خلاصة:**

هذه رواية تحفل بالتفاصيل الكثيرة التي قد لا يعرفها القارئ، خاصة عندما تكون تلك التفاصيل خارج نطاق اختصاصه، ولربما اهتمامه كذلك، وليس من السهل استخدام كلّ تلك المعلومات التاريخية والسياسية والدينية والثقافية في عمل أدبي قد تؤدي به إلى خارج طريقها الفني، إلا أنّ الأسلوب المبتكر والمغامرة في تجريب صيغ سردية جديدة أنقذها من براثن الخروج عن سياق الفن، وحملها إلى آفاق مليئة بالإدهاش والخروج عن المألوف في السرد.

نسج الكاتب حكاياته بمشاركة الهوية، تارة بصنارة التاريخ، وتارة أخرى بصنارة الواقع الراهن، وجمع كلّ ما اصطاده ليصنع حصيرة يمدُّ عليها أدوات سرده ويعرضها، وفي وعيه الانتباه الفني المطلوب ليواكب بناء الرواية الحديثة وأشكال التجديد الطارئة على سيرورتها، من مثل الأصوات المتعددة التي تتجلى في صورة راوٍ عليم مرة وراوٍ تاريخي أخرى، ليُنتج حبكة وسرداً مشوِّقين بلغة زاخرة بالإشراقات الجمالية والشاعرية. مما يدفعنا إلى أن نغامر فنقول إنها عمل يستوفي عناصر الرواية كلها، ويجعل أي قارئ في أية بقعة من العالم يستمتع بتخيل عوالم العمل بكل تفاصيله، ويثير لديه الكثير من التساؤلات الوجودية والأخلاقية الكبرى.

نص

في محطة القطار

فراس عبدو النادر

في زحام محطة القطار، كان الصباح ينسج خيوط ضوئه بين الأرصفة المبللة بندى الليل. كانت الأضواء تتلألأ فوق رؤوس المسافرين، مثل نجوم تائهة تبحث عن طريقها. هنا، في هذا المكان الذي يجمع الأحلام والذكريات، كان الصوت الأجش لمحركات القطارات يتداخل مع همسات الوداع والتحية.

ركض المسافرون، كلٌّ منهم يحمل في قلبه قصة، وفي عينيه بريق الأمل. كان هناك رجل مسن، يدفع عربة صغيرة مثقلة بالأمتعة، وكأنما يحمل عبء الزمن نفسه. تتبعه امرأة شابة، تلتفت بين الحين والآخر إلى طفلها الذي يركض أمامها، يضحك بصوت عذب، وكأنما يسخر من كل ما حوله.

«إلى أين المحطة القادمة؟» تساءلت امرأة ترتدي معطفها الثقيل، بينما كانت تسحب حقيبتها المتعبة. لم تكن تعرف، لكن قلبها كان ينبض بشغف السفر، حيث كل محطة تحمل وعداً جديداً.

تسارعت الخطوات، وارتفعت الأصوات، وتصاعدت روائح القهوة الساخنة من الأكشاك المجاورة. كان كل شيء هنا في حالة من الفوضى المنظمة، كأنما الحياة نفسها تتجلى في هذا المشهد المتنقل. القطار الذي سيغادر بعد دقائق، يحمل بدايات جديدة ونهايات مؤلمة، يخطط للمسافرين مسارات لم يتخيلوها.

ووسط هذا الهرج، كان هناك شاب يجلس بمفرده على أحد المقاعد، ينظر إلى السقف وكأنما يبحث عن إجابة لسؤال عميق: «هل سأعود؟» همس لنفسه، بينما كانت العجلات تدور في عقله، تتأرجح بين الذكريات والمستقبل.

وفي لمح البصر، دقت الساعة معلنةً عن اقتراب القطار. في تلك اللحظة، اختلطت المشاعر: الفرح، الحزن، الشغف، والخوف. كل ما كان ينقص هي تلك الصفحات البيضاء التي تنتظر أن تُكتب تلك القصص التي ستُروى عند كل محطة جديدة.

هكذا، كانت محطة القطار مكاناً للفرار والهروب، لكنها أيضاً كانت بداية جديدة لأحلام لم تُحقق بعد أو نهاية مشوار.....

قناع بلون السماء

من النص إلى القارئ وإستراتيجية النصوص الموازية

أحمد علي هلال ـ كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

لا شك أن الرواية مطلق رواية، هي كناية عن مغامرة تدفع التجريب إلى آفاق منشودة، وفي استحقاق هذا التجريب سوف يجلو وعي الروائي فهمه ومفهومه للفن، بوصفه استحقاقاً ناجزاً، وكيف إذا تعالق هذا العمل بمنظومة فكرية وكفاحية بآن، سترتبط بقضية وموقف وبحث، كحال رواية الأسير الفلسطيني باسل خندقجي (قناع بلون السماء)، في روايته المركبة وهي أكثر من رواية تقوم على تعدد الأصوات والعبور من الحكاية الرئيس إلى المقولة الحاكمة للعنوان في احتمالاته وممكناته الدلالية الواسعة.

لكننا ونحن نستدعي نظريات القراءة في هذه الرواية، يمكن لنا أن نتساءل عن المنهج الذي يقارب، وربما يستقرئ دينامية وحركية هذه الرواية، إذ إن المنهج المتعدد هو من يملك مفتاح الدخول إلى هذه الرواية، والأدل القراءة الثقافية واستدعاء المنهج الثقافي، بأدواته وطريقته والذي من شأنه أن يدع القارئ أمام عمل مركب بامتياز، وسيمثل ذروة في تجارب باسم خندقجي الروائية الذي ابتدأها بـ (مسك الكفاية) و(سيدة الظلال المرة) و(نرجس العزلة) و(خسوف بدر الدين)، وهو الشاعر الذي كتب مبتدأً تجربته الأدبية بـ (طقوس المرة الأولى) و(أنفاس قصيدة ليلية) وصولاً إلى (قناع بلون السماء) بأقسامها وفصولها.

بدءاً من تحولات وسيرورات بطله (نور المشهدي) وضراوة البحث التاريخي والآثاري عن مريم المجدلية، حينما يقرر نور أن يكتب رواية عن المجدلية، ويذهب في إثر أسرارها المخبوءة أو السرية، وستتبدى لنا الذريعة السردية في العثور مصادفة على هوية الإشكنازي اليهودي (أور شابيرا)، لكن خندقجي سيكتب رواية عن بطل يفكر في كتابة رواية، مستدخلاً القارئ في النص، ليجهر بخططه وببيانه السردي معتمداً على غير تقنية روائية، حتى يستطيع أن يقود بطله المفترض في أجواء روايته، فمن القناع إلى البطاقات الصوتية، إلى الاسترجاع والاستباق، حتى تحوز -هذه المغامرة- على اكتمال عناصرها الموضوعية/ والفنية، أي بتحديد مساراتها الزمانية والمكانية، دخولاً في لعبة الرواية وجهراً بالراوي العليم الذي يحرك نور وبقية الشخصيات الثانوية والرئيسية، نور سيتنقل في القدس بحرية تامة ويدخل سوق الخردوات ويشتري معطفاً يجد داخله بطاقة هوية زرقاء باسم أور شابيرا، وتعني بالعبرية نور، وهكذا سيعبر جهاز التفتيش ويسجل في بعثة تنقيب آثارية، تذهب للمكان الملاصق للمكان الذي يريد بطله أن يبحث فيه عن أسرار المجدلية، على أن سؤال الهوية الذي لا ينفك الروائي باسم خندقجي على امتحانه طيلة الرواية وزمنها القصير، وليتحرك أبطاله على مسرح روايته ضمن هذا السؤال، الهوية والمكان، ويبقى لنا أن نتساءل هل هي رواية فلسفية أم تاريخية، أم سردنة للهوية ومتعالياتها؟، وعلى المستوى الفني التقني، ستكون أداة الروائي في استخدامه البطاقات الصوتية، بمثابة اللحمة للرواية والنسيج لتكتمل في نطاق التلقي، البطاقات الصوتية من قبل بطله نور، ما يعني هنا أننا إزاء نصوص موازية، أي متعاليات نصية من أجل خلق التفاعل المنشود بين النصوص، تقوم إستراتيجيتها على تضافر ملحقات نصية وعتبات، لا تتخفف من شعريتها المقتصدة والمكثفة على نحو يمكن القارئ من الدخول إلى الرواية التي ستبتدئ قبل عام من النكبة، إلى ما قبل الميلاد، عن أيام السيد المسيح عليه السلام، وتلامذته والمجدلية، وحقيقة الأمر أن النصوص الموازية لا تقل أهمية في اندغامها في المتن الروائي عن قصد الروائي كما نصه، في الجهر بالبحث عن الطريقة التي سيكتب بها باحثاً في التاريخ الفلسطيني ومكتشفاً فلسطين الأخرى، فهي بمثابة السياج الذي يحيط بالنص، والبؤرة الأساسية للدخول في عوالمه المتعددة تتصل وتتداخل في علاقة جدلية لتصبح مرجعية بذاتها ولذاتها، في مواجهة المتلقي الذي سيرسم انطباعاً عن فعاليات السرد، وبوصلة للرواية عبر تعدد أصواتها، من الصمت إلى التوقف إلى استثمار الحواس، إلى التعضيد الثقافي، وخصوصيتها أي الرسائل الصوتية، سيتبدى للقارئ بذلك الاشتباك البلاغي من المفردات إلى النبرة ووجهة النظر، ليؤدي تأثيره وإيقاعه مسهماً في الأحداث بقصد تأويلها المستمر.

فهل كانت (شفرة دافنشي) لـ دان براون، هي المحرك والذريعة الإضافية، لا ليحاكيها باسم خندقجي وحسب ويذهب في اكتشاف المجدلية، بقدر ما سيجهر بمرجعياته الثقافية من دراسات آثارية وتاريخية، سيخلق منها الروائي -خندقجي- ما اصطلح عليه هو بواقع خيالي (مستوطنة

مشمار هعيمق وقرية اللجنون المهجرة، وثورة باركوخيا، وموسم التنقيب عن الفيلق الروماني السادس، ومعهد أولبرايت للأبحاث التاريخية).

لكن باسم خندقجي، وهو يأخذنا في رحلة معرفية وتاريخية بامتياز، إلى بحثه التاريخي الذي يتقنع بالرواية، ويذهب في إثر أفعالها وارتكاباتها (ليعقلن التخيل) كيف سيكتب الرواية؟ وسنقول راهناً كيف كتب روايته؟ هل باللغة الرهيفة وحدها، لتحمل سيرة المجدلية وليضفرها في الزمن الماضي التاريخي والزمن الحاضر؟ وليستقيم كل ذلك، فبطله أستاذ جامعي وهويته الفلسطينية حيفا، يافا، الناصرة، وكيف سيستفيد من مزايا الهوية الزرقاء؟ لتكون المحرك الأكبر لسؤال الهوية.

ستلوح في باله الفكرة عن رواية المجدلية ليقوم بتسجيلها عبر برنامج التسجيل الصوتي في هاتفه المحمول، مبتدئاً بالبطاقة الصوتية رقم 13، ولا يُخفى هنا أن باسم خندقجي سيسعى إلى تشكيل قاعدته المعرفية وتصوره العام للرواية، وزمن السرد وولادة نور، وبيئته وعائلته، أي ولادته الحاسمة الافتراضية حينما يعثر على البطاقة الصهيونية، في معطف أور شابيرا الذي يكبره بخمس سنوات، وليخبئها في جيب معطفه الداخلي قبالة القلب تماماً، وسيتطير الروائي من الترقيم ليكتفي بالتاريخ والعنوان، وستكون هذه البطاقات الصوتية في خدمة تصوره الأمثل لرواية المجدلية، إذ يتداخل السارد بالروائي حسماً لزمن السرد، وإرهاصاً للمثقف المشتبك (تريد مني أن أشتبك، لقد اشتبكت يا صديقي في القدس، في أعالي قمة توراتية إلى أن تدحرجت عنها ووصلت هنا إلى حجرتي هذه مصاباً بكدمات وجراح أصابت هويتي ووجودي)، ما بين الصمت والبوح والقراءة والتسجيل، في هذا الما بين يعيش نور المشهدي ما بين المخيم في رام الله، وشوارع القدس، لكن الأدل أنه سيعيش تجربة كتابة الرواية الممكنة عن اكتشاف فلسطين الأخرى، فمن المحاولات اليائسة في تقصي وإثبات السيرة التاريخية لمريم المجدلية، لا يقحم -الخندقجي- قارئه ببيانات تاريخية ودينية وغنوصية، أي عرفانية معرفية، تقوم على الاعتقاد بالخير الأسمى أو الشرارة الإلهية، في مقابل شخصية أخرى ستبدو مطيفة شخصية (مراد) القابع في سجون الاحتلال والتي سترافقه على مدار تسجيلاته الصوتية، فلماذا ظل مراد طيفاً وصوتاً آخر وهذا ما سيجعل من مراد المعتقل أقرب إلى صوت الضمير الذي يرسم -الخندقجي- في بطاقاته الصوتية شخصية مراد المعادي للكولونيالية والمعادل لمكابدات نور مشهدي وهواجسه وتناقضاته ومخاوفه، وفي الوقت ذاته فإن التصور الأمثل لرواية المجدلية، فمثلاً في البطاقة التي تحمل تاريخ العشرين من نيسان، ثمة بحث في المسكوت عنه وقراءة تأويلية للأناجيل الأربعة، وتأويل للآيات التي تشير إلى المجدلية، فالمجدلية (هي الحضور المتناقض في الحياة ثنائية الخير والشر... إلخ).

وستمثل ملاحظاته لصديقه مراد، كما مخاطبته بعزيزي مراد، وبالقراءة السيميائية ما يمكن أن نصطلح عليه ما هو أكثر من العتبات والنصوص الموازية، إلى مكملات الرواية ومتمماتها، المتممة لخطاب الهوية وغوايتها التي دفعت بنور إلى الاتحاد بها وعدم التنازل عنها، (كنت أشعر بتشبثها بي، بشعري الطويل المجعد وعيني الزرقاوين ولغتي العبرية ذات اللكنة الاشكنازية)، لكن مراد الغائب الحاضر، الحي الميت، هو مرآة نور أكثر من أور شابيرا ظله في شوارع القدس، وعلى سبيل المثال أيضاً فإن البطاقة التي تحمل تاريخ 21 نيسان/ القدس مساء، سوف تركز على الجوانب الفنية، أي لتمكن الروائي من السياق التاريخي والديني للفترة التي عاشت فيها المجدلية بعد صلب يسوع، وتوفيراً لقاعدة بيانات لنسيم شاكر، حول الأماكن التي سيتحرك بها، وهكذا يستمر في الجهر بأسئلة إضافية، منها أنه لا يعلم إذا كانت القدس ستمنحه ظله، أم ظل نور أور، في البطاقة التي تحمل تاريخ الخميس 22نيسان/ القدس، ليعود مستخلصاً في بطاقة جديدة أن المجدلية هي التلميذ المحبوب، التي تحولت إلى أثر من آثاره.

إن السيرورة الحكائية في البطاقات الصوتية، ستأخذنا إلى الفرق بين الحكي والكتابة وينعته -باسم خندقجي- بالفرق الشهرزادي (أنا أحكي إليك كي أحيا، مثل شهرزاد التي صمتت أكثر من ألف ليلة وليلة، في وجه الجلاد الشهرياري، فالحكاية هي الكأس المقدسة).

صراع نور مع أقنعته ومصطلحاته وأفكاره، وعودته إلى داخل البيت المقدسي العتيق، وصراعه أكثر حول مفهوم النكبة بوصفها النصب التذكاري للمحرقة، وتعرفه العملي الملموس على أرضية روايته، لناحية تحديد معسكر الفيلق الروماني السادس، سيضيف إضافة مهمة للمساحة التي سيتحرك بها بطل الرواية نسيم شاكر، وسنرى كيف تعززت أواصر العلاقة بين مريد المجدلية السري سمعان الأعرج، وما توارثته أسرته وحفيده مسك العطار من صندوق المجدلية السري والموقع الجغرافي للفيلق الذي يقع على مسافة قريبة من تل مجدو الأثري.

تحرز الرواية هنا شعرية أعلى حينما يصف هذا التل بالقول: (تل يطل على سهل/ ربوة حبلى بأكثر من عشرين مدينة/ تتقلب فوق آلام مخاضها/ مجدو يا أنثى السر القديم/ كم من معركة وقعت في سريرك السهل/ الذي لم يكن سهلاً على العالمين)، إن الحبكة الموازية للحبكة الرئيسية الخاصة بتاريخ المجدلية، هي من أجل الإعلاء من شأن المجدلية ومن أجل البئر الموجودة في اللجنون، وسيُزود نسيم شاكر بهذه البئر، فمن دونها لن يقوى على كتابة الرواية.

إن تواتر البطاقات الصوتية في الفصل الأخير من الرواية، كل ذلك من أجل أن يخبر صديقه مراد أن اكتشاف خبايا البئر هي الجزء الأهم من مادة الرواية لبطله نسيم شاكر، ولا يغفل خندقجي هنا عن إيراد نصوص من رؤيا يوحنا اللاهوتي، من أجل تدعيم سرديته التاريخية وبحثه المستمر عن المجدلية، والذي سيتوقف في بطاقته عصرية الثلاثاء 11 أيار، لتحل محلها شخصية سماء إسماعيل بوصفها

الخطاب الوطني
في رواية «قناع بلون السماء»
للروائي الفلسطيني الأسير باسم خندقجي

علي مرزوق عودة ـ ناشط سياسي فلسطيني

في غربته المريرة، يخترق الأديب باسم خندقجي بروايته «قناع بلون السماء» جدران العتمة، إلى الفضاء الرحب، بعد أن أدرك وجوده، فالنور لا ينتصر على الظلام، إلا حين نعي وجودنا.

شغفٌ بحب فلسطين، ما جعلته من الشهداء الأحياء!.. ولد باسم محمد صالح أديب خندقجي في 1983/12/22، درس في محافظة نابلس، التحق بعدها بجامعة النجاح الوطنية، قسم الصحافة والإعلام، انتسب لحزب الشعب الفلسطيني « الشيوعي سابقاً»

اعْتُقِلَ في 2004/11/2 إثر عملية «سوق الكرمل» البطولية التي أدت إلى مقتل ثلاثة صهاينة، وجرح أكثر من خمسين صهيونياً، حُكم عليه بثلاثة مؤبدات، يوجد حالياً في سجن «هيداريم» جنوب مدينة طول كرم.

بدأ باسم رحلة الكتابة داخل السجن، من خلال كتابة «مسودات عاشق وطن» وهي عبارة عن عشر مقالات تحاكي الهمَّ الفلسطيني، وتصور معاناته اليومية، كما أن له ديواني شعر، الأول «طرقٌ على جدران المكان» والآخر « شبقُ الورد إكليل العدم» وله دراسة عن المرأة الفلسطينية، وكتاب بعنوان « أنا الإنسان نداء من الغربة الحديدية».

كتب عدة روايات تاريخية هي «مسك الكفاية» و «سيرة الظلال الحرة» و «نرجس العزلة» ورواية تاريخية أخرى هي «خسوف بدر الدين» التي تتحدث عن البطل الصوفي «بدر الدين» في رحلة تمرده.

حوَّل باسم السجن إلى ورشة عمليات ثقافية، حيث أشرف على صندوق الأسير، الذي أسسه لدعم إبداعات الأسرى داخل السجون، على جانب روايته موضوع مقالتنا «قناع بلون السماء» التي حازت على الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام 2024 الصادرة عن دار الآداب بطبعتها السادسة.

من اللافت؛ أن تجربته في أدب السجون، تجربة مختلفة، فهو لا يكتب عن تجربته داخل السجن، وبذلك يمتاز عن سجناء كثر، كتبوا عن عالم السجن وتجربتهم فيه، أمثال الأديب الأسير علي «الخليلي» الذي كان من أوائل من كتبوا عن آدب السجون، من خلال كتابه «المفاتيح تدور في الأقفال» وأيضاً الأديب الأسير «فيصل حوراني» وكتابه «المحاصرون» حيث يرى الخندقجي أن الأدب يعمِّر أكثر من السياسة، وتحفظه الأجيال المتعاقبة، في حين أن السياسة تموت غالباً مع صاحبها!..

لا شك أن الأديب والمناضل والأسير باسم خندقجي، قد بذل جهداً واضحاً، في إنجاز عمله المضني «قناع بلون السماء» فكان يحلق تارة في فضاءات واسعة متداخلة، ثم يهوي في تارة أخرى، إلى أعماق التاريخ، باحثاً عن الحقيقة النفيسة، في محاولة ناجحة لتوظيف المعرفة والثقافة معاً، تجلى ذلك في سعيه الدؤوب وراء المجدلية، ذات الجذور الفلسطينية، فقد ولدت وعاشت وماتت في فلسطين التاريخية، وبهذه الحقيقة، يدحض ادعاء الكاتب الأمريكي « دان براون» في روايته «شيفرة دافنشي» من أن مريم المجدلية نبتة غربية، وذات انتماء غربي.

ونراه يرفض بشكل قاطع، تسمية المستوطنة بالكيبوتس، لأنه يرى أن هذه التسمية، المعادل لهويته، والحقيقة المطلقة التي تكشفها مواقف سماء إسماعيل في تجذرها بهويتها الفلسطينية، ورفضها للاستيطان، (أظلمت آفاق روايتي المجدلية، وحلت محلها تجليات سماء) ، ينهي الخندقجي تسجيل بطاقاته الصوتية إثر توقف العمل في موقع حفرية الفيلق السادس بسبب الأوضاع الأمنية المتوترة في القدس وحي الشيخ جراح، يخرج نور من مكان الحفريات ليصعد حافلة تقل سماء إسماعيل (لا مكان للحلم في حقيقتها، ثم ينتصب واقفاً ينزع قلادة نجمة داوود من عنقه، وينتشل بطاقة الهوية المزورة من جيبه ممزقاً هوية أور شابيرا، ليقول لسماء: أنتِ هويتي ومآلي وليؤرخ تلك اللحظة بالتاسع من تشرين الثاني عام 2021، سجن جلبوع الكولونيالي. أي تسقط هنا السردية المختلقة والمتعالية والمتوحشة لتعلو السردية الأصلية المهمشة: فلسطين المطمورة تحت التراب بكل تاريخها.

ذلك هو خطاب الرواية في ختام مقولاته وتضافر عناصره الفنية، التي يمكن لها أن تؤدي غير وظيفة انتباهية للقارئ من الرسائل الصوتية إلى القناع، إلى الرسائل والمخاطبات، ذلك التوازي الذي ينجزه باسم خندقجي في روايته (قناع بلون السماء)، والموسوم بالتجريب العالي، من شأنه أن يسهم في خلق جدلية لتلقي الرواية، وماهية القارئ الذي يتلقاها سواء أكان هذا القارئ افتراضياً أم مثالياً، أم قارئاً عاماً وربما كل ذلك في رواية تجهر بمتن الصراع، لكنها تضايفه بسعة من متخيل اللغة واستثمار خطاباتها الموازية، على المستوى الجمالي والفكري وتلاحم الدلالة في نسيج روائي سيخلق الكثير من الأسئلة المنتجة لهذا الشكل الروائي المغاير، والذي يقوم على ثنائية الشبيه المختلف، والمخاتلة والمخاتلة، في جذب القارئ ليكون كل هذه الشخصيات وخلاصتها، نسيم شاكر الذي سيكتب الرواية بعيداً عما كان يطلبه مراد من الانصراف إلى ما يجري في القدس من مواجهات، والانتباه إلى لعنة العالم الكولونيالي بدلاً عن البحث المضني في تاريخ المجدلية السري.

هي محاولة صهيونية لانتزاع الصفة الكولونيالية عن المشروع الصهيوني، أما المستوطنة فهي تدل على الطابع الاستيطاني الاستعماري للكيان

الصهيوني، وإصراره الواضح على استخدام مصطلح الصهيونية في ثنايا الرواية، ورفضه المطلق لمسارات التطبيع مع العدو الصهيوني، واتفاقية أوسلو، هو على قناعة تامة بأن فلسطين لا تقبل القسمة على اثنين.

ويصور في روايته موضوع المقالة، مدى الصراع القائم في الكيان الصهيوني، بين اليهود الغربيين (الإشكناز) واليهود الشرقيين (السفارديم) الذي جاء على لسان إحدى شخوص الرواية، وهي اليهودية الشرقية «أيالا» حين تقول: «أنتم الإشكنازيون لطالما عاملتمونا نحن الشرقيين بدونية! أنتم سادة «أرض إسرائيل» أنتم من حررها من العرب، وبناها، أما نحن فقطيع من البهائم بحسب أحد فناني الإشكناز) صفحة 118

كما يبين لنا، أن أصل ومعنى كلمة «غيتو» التي تُنسب للتجمعات اليهودية في بلدان العالم، هو اسم مصنع لصناعة المدافع الحربية بمدينة

البندقية الإيطالية، أقامت بجانب الغيتو، ومع الأيام أصبحوا يسكنون الغيتو نفسه. كذلك نلمس بوضوح تمكنه اللافت للغة العربية ذات الذائقة الشعرية، فها هو في الصفحة (84) يتغزل بمدينة القدس، كما يتغزل بها شاعر ولهان بحبيبته (هو مسجد قبة الصخرة، تتغزل بقبته المذهبة شمس العصرية، مما أضفى عليها بهاءً انبعث من عروس شهية، القبة طرحة القدس ومسجدها هذا الهائم في اللازورد والفيروز، وصخرتها قلبها النابض بالقداسة ودماء الأرض والسماء معاً، حرم المسجد الأقصى كله وشاح للصخرة، وأما السور فهو طوق يحرشها منذ يبوس حتى بيت المقدس).

أخيراً، شكل باسم خندقجي بروايته هذه عبقرية رفيعة، ذات قدرة شديدة على التقاط ذبذبات الحياة وإعادة صياغتها، عبر بناء شاهق متماسك ذي قدرة هندسية معمارية خارقة، وإحاطة أدبية ثقافية وطنية سامية، إنها رواية

تستحق بجدارة القراءة والجائزة معاً..

نص

على تلّةٍ عارية

(من ديوان لغزة والياسمين)

حميد بوحبيب ـ شاعر من الجزائر

الأسلاك الشائكة
شظايا العبوات الناسفة
نثار الفوسفور على الأنقاض
وخيوط كوفية معمدة بالدم
وما ضاع من
أمل على المعابر الموبوءة
كلها لم تكف
لأحمدَ كيْ يموتَ مقهوراً...
***
أحمدُ لا يعدُّ الأيام ...
لا يعد الساعاتِ
ولا قوائمَ الراحلين
إلى ملكوتِ العدمْ...
هو الآن على تلةٍ عاريةٍ
يستقبلُ أسرابَ الزرازيرِ النازحةِ
من الجليلْ
يتحسس جعبةَ الرشاشِ
ويدندنُ موالاً بدويا...
***
أحمد لا يحنُّ إلى خبز أمِّهْ
لا يحنُّ إلى قهوةِ أمِّهْ
ولا إلى صدر أمِّهْ
أمُّهُ هي التي شيَّعتْهُ مع مواكبِ الفتيةِ ليموتَ أنيقاً
ليموت رشيقاً
على صدر أغنية
ويعودَ بعد الاشتباك ملاكاً قُزحياً.
أحمد لا يخجلُ من دمعِ أمِّهِ
لو أقبلتِ الميركافا
لتلفظ حقدها...
أحمدُ...
على التلَّةِ
يحرس ضحكاتِ الأطفالِ
كي لا تغورَ في هاويةِ اليأس
كي لا تفرحَ الغيلانُ
كي تبقى بتلاتُ الياسمينِ
بهيةً في وجهِ القنّاصين.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
P. F. L. P.
وحدةُ الدّم خطوةٌ
على طَريقِ النّصر
عاش النّضال اللبنَاني الفلسطيني
المشترك في وجه الإرهاب الصهيوني

هَل رَأيتُم جِبالاً تَموتُ؟

مروان عبد العال

روائيٌّ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين

القامات السامقة لا تموت .. حتى الحروف تموت حين تقال، ليس هناك استثناء إلا من كان استثنائيا في حياته وفي مساراته المختلفة.

الكلمة لك يا سيد الكلام، يا أبا هادي، سماحة سيد فلسطين وسيد المقاومة وسيد الشّرف وسيد النّخوة "والفزعة"، لن تغادرنا صرختك التي تخترق جدار الصمت، مازلنا صداها الذي يتردد و يعانق أفئدتنا "قولوا عنا ما شئتم واقتلونا تحت كل حجرٍ ومدرٍ، لن نترك فلسطين".

سأذكر ما قلته مجاملاً في أول لقاء بيننا، "فضل المقاومة الفلسطينية كبير ولا أنكره، ففي ريعان الشّباب خضعت لأول مرة في حياتي لدورة عسكرية في معسكر تدريب فلسطيني"، فكانت فلسطين أم البدايات وأم النهايات، لقد أعطيتها كل شيء ومن أحبك أكثر ، ثلاثة الجبهة ثلاثة، كتائب أبو علي مصطفى، ثلاثة المخيم، ثلاثة فلسطين، نضال وعماد وعبد، في بيروت التي انصهرت بالزّمن الفلسطيني وبتوقيت غزة، في عرس فلسطين والأمة، التي تأبى الرثاء، فنحن ما تعودنا يومًا أن نرثي البطولة، البطولة لم تمت أبداً بل ما زالت حيّة ترزق و تمشي على قدمين، البطولة تتوارث وتستمر ونحملها من جيل إلى جيل، القائد نضال عبد العال سَكَنَتْ فلسطين قلبه الشجاع، الرقيق والحليم الصّادق الملتزم الصّاخب بعشق الوطن وبعنفوان المبدأ..

هكذا زفه رفاقه في مخيم نهر البارد، "يا أبو غازي يا شعبية يا أبو العملية النوعية" هكذا قالوا نحبك أيها المحارب منذ نعومة أظفارك، نهلت علم الثورة وفكرها ملتحقًا من مقعد الدراسة إلى قواعدها، القائد العسكري الحقيقي دون ادعاء واستعراض، وعلى درب الفدائيين الأوائل، "عماد" على درب "أبو عماد عودة" ابن الفدائي القادم من بين الطلقات والمُعَطر برائحة البارود ودم الشّهداء تُلَخِصُ أطيبَ عِطرٍ في هذا العالم.

"وعبد الرّحمن" القلب الشاب الجميل والجريء، هذا الكم الهائل من البساطة والحب والطيبة الجميلة! مرافق القائد، شجاع لكنه استراح أخيراً ! قلبٌ يَنبِضُ مَرحاً ولو توقف عن الخفقان، وبقيت فيه فلسطين.

يا سيد نصر الله "أبا هادي" ويا رفيق نضال"أبا غازي" ويا رفيق عماد "أبا زياد" ويا عبد الرحمن "أبا إلينا"، أكدتم درساً لن ينسى أبداً "إن النّصر لن يأتي إلا بتقدم القادة الصفوف"...

طوبى للقادة والقدوة والريادة والنموذج لنيل مرتبة الشرف، مرتبة لا ينالها إلا من يكتب تجربته على الرمل أو في الفراغ، بل يحققها من خطها بالدم والصّبر والتضحيات والعمل..

طوبى لِرفاقِ درب الأبطال وسيد الشّهداء، فالجبال لا تموت، مثل الوعد الأصيل والحلم العظيم يا أبناء الزمن الأجمل.

لو هزّيتم كل رفيق لوجدته مليء بالدمع ويفيض بقصص وحكايات وتفاصيل جميلة ستظل ترافقنا مع كل اللحظات والدقائق وأي شيء جميل كان يخلقه حضوركم .